

ايمانويل هيمان
الأصولية اليهودية



ترجمة: سعد الطويل
مراجعة: د. جمال أحمد الرفاعي

اهداءات ٢٠٠٣

اسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسيوني

الإسكندرية

الألف كتاب الثاني
نافذة على الثقافة العالمية

الإشراف العام

الدكتور / سمير سرخان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

مدير التحرير

عزت عبد العزيز

سكرتير التحرير

هلياء أبو شادي

المشرف الفني العام

محسنة عطية

الأصولية اليهودية

تأليف

إيمانويل هيمان

ترجمة

سعد الطويل

مراجعة

د. جمال أحمد الرفاعي



المهنة العسكرية العناية للكتاب

١٩٩٨

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

AU COEUR
De L'INTEGRISME
JUIF
FRANCE, ISRAEL, ETATS-UNIS
PAR
EMMANUEL HAYMANN

١٩٩٦

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
مقدمة المترجم	١٥
ايمانويل هايمان فى أعماق الأصولية اليهودية . .	١٧
تمهيد	١٩
الفصل الأول	
نهاية العالم للسيكارين أو جذور الأصولية . . .	٣١
الفصل الثانى	
العودة الى الجيتو أو صعود الأرثوذكسية فى فرنسا .	٥٠
الفصل الثالث	
لنتقابل العام القادم فى اورشليم	٨٢
الفصل الرابع	
أبواق صهيون	١٠١
الفصل الخامس	
على طريق ابراهيم	١٢٨
الفصل السادس	
دبابات الايمان	١٦٢
الفصل السابع	
الكلاشنيكوف ونير الرب	١٨٤
الفصل الثامن	
فى أعقاب المسيح المنتظر	٢٠٧
خاتمة	
المستقبل من منظور الماضى	٢٢١
هوامش الكتاب	٢٢٨
ثبت بالكلمات العبرية	٢٣٤

مقدمة

يعد مفهوم الأصولية واحدا من المفاهيم التي اتسمت بكثرة الرواج والاستعمال خلال الآونة الأخيرة ، غير أن هذا الرواج شابه قدر كبير من عدم الدقة في تحديد المعنى والدلالة ، ومن ثم فقد ظل هذا المفهوم في الأغلب الأعم مفهوماً فضفاضاً لا يخلو من العمومية والتبسيط في وصف ظاهرة الأصولية ، التي تعد ظاهرة أكثر تعقيداً عما تبدو ، فضلاً عن أنها لا تخلو من التغيير والتطور رغم أنها ترتبط في الأذهان بالثبات والجمود .

وعند التفكير في دلالات هذا المفهوم تواجهنا العديد من المفردات المرتبطة به مثل : **الأصل ، والتأصيل ، والأصالة ، والأصيل** . وبرغم الترابط الاشتقاقي الذي يقرب بين دلالاتها جميعاً ، فإن هناك بعض التمايزات فيما بينها قد يكون من المفيد بادئ ذي بدء تحديدها . **فأصل** الشيء هو المبدأ الذي نشأ عنه الشيء والذي ينتسب إليه ، فهو الجذر أو السبب أو الشرط « واجب الوجود » . أما **التأصيل** فقد يعنى كشف هذا الأصل أو هذا الجذر أو تحديد طبيعة الانتساب إليه ، أى تحديد هويته من حيث النشأة . ولا يعنى التأصيل البحث عن العلة الأولى بقدر ما يعنى بالبحث عن الأسس التي تقوم عليها ظاهرة من الظواهر أو واقع اجتماعي معين . أما **الأصالة** فقد تعنى تأكيد الانتماء الى الأصل أو التمسك به ، سواء أكان أصلاً عرقياً أم دينياً أم ثقافياً على أنها قد تعنى صفة تنسب الى عمل ما يتسم بأنه غير مسبوق ، بمعنى أن يكون بدءاً جديداً وأصلاً مستحدثاً . وهنا تكون الأصالة مرادفة للابداع ، أى الأصل غير المسبوق . وعلى هذا **فالأصيل** قد يكون بمعنى الامتداد الصافي لأصل سابق ، وقد يكون على العكس من ذلك تماماً ، أى يكون الأصل الجديد المستحدث الذي يتميز بالذاتية الخالصة المغايرة لكل ما عداها . ولهذا نقول عن الحجر الكريم بأنه أصيل غير مخلط ، أى أنه هو نفسه متميز عما سواه ، ولهذا تطلق عليه كذلك صفة أنه حر ، فهو حر أصيل ، بمعنى أن قيمته في ذاته ومن ذاته غير متوقفة على غيره .

أما الأصولية في معناها اللغوي السابق فهي وإن تكن تنطوي على دلالات الانتساب إلى الأصل أو إلى الأصول ، أو تتداخل في معنى التأصيل والأصالة ، فهي في معناها الاصطلاحي تعنى شيئاً مختلفاً ومغايراً تماماً ، فهذه المفردات التي ذكرناها من قبل تدخل في حيز البحث عن الهوية أو الحقيقة والتطلع إلى الجدة والابداع .

أما الأصولية اصطلاحاً فتختلف وتتمايز عن هذه المفردات جميعاً وتنطوي على دلالة شديدة الخصوصية ، فالأصولية هي الرؤية التي تتخذ من الأصل ، سواء أكان دينياً أم سياسياً أم عرقياً ، مرجعاً أساسياً وسنداً مطلقاً نهائياً .

ويستخدم مفهوم « الأصولية » كاصطلاح على مناح وطرائق شتى تكاد تفقده قدرته على وصف وتحليل الشيء المقصود فعلاً . وبالرغم من أنه قد سيطرت على الباحثين والكتاب نزعة ربط هذا المفهوم بحيز الدين ، وقصره على التيارات الدينية المتشددة وخاصة الإسلامية منها إلا أن هذه النزعة لا تصيب الحقيقة في شيء إذ أننا نجد في كل المجتمعات والأفكار والحقب التاريخية والعصور أصولية ما ، ومن هنا فمن الأحرى أن يكون الحديث عن أصوليات وليس عن الأصولية .

وفي الوقت الذي سادت فيه أصوليات شتى في مختلف المذاهب الدينية والفكرية ، إلا أنه يلاحظ وجود اتجاه يضيق المفهوم ويحصره في أديان وثقافات بعينها ، فصار هذا المفهوم خلال العقدين الماضيين وخاصة منذ تفجر الثورة الإسلامية في إيران أكثر ارتباطاً بالإسلام والمسلمين ، بل وأصبح مفهوم الأصولية يعنى جماعات الإسلام السياسي .

وسنحاول في هذا المقام أن نلقى الضوء على تاريخ هذا المفهوم بغرض التعرف على دلالاته الرئيسية ، ومسار تطورها ، فيرى الباحث « جيمس بار » أن هذه الكلمة جاءت من عنوان سلسلة نشرات أو كتيبات سميت الأصول أو الأساسيات Fundamentals ، وظهرت هذه السلسلة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٥ ، وكانت ترسل مجاناً إلى القساوسة والمبشرين واللاهوتيين ومدارس الأحد وسكرتيري جمعيات الشبان والشابات المسيحية . وقد استخدمت هذه السلسلة ذلك المفهوم للإشارة إلى عناصر العقيدة ، وألوهية المسيح ، ومعجزة انجاب مريم العذراء وغيرها من الثوابت التي يراها الأصوليون في المسيحية حتى اليوم .

ويرى البعض أن مفهوم « الأصولية » يشير إلى تيار بروتستانتى ظهر في الولايات المتحدة خلال عقد العشرينيات من هذا القرن ، فكان المفهوم يشير في ذلك الحين إلى جماعة الإنجيليين المحافظين التابعين للطوائف البروتستانتية .

أما الباحث روجيه جارودى فيؤرخ لهذا المفهوم من خلال ظهوره في المعاجم ، فيقول أن كلمة « أصولية » لم تدرج حتى سنة ١٩٦٦ في معجم « روبير » الكبير ، ولم تظهر في الموسوعة العالمية الفرنسية ، غير أن قاموس لاروس الصغير يعرفها على نحو : « موقف أولئك الذين يرفضون تكيف أية عقيدة مع الظروف الجديدة » . وقد طبق قاموس لاروس هذا التعريف على الكاثوليكية ، وتابع الصراع بينهما وبين الحداثة منذ عهد بيوس العاشر حتى مؤتمر الفاتيكان الثانى الذى عقد عام ١٩٦٦ . كما يعرف قاموس أكسفورد للغة الانجليزية كلمة Fundamentalism على النحو التالى : « التمسك الصارم بالمضامين الأورثوذكسية التقليدية ، وبحرفية النصوص المقدسة ؛ معاداة الليبرالية والحداثة » .

وإذا كان هذا المفهوم قد ارتبط في نشأته بالعالم المسيحى ، إلا أنه تطور فيما بعد ليشمل كافة الجماعات الدينية المتشددة المعادية للفكر الليبرالى ، ومن هنا فتعتبر الأصولية ذات معان متعددة وغامضة ، فيتسع هذا المفهوم ليشمل المجموعات المحافظة المغالية في تشدها بين يهود اسرائيل أو العناصر الانفصالية في جماعة السيخ في الهند أو حركات التأميل في سريلانكا أو مجموعات الهندوس المعادية للتأثير الأجنبى التبشيري في الهند .

وارتبطت صفات عديدة بهذا المفهوم ، وتمثل هذه الصفات مكوناتها الأساسية ، ويجمل جارودى بعضها في كلمات مثل : الجمود ، ورفض التكيف ، وعدم التسامح ، والانغلاق ، والتحجر المذهبى ، والتصلب ، والعناد ، والمحافظة ، والانتساب إلى التراث ، والعودة إلى الماضى ، ومعارضة كل نمو وتطور .

ويرتبط الفكر الأصولى عادة بحياة وتعاليم شخصية معينة ، وتصور هذه التعاليم في صورة الحقيقة غير القابلة للتساؤل والشك ، ومن ثم فعلى المؤمنين والمخلصين لهذه التعاليم — أى الأصوليين — أن يعيشوا حياتهم ويوجهوا أنشطتهم وفقاً لما يؤمنون به من معتقدات . وربما يكون « العنف » من أهم سمات الأصوليين ، خاصة أنهم يؤمنون أنهم حملة

رسالة الهبة لتغيير الآخرين . ويجد اتباع الأصولية صعوبة في التعايش مع أية بيئة مخالفة لهم ، لذلك يسعون لارشاد « الضالين » .

ومن ناحية أخرى ، فإن تصوير التعاليم التي يؤمنون بها في صورة الحقيقة المطلقة يعنى نفى صحة كل الحقائق الأخرى القائمة على النسبية ، وقد ينتج عن هذا التصور التعصب واضطهاد الآخرين . وتلتقى كل الأصوليات حول فكرة أن النص الموجود الذي ترجع إليه يحتوى على الحقائق الحية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ، وأن هذه الحقائق تتضمن بالتالى معصوميتها من الخطأ . ويرى الأصوليون أن النصوص التي يؤمنون بها تنطوى على اجابات على كل التساؤلات الحاضرة والمستقبلية .

ولاتختلف الأصولية اليهودية في جوهرها عن جوهر سائر الأصوليات الدينية التي سبق الاشارة اليها ، فيرى اتباع الأصولية اليهودية أن تعاليم العهد القديم ، والتلمود بل وشرروح فقهاء الشريعة تنطوى على اجابات صائبة لكل قضايا العصر ، فيرى اتباع هذا الاتجاه أن حركة التاريخ توقفت لدى لحظة بعينها ، وأن أحداث العالم المعاصر ليست الا امتداداً للأحداث التي وقعت في الأزمان السحيقة . وقد تكون دراسات الكاتب الاسرائيلى « موشيه ايشون » المنشورة على صفحات صحيفة « هتسوفيه » الناطقة بلسان الاتجاهات الدينية المتشددة في اسرائيل ، خير دليل على طبيعة الاتجاهات الأصولية في اسرائيل ، فقد رأى هذا الكاتب أن الموقف الذى تبنته مصر ، على سبيل المثال ، تجاه قضية نزع الأسلحة النووية من كافة دول المنطقة بما فيها اسرائيل يعد امتداداً طبيعياً لذلك النزاع التاريخى الذى تفجر فى حينه بين موسى وفرعون مصر .

وعبر ايشون عن رؤيته هذه فى دراسة « الجدل وجذوره » التى جاء بها : « أن ذلك الجدل يعيدنا الى الوراثة ثلاثة آلاف عام ، أى حينما ثار جدل بين فرعون مصر وبين النبى موسى . . . لقد تركز الجدل بين المصريين والاسرائيليين فى تلك الحقبة البعيدة على قضية من هو صاحب السيادة - هل فرعون الملك ، أم موسى الذى جاء ليحرر شعبه من العبودية . ويوجد اليوم جدل مماثل حول من هو صاحب السيادة فى المنطقة . . . ونجد صدى لهذا الجدل فى سفر الخروج الذى جاء به : « هيا نترىص به حتى لا يتعاضم » .

ويمكننا أن نستخرج من هذا الاقتباس عدة استنتاجات ، يأتي على رأسها أن كاتب المقال يسعى الى الربط بين الموقف الذي تبنته مصر خلال عام ١٩٩٥ وبين ذلك الجدل الشهير الذي وقع بين موسى وفرعون في عصور ما قبل الميلاد ، ويهدف ايجاد هذه الصلة الى القاء رسالة ما في ذهن القارئ مفادها أن ما جاء في التوراة من روايات عن خروج موسى من مصر ، يمثل لب كل الأحداث التاريخية التي قد يتعرض لها اليهود عبر العصور .

وقد حرص كاتب هذه الدراسة أيضا على الاستشهاد باحدى فقرات العهد القديم بغرض اضفاء المصدقية على كافة الآراء التي يعبر عنها في دراسته ، وللايحاء بمصدقية تصوراته .

ولا تكتفى الاتجاهات الأصولية اليهودية بالاستشهاد بنصوص التوراة ورواياتها ، اذا حرص هذه الاتجاهات على الاستشهاد أيضا بنصوص فقهاء اليهود خلال العصور الوسطى . ويتصور أصحاب هذه الاتجاهات أن الأخذ بمحتوى تلك النصوص المنتمة الى فترات تاريخية متباينة ، كفيل بحل كافة التحديات والتساؤلات التي يواجهها الانسان المعاصر ، فقد ذكر موشيه ايشون في دراسة « اسحاق رابين والعهد القديم » التي نشرها في صحيفة « هتسوفيه » عقب التوقيع على اتفاقيات أوسلو : « لقد ذكر السيد رابين ان العهد القديم ايس بسفر لتسجيل ملكية الأراضي ، وأن القداسة لا ترتبط بالأرض بقدر ارتباطها بالقيم . ان رابين تنازل بمنتهى السهولة عن أرض الوطن . وكان حديث رابين مليئا بكل ما يدل على تنصله عن القيم الأبدية لشعب اسرائيل ، الذي تعد أرض اسرائيل جزءا لا يتجزأ من ذاته . لقد كتب الفقيه اليهودي سعديا جاؤون الذي عاش في ظل الخلافة العربية ان امتنا ليست بأمة الا بسبب تمسكها بشرائعها . ان كل من يتنصل عن تعاليم التوراة التي نزلت على موسى يتنصل عن شعب اسرائيل وعن أرض اسرائيل . ان شعب اسرائيل يحرس منذ عصور بالغة القدم على تأكيد علاقته الأبدية بأرض اسرائيل ، ويشعر دائما أن أرض اسرائيل جزء لا يتجزأ من واقعهم . . . فجاء في سفر التكوين : « سأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ، ملكا أبديا » .

وعند الحديث عن الأصولية اليهودية ، نجد أن جذور المواجهة بين الاتجاهات اليهودية الأصولية وبين نظيرتها الداعية الى الحداثة تعود الى نهايات القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، تلك الفترة التي شهدت الخروج من الجيتو وتمتعهم بالمساواة مع

الآخرين . وقد نظرت الجماعات اليهودية الأصولية في تلك الفترة الى هذه التحولات ، بوصفها كارثة كبرى لن تؤدي الا الى فقدان الهوية اليهودية . وبالرغم من معارضة حاخامات اليهود في أوروبا — الذين مثلوا خلال نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الاتجاه اليهودي . الأصولي المتشدد — لكل بواصر ونزعات الحداثة ، الا أن ظهور الحركة الصهيونية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان بمثابة نقطة تحول حاسمة في مواقفهم ، اذ اضطرت قطاعات عريضة من الحاخامات للانخراط في الاطار الصهيوني ، غير أن بعضاً منهم حرص وتحت زعامة الحاخام أفراهام كوك على تشكيل تيار خاص عرف باسم الصهيونية الدينية . وفي حقيقة الأمر ، فلا يختلف هذا التيار كثيراً عن الصهيونية السياسية أو الروحانية ، غير أن الأمر الوحيد الذي يميزه يكمن في حرص أتباعه على ايجاد مبررات من الشريعة اليهودية لتدعيم الفكرة الصهيونية .

ويرى عدد كبير من الباحثين مثل ايان لوستيك في دراسته الرائدة عن الأصولية اليهودية ، التي اعتمدت في المقام الأول على عرض آراء قادة الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية وغزة ، أن الخطر الرئيسي الذي تتعرض له الديمقراطية الاسرائيلية يكمن في تلك الاتجاهات الأيديولوجية المتعصبة المتمسكة بحرفية النصوص دون اعمال العقل فيها وتطويرها .

وتمثل منظمة « جوش أمونيم » التي تضم بين صفوفها أكثر من عشرة آلاف من العناصر النشطة ، الفكر الأصولي اليهودي المعاصر ، وتكرس هذه المنظمة جهودها لضم الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل ، وتسعى الى ترسيخ السيادة اليهودية على كل أرض اسرائيل التي ذكرت في التوراة ، وفرض الأشكال اليهودية في الحكم بدلا من النموذج الغربي للديمقراطية ، كما تسعى الى اعادة بناء المعبد في القدس .

ويرى لوستيك أن الفرق الرئيسي بين الصهيونية التقليدية وبين الاتجاهات الأصولية في اليهودية المعاصرة ، يكمن في أنه بينما رفعت الصهيونية التقليدية شعاراً مضمونه : « المهم ليس ما يعتقد غير اليهود ولكن ما يعتقد اليهود أنفسهم » ، فقد رفعت الاتجاهات الأصولية اليهودية شعاراً مضمونه : « المهم ليس ما يفعله غير اليهود ، ولكن ما يفعله اليهود » ، وأنه لا بد من التسليم بطموحات اسرائيل السياسية في الأرض كحق بديهي ؛ لأن اليهود هم شعب الله المختار .

وتؤمن هذه المنظمة الأصولية بمصادقية فكرة شعب الله المختار ، تلك الفكرة التي تلغى بدورها سائر القوانين التي تتحكم في العلاقات السائدة بين سائر الشعوب ، فيرى الحاخام « شلومو افنير » الذي يعد من أبرز الشخصيات المنظرة لفكر هذه المنظمة « ان الوصايا الالهية للشعب اليهودي تسمو على الأفكار الانسانية ... » . وحينما يطلب الله من سائر الأمم الخضوع للقوانين الأخرى المجردة الخاصة بالعدل والفضيلة ، فان هذه القوانين لا تنطبق على اليهود لأن الله يتكلم مع شعبه ، أي شعب إسرائيل مباشرة » .

أما الحاخام اليعازر فيلدمان رئيس مدرسة « نير » المتخصصة في الدراسات التلمودية والواقعة في مستوطنة « كيريات أربع » ، فقد ذكر اثر مذبحة صابرا وشاتيلا التي تعرض لها الفلسطينيون في عام ١٩٨٢ : « ان الحروب هي امر طبيعي ومتوقع ، واذا لم تكن هذه الحرب قد كالت بالنجاح ، فهي جزء من عملية العودة لأرض الميعاد . وليس من الممكن ان تستكمل عملية العودة للأرض بأية وسيلة سوى الحرب » .

أما الكتاب الذي نقدمه اليوم ، فهو من تأليف الكاتب الفرنسى « ايمانويل هيمن » ، ويدخل هذا الكتاب في اطار تلك الأعمال التي أولت في الآونة الأخيرة اهتماماً ملحوظاً بظاهرة الأصولية اليهودية ، غير أن ما يميز هذا العمل عن غيره من الأعمال والتي نخص منها بالذكر كتاب « ايان لوستيك » عن الأصولية اليهودية ، يكمن في أنه بينما اكتفى لوستيك في عمله برصد توجهات ومواقف قادة الاستيطان اليهودي الذين يعدون بمثابة النموذج الأوحد للأصولية اليهودية ، فقد سعى « هيمن » الى إعادة قراءة التاريخ اليهودي على نحو معاصر بفرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية . ويرى هيمن أن أول مظاهر الأصولية اليهودية يكمن في تلك الحادثة التي سجلها سفر الخروج بالعهد القديم ، والتي أمر فيها موسى هارون بقتل عبدة العجل . وبناء على هذا الأمر ، فقد قتل في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل اختيروا عشوائيا لامتناعهم عن غضب النبي الذي شعر بالمهانة ، لأن الشعب تنكر له بهذه السرعة .

ويرصد هيمن في اطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودي كافة مظاهر الأصولية ، ويستنتج على ضوء قراءته هذه أن فكر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والجدائة . ولا يكتفى المؤلف في عمله هذا بقراءة النصوص ، اذ يتطرق أيضا الى مقاومة التيارات

اليهودية المتشددة في أوروبا والولايات المتحدة واسرائيل لكافة مظاهر التمييز والحدائث ، واصرار قادة هذه التيارات من الحاخامات على فرض ديانة متوحشة ودموية ومجنونة . ويعلق المؤلف على خطورة هذه التيارات الدينية المتشددة بقوله : « ان الوطنيين المتدينين على استعداد لفرض حلمهم بالسيطرة على الشعب اليهودي عن طريق صناديق الاقتراع أولا ، ولكن أيضا للاكثر تشددا منهم عن طريق القوة . انهم يعتبرون اوامر التوراة اهم من الديمقراطية او من حقوق الانسان ، هذه الاهتمامات الانسانية الثقافية التي لا تساوى شيئا امام الخطط الالهية » .

ويتضح من كل ما تقدم ان الاصولية تنكر في المقام الاول كل منجزات البشرية ، وتقف بها عند حدود زمنية بعينها ، كما أنها تعد محاولة الفرض منها العودة الى الجذور ووقف حركة التاريخ الانساني ..

المراجع

د. جمال احمد الرفاعي

القاهرة في يناير ١٩٩٨

مقدمة المترجم

مؤلف هذا الكتاب دانييل هيمن يهودى فرنسى علمانى وهو يتعاطف بشكل تلقائى مع اسرائيل العلمانية ، اى اسرائيل حزب العمل ، كما يتقبل ببساطة الكثير من ادعاءات اليهود المتطرفين عما يترضون له من معاداة للسامية من اى جماعة أو شخص يجرؤ على معارضتهم . فعندما يقتل سائق سيارة يهودى طفلا أمريكيا أسود وتأتى سيارة الاسعاف التابعة للطائفة اليهودية وبدلا من أن تنقل الطفل المصاب تهرب السائق القاتل من غضب الجمهور ، يقبل ببساطة الادعاء بأن ذلك حدث بتوجيه من البوليس الأمريكى ، مع أن المتوقع هو أن البوليس هو الذى يأخذ السائق معه لاستجوابه ! ثم يردد بعد ذلك أن الجماهير السوداء الغاضبة قامت لمدة أربعة أيام « بمذابح حقيقية » ضد اليهود ، مع أن هذه المذابح — حسب قوله — كانت مجرد رفع لافتات تقول « الموت لليهود » !!

وهو يردد دون مناقشة الادعاء بأن عدد اليهود الذين أبسأدهم النازى فى الهولوكوست كان ستة ملايين مع أنه يحكى قصة المساومة التى جرت بعد مارس ١٩٤٤ ، حين اقترح أدولف أيخمان مبادلة مليون يهودى كان النازى قد وضعوهم فى معسكرات الاعتقال بعشرة آلاف شاحنة أمريكية لتدعيم آلة الحرب الألمانية . وان كانت الصفقة قد انتهت أخيراً إلى مجرد ترحيل كاستنر وقيادات الصهيونية فى المجر، ومعهم حوالى ألف آخرين الى سويسرا فى ديسمبر ١٩٤٤ ، ولا يرى المؤلف أن هذه

القصة تدعم تقديرات روجيه جارودى فى كتابه « الأساطير المؤسسة لإسرائيل » بأن عدد ضحايا النازية من اليهود هوالى المليون ولا يتجاوزون بأية حال المليونين .

ومع ذلك ، فالمؤلف يهاجم صراحة كل أشكال التطرف اليهودى سواء المبنية على أساس قومى أو دينى ، ويرسم صورة تفصيلية لمجتمع يتدعم فيه التطرف والعنصرية ، كما يحتوى العديد من التناقضات الداخلية ، التى يصل بعضها الى حد التقاتل الدموى .

ان هذا الكتاب يلقى أضواء كاشفة على الصراع المرير الذى يخوضه الشعب العربى فى فلسطين لتخليص وطنه — أو جزء منه على الأقل — من الاحتلال الصهيونى ، وقراءته تنير الطريق كثيرا لكل مصرى وكل عربى ، يؤمن بأن قضية تحرير فلسطين هى محور الصراع العربى — الاسرائيلى .

سعد الطويل

سبتمبر ١٩٩٧

ايمانويل هايمان فى أعماق الأصولية اليهودية

فرنسا ، اسرائيل ، الولايات المتحدة

لا يتخلّى اليهود عن روح الدعاية حتى لو تعلق الأمر بالله . ففى
أحدى الأمسيات فى اورشليم قص على مناحم وهو طالب فى أحد المعاهد
التلمودية القصة التالية :

مرة أخرى تدهورت العلاقات بين الله وبين شعبه المختار ، فقد
تذمر اليهود من كثرة القوانين والأوامر والنواهي ومن أعالي السماوات
استمع الرب الى شكاوى القوم الذين اختارهم وارتفعت أصواتهم
الفاضية : اختر لك شعبا آخر !

لا مانع لدى ، أجابهم الرب ، ولكن أعيذوا الى التوراة التى
أنزلتها لكم .

ومن كل أنحاء العالم توافد المندوبون الى جبل سيناء وهم يحملون
للفائف الوصايا العشر وكتب التلمود وكتب الصلوات ، وقرارات
الحاخامات ، والهوامش ، وهوامش الهوامش ... وسرعان ما تكون
تل من الكتب الواردة من جميع القارات .

وانفجرت أبواب السماء وسمع صوت الرب واهنا حزينا قائلا :
ولكنى لم أبعث اليكم أبدا بكل هذه الأشياء !!

تمهيد

الأوجه المختلفة للتوحيد

« نحن نحب الموت بقدر ما يحب اليهود الحياة » (١) . هذا الشاعر الذي أطلقه أحد قادة « حماس » في غزة لاثارة حماس رجاله وحفزهم على القيام بهجمات استشهادية ، يكشف بوضوح عمق الهوة التي تفصل بين الأصولية الإسلامية والأصولية اليهودية . ان التقاليد اليهودية لا تعرف أبدا تلك الرغبة في الموت ، بل تدعو أبدا الى اختيار الحياة . وفي قلب الرسالة التوراتية ترن كلمات الخالق في قلب كل مؤمن : « قد جعلت قدامك الحياة والموت . البركة واللعنة . فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك » (٢) .

ومع ذلك ؛ فحب الحياة هذا لا يستبعد لا التطرف ولا العقلية الرجعية المتحجرة ، المصدرين المغنيين للأصولية .

وياسم التوراة يطلق المتدينون المتعصبون اليهود لعناتهم الملبسة بالحق ، سواء أكانوا يقفون أعلى التل في مستوطنات يهوذا والسامرة ، أم على أرصفة شوارع نيويورك . وياسم التوراة كذلك ينسحب المتدينون المتطرفون بملابسهم المأخوذة عن البورجوازيين البولونيين من القرن الثامن عشر الى داخل الاكاديميات التلمودية ؛ ليحموا أنفسهم من التأثيرات الضارة للعالم المتغير ويعيشون في أحيائهم الخاصة أو الجيتو الذي يخلقونه لأنفسهم .

وسواء أسميناهم أرثوذكس أم تقليديين أم أصوليين فهل هؤلاء الرجال ذوو الايمان الملتهب الورثة الأوفياء للتقاليد أم لجماعات الزمفس

منذ مائتي عام تعود المجتمع المستنير أن يعتبر اليهودي المتحرر مثلاً أعلى ، فقد كان الواجب على اليهودي الملتزم دينياً وسياسياً أن يندمج في الأمة ويشارك مشاركة كاملة في الثقافة التي يعيش داخلها . وهكذا وبفضل التسامح الناتج عن عصر التنوير ، أمكن لمن يقيم في الجيتو أن يتواءم مع الأيديولوجيات الجديدة وإن يتحرر من وضعه السابق . وهكذا أصبح ماركس وفرويد وآينشتاين ، دون قصد ، حماة الراية لهذا التيار وأصبحت اليهودية مرتبطة بصفة عامة بتلك الحركات العالمية الواسعة التي تعمل من أجل الحرية والعدالة .

وقد أدت معاداة السامية إلى رسم صورة سلبية له ، صورة اعتبرت بائدة عنها عليها الزمن . لقد كان اليهودي يرى نفسه على الصورة التي يراها الآخر ، الصورة الجاهدة الآتية من أعماق الزمن ، ولندكر على سبيل المثال الاحتقار الذي يصف به الكاتب الطيب ألفونس دوديه عابري السبيل ذوي الجلابيب والذقون الكبيرة الذين كان يمر بهم في شوارع دي روزيه .

وعندما تحرر ، ابتعد اليهود بفخر عن هذه الصور المسنيئة الجاهدة ؛ وبخلى بشكل طبيعي عن ملابسه التقليدية ؛ واستمتع بارتداء البدلة الأوروبية . وفي ١٨٩٤ كتب اليهودي برنار لازار (*) — والذي كان من أوائل المدافعين عن الكاتب دريفوس (**) أثناء قضيته — معارضا

(*) برنار لازار (١٨٦٥ - ١٩٠٣) :

كاتب فرنسي . ولد لازار في عام ١٨٦٥ . وقد كان من أشد أنصار الفكر الاشتراكي . وبعد كتاب « تاريخ وأسابيع معاداة السامية من أهم أعماله اذ أوضح في هذا العمل أن معاداة السامية تزيد من كراهية الشعوب للزاسمالية اليهودية . وكان لقضية دريفوس دور رئيسي في تغيير مواقف لازار المعادية لليهود — (المراجع) .

(**) دريفوس (١٨٥٩ - ١٩٣٥) :

ولد الفريد دريفوس الذي كان من نسل عائلة عرف عنها الثراء في فرنسا في عام ١٨٥٩ . والتحق بالجيش الفرنسي بعد أن أتم دراسته للهندسة ، وكان الضابط اليهودي الوحيد بالجيش . وقدم في عام ١٨٩٤ إلى المحاكمة العسكرية بتهمة الخيانة . وبالرغم من أنه أثبت في النهاية براءته من الاتهامات المنسوبة إليه إلا أنه كان لهذه القضية تبعات عديدة على العالم اليهودي .

وكان الكاتب « برنار لازار » من أشد المدافعين عن دريفوس ، فنشر في عام ١٨٩٦ كتاباً بعنوانه « الحقيقة في قضية دريفوس » . وكان لهذا الكتاب دور رئيسي في تبرئة دريفوس من الاتهامات المنسوبة إليه — (المراجع) .

معاداة السامية وردا على ادوار درومون الذى كان قد أصدر لتوه كتاب « فرنسا اليهودية » ، كتب يقول : « تغلق المدارس التلمودية المتبقية أبوابها كل يوم فى أوروبا الغربية ولم يعد اليهودى المعاصر حتى يقرأ العبرية ، ولم تعد المعابد اليهودية التى تخلصت من ارتباطاتها بالحاخامات تمارس الا نوعا من التعبد الطقسى ؛ ويضعف الايمان بالله لدى اليهودى المعاصر أكثر وأكثر ؛ وكل يهودى منحصر أضحى متقبلا للعقلانية ، ولم تعد التلمودية فقط هى التى تموت بل ان الديانة اليهودية نفسها هى التى تحتضر » (٣) .

ولكن الأشخاص الأكثر تقوى من بنى اسرائيل مضوا يدرسون النصوص المقدسة داخل مدارسهم ومعابدهم ، وقد عزلوا أنفسهم تماما عن الضجة الصاعدة من المدينة فيما حولهم ، وإذ تخلفوا عن الحداثة داخل قلاعهم الخاصة ؛ مضوا فى الطريق القويم الذى اختاروه لضمان استمرار بقاء الشعب المختار . ولم يلبث التاريخ أن دار دورته وانهارت الايديولوجيات الغربية وأحبطت الأمانى الانسانية العظيمة ، وعادت الأرثوذكسية اليهودية الى الحياة بعد اعلان موتها ! .

. وهذا التحقيق يقوم على أساس ملاحظتين أساسيتين فهذا العالم الأرثوذكسى الذى كان مهماً لمدة طويلة قد ازداد عددياً ، وأصبح ذا تأثير لم يسبق له مثيل فى صفوف اليهودية الحديثة ؛ وسواء أكان ذلك فى فرنسا أو الولايات المتحدة أو إنجلترا أو اسرائيل ، فإنه أصبح المرجع الروحى الوحيد والقائد الموجه . وهو يخترق الجماعات الأكثر هدوءاً والمدارس التى كانت حتى الآن الأكثر تقليدية (٤) . والملاحظة الثانية هى أنه الى جانب صعود هذه الموجة الجديدة من التدين ، فإن الانقسام بين من يؤمنون بالسماء ومن لا يؤمنون يتسع باستمرار ، وأعمال مطاردة الشياطين التى اندفع اليها بعض الاسرائيليين ضد لابسى الأسود من رجال الدين فى أعقاب اغتيال اسحق رابين ، لم تنشأ من فراغ .

لقد قصدت أن أجرى حواراً مع هؤلاء المهووسين بالتوراة الذين يرهبون اليهود الآخرين لهذه الدرجة ، وأن أفهم المنطق الذى يوجههم

والمبادئ التي تقودهم والتيارات التي تخترقهم . وقد اكتشفت عالما متعددا منقسما في بعض الأحيان وهي اتجاهات مختلفة تغار الواحدة من الأخرى . وإذا كان هؤلاء الأرثوذكس يفتحصون بعناد التلمسود والتعليقات عليه ، فانهم لا يتناقشون فيما بين مدارسهم المختلفة ومن باب أولى لا يتناقشون مع غير المتدينين . فهم في انشغالهم الكامل بدراسة وتطبيق ديانتهم ، لا يتصورون مجرد اجراء حوار ممكن مع العالم الخارجى والاتصال الوحيد الممكن من وجهة نظرهم هو عودة الابن الضال الى حظيرة الايمان المطلق ؛ لأن الخارج لا يحوى الا الجهل والانحراف . . . فالصور المنحازة مسبقا لدى العلمانيين عندما يذكرون عالم الدين ، تجد مقابلها بالتمائل في الصور الكاريكاتورية المبسطة لدى الأصوليين .

ولا شك في أن تعريف الأصولية ذاتها أمر ملتبس ، فهي محملة بتهيؤات وتجميعات تضم جميع المتدينين في قدر شيطاني واحد . ونحن لا نريد أن نقرر هنا أن كل اليهود المدافعين عن التقاليد هم من المتعصبين المتحمسين ، فأغلبهم يعيشون في الواقع بايمان من القلب وعقل منفتح على العالم ، فالراس المغطى والتمسك بقواعد الدين في الطعام ليست بالضرورة العلامات الخارجية لعقلية جاهلة . وإذا كنت في هذا التحقيق قد ركزت على أعمدة التعصب ؛ فان هذا لا يعنى أن كل المعابد وكل المدارس اليهودية لا تضم الا الأصوليين المنغلقيين على ذواتهم .

وفي الواقع ، فان الأشكال المختلفة ، عن قصد ، للطاقيسة التي يلبسها المتدينون ، توضح الاختلافات بين التيارات المختلفة : فالمؤمنون بالتوراة الذين يرغبون في أداء الطقوس الدينية في هدوء بعيدين عن التطرف ، يلبسون في أغلب الأحيان طاقية صغيرة مزركشة ، في حين يلبس الأرثوذكس المتطرفون طاقية سوداء كبيرة . . . وهذه الفروق وما تحمله من معان ليست بهذا القدر من التفاهة كما قد يتبادر الى الذهن وخاصة في اسرائيل .

يلبس جاد طاقية سوداء على الرغم من أنه أبعد ما يكون عن التعصب ؛ ولكنه يقول ان سنه ولون شعره وبدلة رجل الأعمال الداكنة

التي يرتديها لا تسمح له بارتداء طاقية مزركشة . وبسبب حبه الشديد للموسيقى توجه مؤخرا الى اهم صالة للموسيقى بتل أبيب حيث كانوا يقدمون « المسيا » لهاندل ، وعند الدخول طلب منه التوجه الى أحد الأركان حيث جرى تفتيشه بدقة ! ولم يكن السبب هو الشك في محاولة تفجير ، بل ان مجرد لبسه للطاقية السوداء أعطى الانطباع بأنه من المتعصبين ، وأنه قد يحمل صفارة او غيرها من أدوات التشويش على الموسيقى التي يعتبرها الأصوليون خارجة على الدين السليم . وفي تلك الليلة أدرك جاد ان مجرد لبسه طاقية سوداء قد وضعه أوتوماتيكيا في صف التيارات الدينية الأكثر تعصبا ؛ لأنه في إسرائيل كما في غيرها من البلدان تنسى الأغلبية الصامتة ، وهي الأغلبية التي تتراجع أكثر وأكثر وتطفئ عليها الاتجاهات المتطرفة .

والأصولية في معناها الضيق والاقل ريبة ، لا تعدو أن تكون تحركا من أجل ضمان الكلية الشاملة لمبدأ أو إيمان ما . وسواء أكان إيمانا يهوديا أم اسلاميا أم مسيحيا ، فكل إيمان شامل يعمل بنفس الطريقة : فهو يفترض ويفرض الانكفاء على الذات ، والاعتناق بحياة الحقيقة الالهية ، والخوف من التأثيرات الخارجية ، والرجوع باستمرار للنصوص المقدسة ، والاشتمزاز من أي نصوص قد تؤثر على العقيدة . ويقدم الايمان دائما على القواعد الدينية فالإيمان بالله كلى القدرة هو وحده المبرر لكل الأوامر والنواهي الموجهة للإنسانية . فالأصولية إذن هي فكرة شديدة التحديد ومرتبطة بالإيمان الديني ، فبناء على فكرة لا تخضع للمحيص العقلي ولا يستطيع الشخص اللا أدري استيعابها ، يتسلسل التفكير الأصولي بمنطق لا يقبل الاعتراض : فإذا كان الله قد كشف عن حقيقته وعن أوامره ، فليس لأية قوة إنسانية أن تزيد أو أن تنقص حرفا من هذه الأوامر الالهية . ومن هنا فالقانون هو القانون ومن يبتعد عن الطريق القويم فقد أخطأ وارتكب اثما ، وهنا يظهر الوجه الأكثر تطرفا للأصولية : فباسم قوة عليا تعبر عنها النصوص المقدسة ، تعطى نفسها الحق في فرض معتقداتها حتى لو احتاج ذلك الى استخدام العنف .

إذا كان لفظ الأصولية قد استخدم لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر لوصف أولئك الأسبان الذين كانوا يتنادون باخضاع الدولة لسلطة الكنيسة ، فإنه لم يعد مقصوداً على ذلك الآن . فالكاثوليك الذين أقرعتهم التغيرات الجديدة التي طرأت على الكنيسة بعد العهد الثاني للفاثيكان والذين انتفضوا رافضين أي تنازل أمام التطور في العادات والأوضاع الجديدة ، لم يدركوا بخلدهم أن يخلطوا بين الدين والسياسة ؛ ولكنهم مع ذلك كانوا أول الأصوليين في هذا القرن . وطالما لم يتعد الأمر أداء القداس باللاتينية وارتداء القساوسة الملابس السوداء ، فإنه كان من الممكن التجاوز عن الأمر واعتباره من الأعياب الزمن المتغير ، ولكن لم يلبث بعض الأصوليين الكاثوليك أن اكتفوا بإدعاء القداس باللاتينية . وفي ١٩٨٨ عندما تصوروا أن فيلم مارتن سكورسيزي « الاغواء الأخير للمسيح » ، فيه خروج على القيم الدينية لا يمكن التسكوت عليه ، استخدموا العنف ضد رواد السينما وأقاموا الحواجز لمنع الدخول إليها . واستمرارا في مسلسل العنف وضعوا قنبلة حارقة في إحدى دور السينما الباريسية ؛ بهدف إحراق المكان الملعون باللهب المطهر ! .

ولكن الحرب المقدسة ضد فيلم هرطيق ليست الا قضية وقتية . فسرعان ما وجد الأصوليون الكاثوليك موضوعاً أقدر على تعبئة الجماهير وهو المعركة ضد الاجهاض . ففي الولايات المتحدة اتخذت المعركة ضد الاجهاض اشكالا خطيرة بما فيها الاعتداءات الجسدية والسرقة وحتى القتل . فمِنذ ١٩٩٣ قتل طبيبان وثلاثة مساعدى أطباء باسم الدفاع عن الحياة ، وتضطر المؤسسات التي تجرى عمليات الاجهاض الى تركيب أبواب تتحمل انفجار العبوات الناسفة . ولا يصل العنف في فرنسا الى هذه الدرجة ولكن العنف أخذ يتصاعد مؤخراً ؛ مما استدعى توقيع عقوبات قانونية ضد الأعمال الأكثر عنفاً .

تقول اللافتات التي يرفعها أصحاب نظرية أن الاجهاض يساوى القتل : « أن الجنين انسان حي » . وبالنطبع ، ليس كل أولئك الذين يدافعون عن « حق » الحياة من الأصوليين المستعدين للالتجاء الى العنف ؛ ولكننا نلمح وراء لافتات الجنين شبح المونسنيير ليفيغر وكثائب

اتباع الكنيسة التي تجمدت عند أيام المجد التليد ، الكنيسة التي ارتدت مرة أخرى ملابس الجهالة القديمة لتلك الأزمنة السحيقة ، حيث كان رجال الدين يسيطرون دون منازع على النفوس : « الكنيسة الكاثوليكية هي وحدها التي تملك حقيقة الخلاص حتى فيما يتعلق بالأمور الزمنية » . هذا هو ما يعلنه مختصر التاريخ الذي يوزعه سان نيكولاس دو شاردونيه المعبر عن الفكر الكاثوليكي المطلق .

وعلى الرغم من هذه الأحاديث التي تنتمي إلى الماضي ، فإن الأصولية الكاثوليكية تبقى محصورة داخل بعض الكنائس ، ولا تحلم بفرض نفوذها خارج الفاتيكان .

واليوم يعود الاندماج السياسي — الديني القديم إلى الظهور عبر الأصولية الإسلامية كاستراتيجية حقيقية للوصول إلى السلطة . وابتداء من الإخوان المسلمين إلى جبهة الانتقاذ الإسلامي الجزائرية ، فإن هدف هذه الحركات والمبرر الوحيد لوجودها هو تطلعها إلى فرض حكم الشريعة الإسلامية على البلاد الإسلامية بل وفي رأي بعض أجنحتها الأكثر عنفا ، على البلاد التي بها أقليات إسلامية كبيرة . ان الخصم المائل ألف متظاهرين الذين نزلوا إلى شوارع الجزائر في يناير ١٩٩٢ ضد جبهة الانتقاذ الجزائرية ، لم يشعروا بالقلق من الخطب النارية التي كانت تلقى في الجوامع أيام الجمع ، ولم يقوموا بالتظاهر إلا بعد ظهور النتائج الأولية للانتخابات والأحاديث المعادية للديمقراطية للزعماء الإسلاميين . لقد لاحظت المغنية القبائلية جورا العمل الدعوي الذي قامت به الجبهة الإسلامية للانتقاذ لكسب الناخبين : « لقد قاموا بخدمات كثيرة تقاعست الدولة من القيام بها مثل جمع القمامة وتوصيل المياه إلى الأماكن المحرومة وتوزيع الغذاء على الناس الأشد فقرا ... وبالطبع كانت النتيجة أن تمنح الثقة لمن يأتيك بالعون عندما تعاني من الحرمان . ولكن من أين كان يختفي وراء هذا التنظيم ؟ لقد بينت الصحف الجزائرية وجود تنظيم دولي تقف وراءه إيران ، يهدف إلى الاستيلاء على السلطة في البلدان الإسلامية ، وعن طريق السودان تم تمويل أنشطة الجبهة الإسلامية للانتقاذ وكذلك حملتها الانتخابية وكذلك توجيهها إلى الاتجاهات العنيفة التي سارت عليها » (٥) .

الأصولية اليهودية

ومن الواضح أن الجزائر هي البلد الذي يصل فيه العنف إلى أقصى الحدود ففيه يواجه الأصوليون نظاما شديد التشبه بالغرب ، فمجال التحرك في المغرب على سبيل المثال أضيق كثيرا . والأصوليون لديهم ما يثير الارتياح في الملك الذي أيد التقارب الإسرائيلي الفلسطيني في وقت مبكر ، كما استقبل شمعون بيريز رسمياً من ١٩٨٦ ! إلا أنه يعتبر أميرا للمؤمنين بفضل أجداده العلويين ولا يمكن اتهامه بالتعاطف مع الديمقراطية . ولذلك تركز الأصولية الإسلامية على حكومات أخرى علاقتها بالاسلام أضعف نسبياً ، وتضرب بعنف حتى تؤثر الضربات على العديد من البلدان الإسلامية التي تتأرجح أنظمتها بين القرآن والواقعية ، أو بين السنة والحدثة .

وتقع الأصولية اليهودية بين الأصولية الكاثوليكية ذات الوجه الكنسي والأصولية الإسلامية ذات الصبغة السياسية . ويقرر ايزي مورجنشترن ، مخرج فيلم عن يديشلاندر ومؤسس المركز متعدد الاتجاهات للدراسات اليهودية بجامعة تولوز ، أن هناك منبعين لهذه الأصولية : المنبع القديم المرتبط بيهودية الدياسبورا والمنبع الوطني الذي ظهر مع الصهيونية وقيام دولة اسرائيل . وهاتان الأصوليتان تختلفان في طبيعتهما وفي مراجعتهما .

وفي الواقع ، فإن مقارنة الأسماء توضح الاختلاف بين هذين الاتجاهين : فيهود الدياسبورا يطلقون على ابنائهم أسماء ترتبط بمرحلة الثنات وقبل الدولة مثل موسى ويوسف ؛ وهذه الأسماء كثيرا ما تثير اشمئزاز الاسرائيليين الذين يختارون أسماء تعيد التذكير بالتاريخ الجربي للعبرانيين مثل عساف وباراك .

وعلى الرغم من أن هذين التيارين يرجعان إلى نفس الكتاب ، وهو العهد القديم طبعاً ، إلا أنهما لا يرجعان إلى نفس الأصحاحات ! والعهد القديم ينقسم عموماً إلى قسمين ، العبرانيون في الأول منهما في مصر أو تائبون في الصحراء أو يهود بشكل أو آخر ، أما في القسم الآخر فابناء الشعب المختار قد أصبحوا في الأرض المقدسة ، وتدير شؤونهم حكومتهم

الخاصة وهذه الفترة القصيرة تشمل حكم القضاة والملوك : شاؤول وداود وسليمان . وبعد ذلك انقسمت المملكة وبعدها أسر جزء من الشعب ونقل الى بابل فيما عرف بالسبي ، وأخيرا هدم الرومان اورشليم والمعبد وبذلك انتهت مسيرة العبرانيين .

وكما يوضح ايزى مورجفشتيرن : « هنا كان منطق التاريخ يقضى باندثار العبرانية ، حيث لم يعد لهم دولة ولا أى هيكل مركزى . وهنا لجأ اليهود الى تحويل النصوص التوراتية الى واقع فكتبوا التلمود وخلقوا لأنفسهم أدوات ادارية — قضائية تسمح لهم بالاستمرار بدون اقليم محدد . وهكذا تمكن شعب بلا جغرافية ولا حكومة ولا سلطة سياسية من أن يخلق لنفسه نظاما يسمح له بالبقاء حتى بدون جهاز دولة . وفيما بين هدم المعبد وقيام دولة اسرائيل اختفى العبرانيون وحل محلهم اليهود » .

والأصولية الناشئة من الأرثوذكسية الدينية والمدفوعة من جماعات المنفى ، تعتبر نفسها المدافع الأقوى عن القوانين التى تنظم العلاقة بين الله وشعبه المختار . فهؤلاء الكهنة متعلقون بأداء المهمة السامية المنوطة باليهود بمقتضى العهد الإلهى والوصايا العشر ، فهم خلفاء موسى . واذ ينطوون على أنفسهم ، لا يحاولون أن يفرضوا آراءهم على السلطة الدينية العليا — وهى سلطة لا وجود لها فى اليهودية — ولا أن يستولوا على السلطة السياسية فى القدس . وإذا كان هذا التيار الذى يمثله فى اسرائيل حزب التوراة الموحد وإذا كان حزب شاس يشترك فى الانتخابات ويضطلع ببعض المسئوليات ، فإنه لا يفعل ذلك من أجل الوصول فى نهاية المطاف الى حكم رجال الدين الثيوقراطى ، وإنما لأغراض براجماتية للحصول على بعض المكاسب ، مثل : ضمان حد أدنى من التعليم الدينى فى المدارس العامة والحصول على بعض الدعم المالى لمؤسساتهم . ويؤكد البروفسير ايلان جرايلزامير ، أستاذ العلوم السياسية فى جامعة بار ايلان بقل أبيب ، انسحاب اليهود الأرثوذكس من الحياة السياسية : « كان هنالك فى أول الأمر محاولة للابتعاد ورفض الانفتاح على العالم والشعور بأن الأمر غير ذى أهمية وأنه أمر ثانوى تماما ... » (٦) .

وخارج اسرائيل يقل اهتمام الحركات الأرثوذكسية اليهودية ،
واغلبها معادية للصهيونية أو لا — صهيونية ، بالسياسة وهي تفرق
بتشدد بين « مدينة اسرائيل » (أى دولة اسرائيل) و « أرض اسرائيل » ،
أى بين البلد الحقيقى بكل عيوبه الانسانية والفكرة الالهية المجردة عن
مكان متخيل . قال لى احد هؤلاء الأرثوذكس الباريسيين بطاقيته
السوداء وذقنه الكبيرة بكل صراحة : « لا يعينى بالمرّة ان كان عرفات
أو نتفيا هو الذى يحكم فى اسرائيل ، ففى الظروف الحالية هذه دولة
لا تسير فى طريق التوراة » .

وهذا يوضح بأية درجة من عدم الاهتمام تواجه هذه الأوساط
المناقشات فى الكتييسيت أو القرارات السياسية لحكومة اسرائيل . ان
من يحلم بدولة تحكمها التوراة ، يعلم ان أغلبية الشعب الاسرائيلى غير
متدينة وأن الحلم بدولة تخضع لنير الإيمان المتكامل ، أمر مؤجل للمستقبل
عندما يظهر المسيح المنتظر . ان الهدف الأول للأرثوذكسية هو مقاومة
الاغراءات الليبرالية لليهودية ، ودفع الحاضنات التقليديين الى مزيد من
التشدد الدينى .

ولمقاومة عوامل الجذب للعالم العلمانى ، يضطر اصحاب اليهودية
المتكاملة الى النضال من أجل معبد أكثر انغلاقاً على نفسه ، ويحلمون
صراحة بالزمن الماضى الجميل ، حيث كان التعصب ضد اليهود يحميهم من
التأثيرات الخارجية ، التى كانت تتحطم على أبواب الجيتو فى تلك الأيام
المباركة !

وعندما وجد اليهود أنفسهم على أرضهم ، ظهر الاسرائيليون مكان
العبرانيين القدامى واختصروا زمن الشتات ، ووضعوا بين قوسين الفى
عام من تباريخهم وعادوا الى ذلك الجزء من التوراة الذى يتعلق بالمسار
الوطنى .

انهم يستندون الى ابراهيم والوعد الالهى بحيز من الأرض ، لقد
خلقوا من الجغرافيا فكرة ميتافيزيقية تضى على اسرائيل مركزية مطلقة
وتسبغ قداسة على الأماكن التاريخية ، مثل : (القدس) وحبرون

(الخليل) وسكيم (نابلس) . وبالطبع ، فإن الأصولية الصهيونية الدينية لها قواعدها الراسخة في الحقائق السياسية . ففي الشتات تحرك هذه التيارات جماعات تبدو أحيانا وهى تخطط بين أنهار السين والتميز والهدسون وبين نهر الأردن ، عندما تضخم أفكار هذه الجماعات الصغيرة المغالية في التطرف .

وفي اسرائيل تبرز هذه الأصولية الوطنية بشكل طبيعى ومن بين صفوفها خرج شخص مثل بيجال عامير الذى اغتال اسحق رابين . وعلى العكس من الأرثوذكسية تعمل الصهيونية الدينية على التأثير على الأحداث وعلى اسماع صوتها عاليا ، وهى تحلم بفرض حكم التوراة على البلاد ، وترفض أى حل وسط مع السلطة الفلسطينية يؤدى الى التنازل عن أى جزء من الأرض المقدسة من الحقبة التوراتية . وهكذا نشأ تحالف موضوعى فى السنوات الأخيرة بين أحزاب اليمين المتشدد وهذا الشكل من الأصولية الصهيونية حول مصير يهوذا والسامرة ، وهو موضوع يعتبره كل من الطرفين أساسيا .

والوطنيون المتدينون على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشعب اليهودى عن طريق صناديق الاقتراع أولا ، ولكن أيضا — للأكثر تشددا منهم — عن طريق القوة ؛ لأنهم يعتبرون أوامر التوراة أهم بكثير من الديمقراطية أو من حقوق الإنسان ، هذه الاهتمامات الانسانية الثمينة التى لا تساوى شيئا أمام الخطط الالهية .

الفصل الأول

نهاية العالم للسيكارين (حملة الخناجر)

أو جذور الأصولية

يقول عالم الاثنولوجيا كلود ليفي شتراوس : « لا يوجد شيء أخطر على الانسانية من الأديان التوحيدية » (*) ، ثم يشرح مقولته : « على قدر الانفتاح الذى واجه به الهنود الأمريكيون الأوروبيين ، فانهم لم تكن لديهم النية لتجاهل الاختلافات بين الجانبين ؛ ولكنهم ببساطة كانوا على استعداد لتقبل المعتقدات القريبة وفساج مكان صغير لها الى جانب معتقداتهم — وهذه هي الميزة الكبيرة للأديان متعددة الآلهة على الأديان التوحيدية » . ولكن المشروع التوحيدي لا يمكن أن يسمح بأى مكان للتعددية الى جواره ، وكانت المذابح هي وسيلة استئصال الهرطقة .

واذا كانت فكرة الاله الواحد غير المرئي قد ساعدت في الأزمنة القديمة الانسان على تصور الاله مختلفا عن الأفكار الوثنية بآلهتها

(*) ليس التعصب جانبا أساسيا أو أصليا في الديانات التوحيدية فالمسيح يقول : « أما أنا فأقول لكم أن أحبوا أعداءكم » ، أما في القرآن فالنص واضح وصريح : « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (سورة الكهف) ، ولكن التعصب جاء نتيجة للطبيعة البشرية التي تسعى للأسف للتمايز والتفاخر ، حتى إنها اتخذت من تلك الرسائل المساوية القبيلة في بعض الأحيان ، لاسيما تحت تأثير التحالف المشيوي بين الطغاة ورجال الدين الفاسدين ، وسيلة للتنكيل بالخصوم ، فكانت محاكم التفتيش وتهم التكفير — (المحرر) -

الشبيهة بالانسان ، الا انها كانت ايضا تحمل بذرة التعصب حيث اقامت مملكة الواحد المطلق الاكبر .

وهكذا يمكننا ان نلاحظ اثر الاصولية حتى قبل كتابة أول حرف من التوراة ، وذلك عند سفح جبل سيناء حيث كان بنو اسرائيل يتلقون الوصايا الأولى من الله . فبينما كان موسى في أعالي الجبل يتلقى الوحي من الاله ، كان العبيد السابقون في مصر والمتعودون على تصور الاله على اشكال متعددة ، يطالبون باله مرئى وملموس .

فطلب الكاهن الأكبر هارون أن يأتيه كل بما يملكون من حلى ذهبية فصنع منها عجلا ذهبيا ؛ فقاموا يغنون ويرقصون ويتعبدون للعجل الذهبى . وعندما نزل موسى من أعلى الجبل وبيده لوحا العهد مكتوبا عليهما الوصايا العشر ورأى الشعب على هذه الحال غضب غضبا عظيما . وهكذا فالشعب الذى رأى مجد الرب يجلل جبل سيناء ويبدو كئيبا تظهر من وسط السحاب الذى يغطى الجبل وسمع صوت الرب يرنج فوق الجبل ، قام وصنع لنفسه صنما ليعبده على شكل عجل من الذهب ، فلزم بتأديب هؤلاء العصاة .

تقول الوصية الالهية : « لا تقتل » ومع ذلك ، فقد جمع موسى الية بنى لاوى فقال لهم : « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضيعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه » (٢) . وقتل فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل اختيروا عشوائيا لامتناس غضب النبى الذى شعر بالمهانة ؛ لان الشعب تفكر له بهذه السرعة .

وهكذا ، فحتى فى تلك الأزمنة الأولى للديانات التوحيدية نجد الاله الواحد - على العكس مما قد نظن - يجد صعوبة فى فرض سيطرته ، وفى قلب معبد اليهود والى جانب الاله غير المرئى ، رفع موسى حية من نحاس (نحوشتان) ووضعها على الراية لتحميمهم من الحيات التى كانت تهاجمهم ، أى أن موسى قدم تنازلا لعاداتهم الوثنية حيث اعتقدوا انها ستحميهم من غضب الله ومن ضرباته التى أنزلها بهم . وقد بقى هذا

« الصنم » طويلا في بيت الله وكانوا يتعبدون له ربما بثقة أكبر من الاله الذى لا يروونه . وفى القرن السابع قبل الميلاد حطم الملك حزقيا (*) أخيرا تمثال الحية هذا وفرض التوحيد المطلق ، والملك حزقيا هذا هو نفسه الذى فرض مركزية صارمة الى حد اغلاق جميع دور العبادة المقدسة الصغيرة في أرجاء المملكة ؛ حتى يبقى المعبد في اورشليم هو وحده مركز ولاء الشعب . لقد حاول عن طريق وحدة المكان والدين أن يدعم سلطته الملكية وان كان لم ينجح في تحقيق ذلك ، وهنا يبرز التحالف بين الدين والسياسة .

ويمكن أن نجد في التوراة العديد من القصص التى تدعم نظريتنا ولعلها أقرب الى الأساطير والأمثال منها الى التاريخ . ولكن هذا العنف التوراتى يعود ، اذا توخينا الدقة ، الى التعصب أكثر منه الى الأصولية حيث ان الشريعة كانت مازالت في طور التكوين . صحيح أن النظرة الدينية لا تقبل المقابلة بين التاريخ والأسطورة وتعتبر الوحي الالهى كلاً لا يتجزأ ، ولكن من وجهة النظر التاريخية التى نتخذها ، فإن الأصولية لا يمكن أن تظهر الا بعد أن يكتمل الوحي الالهى أو يبدو أنه قد اكتمل . فعندما يكتمل القانون الالهى أو الشريعة يشعر المؤمنون أن من واجبهم أن يتمسكوا بالطاعة الكاملة المطلقة للوحي الالهى ، وبالفعل بمجرد اكتمال التوراة ، وقف أوائل الأصوليين وسلاحهم في يدهم يدافعون عن راية اله اسرائيل في بلدان الشرق التى تفور بالمشاكل .

في عام ١٧٥ قبل الميلاد كانت يهودا مقاطعة سورية وكان الملك انطيوخوس الرابع قد اعتلى العرش وبدأ سياسة منظمة لفرض الطابع الاغريقى على فلسطين ، واختص الملك (اورشليم) مدينة الملك داود

(*) حزقيا : اسم عبرى يعنى الرب قوة ، وهو ابن أخاب ملك يهودا ، اشترك مع ابيه في الحكم في عام ٧٢٨ ق.م . ويقال أنه بدأ في الحكم في سن الخامسة والعشرين وافتتح حكمه بترميم الهيكل وتطهيره ، وانتصر حزقيا على الفلسطينيين ، وفى السنة الرابعة من حكمه بدأ شلمنصر حصار السامرة ، واكمل سرجون الثانى الحصار عام ٧٢٢ ق.م وحمل الأسباط العشرة للسىي . ومات حزقيا حوالي عام ٦٩٣ ق.م تاركا العرش لأبيه . (المراجع)

القديمة بمشروعاته الرائعة للتوسع والنمو التجارى ، ووعده المدينة بقانون خاص وحق سك العملة . ولانجاح سياسته كان لا بد من التخلص من أولئك الذين يريدون ابقاء السكان تحت نير شريعة التوراة ، فكان أول اجراءاته هو طرد كبير الكهنة ياسون وتعيين آخر يدعى مينيلاس بدلا منه لاقناعه بقضية الاغارقة .

بعد العودة من سبى بابل (*) ، انقسمت اليهودية بين أولئك الذين يريدون معاشة زمنهم ، وأولئك المتشددين المتمسكين بالشرعية الالهية . وسيطر انصار التغيير فى أول الأمر فبدأت القدس تلبس ثوبا جديدا ، فبنيت فيها قلعة ومنازل جميلة للأعيان . واخذ شباب اليهود من العائلات الغنية ، الذين آثروا مسامرة الأوضاع السائدة بدلا من التمسك بالتقاليد القديمة ، يقلدون عادات الحضارة الاغريقية فى اللبس والعادات وحتى فى التحدث باللغة اليونانية ، فكانوا يشاركون وهم عراة تماما فى مسابقات العدو أو رمى الرمح فى ساحة السباق ، فى حين كان الكهنة يتركون خدمة المعبد ويذهبون للتمتع بمشاهدة هذه المسابقات الوثنية . وأصبحت القدس مثل بقية العواصم المناظرة بما فيها من مظاهر البذخ والالعب والانحلال . وكانت الأمور يمكن أن تسير بكل سلاسة ، لولا أن المدينة كانت تمزقها الصراعات بين المهووسين بالدين الراغبين فى الاستقلال الذاتى وأتباع السلوقيين .

وعندما سرت اشاعة كاذبة عن موت انطيوخوس ، تصور كبير الكهنة المخلوع ان الوقت قد حان لاعادة سيطرته المفقودة ؛ فحاصر المدينة بقواته وحاول اقتحامها بالقوة ، الا أن الحامية الملكية فى القلعة صدت

(*) وهو سبى مملكة يهودا ، وقد تنبأ اشعيا بهذا السبى قبل وقوعه . وقد تم هذا السبى على يد نبوخذنصر فى أربع مراحل : فى عام ٦٠٥ ق م ، ٥٩٧ ق م ، ٥٨٧ ق م ثم فى عام ٥٨٢ ق م . فأخذ نبوخذ نصر عظماء البلد ومنهم دانيال ورفاقه ، والعمال الفنيين ، كما دمر الهيكل . وقد وصل اليهود فى السبى الى مراكز مرموقة ، فامتلكوا البيوت واشتغلوا بالتجارة . ثم سقطت بابل فى عام ٥٣٩ ق م يد كورش الفارسى وسمح بعودة اليهود الى اراضيهم - (المراجع) .

الهجوم بنجاح واضطر ياسون (*) الى الفرار . وهكذا كان لابد من معاقبة العصاة ، فبعد عودة الملك من حملة على مصر زحفت جيوش السلوقيين (**) على (القدس) لفرض النظام وحضارة المحتل ، وفي يوم السبت دخل الجنود السلوقيون المدينة وقتلوا الأكثر تشددا من أبناء اسرائيل وهدموا سور المدينة القديمة .

وتعرض الهيكل بصفة خاصة الى غضب الملك والى جانب انه حُصص لعبادة جوبيتر ؛ فقد جرى تدنيسه بأعمال فاضحة مما أثار أهمية الدينية لكل الشعب الذى قام ضد الثقافة الوثنية .

ومع ذلك ، فالسلوقيون لم يتبعوا فى أى من مستعمراتهم سياسة الاضطهاد الدينى (٣) ، وانطيوخوس مثل أسلافه لم يقصد أبداً ان يحرم اليهودية : فالبنانيون متعدد الآلهة لم يكن يضيق باله آخر !! . وعلى الرغم من أن كبير الكهنة ، مبنيلاس ، قد احتفظ بكل وظائفه وحافظ بذلك على الايمان باله اسرائيل ، الا أن الملك عمل على اضعاف كل مراكز العبادة المحلية بهدف الاحتفاظ بوحدة الشعوب غير المتجانسة التى تتكون منها امبراطوريته حول صورة جوبيتر . ولم يتصور انطيوخوس الذى كان يعتبر التعدد لآلهة متعددة امراً عادياً تماماً ، أن مجرد وضع تمثال من الحجر داخل الهيكل يمكن أن يستفز أولئك الأكثر تشدداً من أنصار التوراة الى حمل السلاح .

« الى يا من تحبون الله » . هكذا صاح الكاهن العجوز متاتيا (***)

(*) ياسون : اسم يوناني معناه يشفى . كاهن اعظم . ابن سمعان الثانى (١٧٤ - ١٧٦ ق م) . استعمل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود . وقد خلف اثنياس فى الكهانة بعد أن قدم رشوة لانطيوخوس الرابع . وقد هاجم القدس بمجرد أن ترددت شائعات عن هزيمة انطيوخوس فى مصر ، ولكنه هزم على ايدى المقاومة وفر الى عمان - (المراجع) .

(**) السلوقيون : نشأت الدولة السلوقية بعد الاسكندر ، واستولت على بلاد واسعة من أملاكه . وأسست الدولة السلوقية فى سوريا وغيرها من بلاد آسيا . دعيت كذلك نسبة الى سلوقيوس مؤسسها ، واستمر حكمها من ٣١٣ الى ٣٦٥ ق م . كان سلوقيوس قائداً فى جيش الاسكندر - (المراجع) .

(***) متاتيا : والد الاخوة الحشمونائيين . وقد قتل المسئول الملكى الذى ارسل لتدعيم عبادة زيوس . وكان هذا الحادث هو البؤرة التى فجرت الثورة ضد انطيوخوس وتزعّم متاتيا الثورة فى مرتفعات يهوذا . وقد خلفه فى الثورة يهوذا المكابى - (المراجع) .

الحشمونائي داعيا الى الثورة . ولا معنى للتساؤل اكانت تلك ثورة وطنية أم دينية ، ففي تلك الأزمنة السحيقة كان الايمان وثيق الصلة بالشعور الوطني، وخاصة في فلسطين حيث تسيطر شريعة الله على الحياة السياسية والنظام الاجتماعي والخلية العائلية . وقامت قوات يهوذا المكابي ابن الكاهن متاتيا بمناوشة القوات السورية ، دون هوادة ، دفاعا عن الاستقلال الذاتي والحرية الدينية . ودخل الثوار المنتصرون (اورشليم) المحررة من المحتل الأجنبي وهم يسبحون للخالق وكان أول ما قاموا به هو تطهير الهيكل من دنس عبادة الأوثان . ولكن الحشمونائيين عندما دعسوا اليهود الى الثورة باسم اله اسرائيل الواحد ، وعندما أقاموا أتوقراطية الشريعة الالهية فتحو الباب لكل أنواع التعصب .

وخلال القرن الثاني قبل الميلاد ، أثار يوحنا هيرقان ، حفيد متاتيا ، كل أشكال التعصب القومي مستخدما الدين بهدف فرض السيطرة القومية . وخلال ثلاثين عاما كان التعصب الديني وغزو الأراضي المجاورة هما أساس حكمه المضطرب . وغزت قواته البلدان المجاورة وأخضعت شعوبا بأكملها للاله الواحد ، فالسامريون (*) الذين كانوا يشاركون الاسرائيليين نفس الايمان دون أن يأخذوا مثلهم بالوحدة المتكاملة للتوراة، تعرضوا للاجتياح وهدم هيكلهم المقام على جبل جريزيم حتى آخر حجر . وفي الجنوب استعبد شعب أدوم (**) وفرض عليهم الدين اليهودي . وهدمت مدينة السامرة (***) التي احتلتها الجيوش اليهودية على يد

(*) السامريون : اشتق اسمهم من السامرة عاصمة مملكة اسرائيل ، ويبدو أنهم البقية الباقية من يهود هذه المملكة التي أصبحت بها عبادة مستقلة عن اورشليم والهيكل .
وحينما عاد اليهود من السبي البابلي رفضوا اشراك السامريين في اعادة الهيكل ، بل وسنوا القوانين التي تحرم الاختلاط بهم . وهم يؤمنون بأسفار موسى الخمسة : (١ - التكوين ٢ - الخروج ٣ - اللاويون ٤ - العدد ٥ - التثنية) بالإضافة الى سفر يوشع بن نون ، ولذلك يختلف كتابهم المقدس اختلافا واضحا عن التوراة الشائعة ، كما أنهم لا يقدسون التلمود الذي دونه حاخامات اليهود - (المراجع) .
(**) شعب أدوم : أحد الشعوب السامية التي كانت تقطن أرض كنعان ، ويعد الأدوميون الأعداء التقليديين للاسرائيليين ، إذ حارب شاؤول ضدهم ، وضم داود أجزاء من أرضهم - (المراجع) .

(***) السامرة : عاصمة مملكة اسرائيل التي يوجد فيها جبل « جريزيم » الذي يقيم اليه السامريون في عيد الفصح - (المراجع) .

المكافحين من أجل الحق الالهى . وفى الهيكل وقف يوحنا هيرقان بهلابسه
البيضاء وعلى رأسه تاج ذهبى نقش عليه اسم الله يعلن باسم الاله
هذا النصر المجيد .

لقد استخدم يوحنا هيرقان بذكاء الروح الوطنى للشعب اليهودى
وتقواه العميقة أداة لسياسته التوسعية ، وتحت قيادته توسعت دولة
يهودا الصغيرة ، التى كانت خاضعة للسوريين ، الى حدود امبراطورية
سليمان القديمة . وقد اعتمد بوصفه الكاهن الأكبر والحاكم المطلق على
الصدوقيين (*) ، الذين كانوا يحلمون بأمة يهودية قوية تتسع اقليميا
على حساب الاراضى السورية وتحكمها أتوقراطية طبقة متميزة ، وفى
مواجهتهم وقف الفريسيون (**) الذين لا يعترفون بالسيادة الا لله
ولا بقانون الا شريعته .

وعندما وضع الاحتلال الرومانى نهاية لأحلام التوسع اليهودية ،
كان الصراع ما زال محتدما بين الصدوقيين والفريسيين حول استخدام
التوراة أداة للغزو او موجهة للحياة فى تقوى ، أداة للسيطرة القومية او
للتشدد الدينى .

أما الملك هيرودس الذى أقامه مارك أنطونيوس على العرش ،
فاهتم بالدرجة الأولى بتجميل اورشليم وانشاء مدن حديثة فى البلاد ،
وقد فقدت الحكومة فى عهده صبغتها اليهودية وحتى الأعمال الكبرى
التى قام بها لتجميل الهيكل ، كان الغرض منها مجرد جعله فى مستوى
بقية المعابد الوثنية ، ووضع فوق مدخله نسر ذهبى ليذكر المصلين
بالطاعة الواجبة للحكام الزمنيين .

(*) الصدوقيون : تنتسب هذه الفرقة فى الروايات القديمة الى صدوق الكاهن
الأعظم لداود ، وقد ورث أحفاد صدوق الكهانة عنه ؛ الا أن بعض الباحثين يستبعدون
انتساب هذه الفرقة لصدوق الكاهن . واختلف الصدوقيون مع الفريسيين فى مسائل عديدة
مثل شكهم فى يوم الرب ، ورفضوا فكرة الثواب والعقاب فى الآخرة .

(**) الفريسيون : هم طائفة من علماء الشريعة ، وكانت لهم الكلمة العليا فى توجيه
المجتمع اليهودى على عهد المسيح . وقد دون الفريسيون معتقداتهم فى كتب بعضها
بالعبرية وبعضها بالآرامية واليونانية . وآمن الفريسيون ببعث الروح فى الجسد فى
آخر الأيام ، ويؤمنون بالملائكة والقضاء والقدر - (المراجع) .

وسرعان ما جاء رد الفعل الدينى الصرف على يد الاسنيين الذين اختاروا الانسحاب بعيدا فى الصحراء للتعبد .

ولكن الكفاح من أجل الاستقلال استمر سرا ، وهكذا ظهر حزب المتحمسين الذين أخذوا يحاربون النظام بالعنف والاجرام ومن بينهم السيكايريون — لأنهم كانوا يتسلحون بالخناجر الرومانية المسماة « سيكا » — وهؤلاء كانوا يغتالون سرا من يعتبرونهم قد خانوا القضية الوطنية . واذ سيطرت عليهم فكرة استعادة الاستقلال وأنهم انما يقربون عودة المسيح المنتظر بتطهير الأرض المقدسة من الآثام التى تدنسها ؛ فقد ألهبوا فلسطين بالدماء التى أغرقوها بها .

ويعتبر السيكايريون أكثر أشكال الاصولية حدة فى العصور القديمة ، فانهم لم يوجهوا ضرباتهم الى جنود العدو ، وانما الى يهود تهمتهم أنهم كانوا متراخين فى تطبيق الشريعة الالهية وفى مواقفهم الوطنية . وبدأ هؤلاء القتل فى أول الأمر باغتيال المتهمين بالتعاون مع السلطات الرومانية ، فقتلوا الكاهن الأكبر يوناثان وعددا من رؤساء اليهود المتهمين باتباع سياسة الوفاق ثم بدعوا بعد ذلك حربا حقيقية بين اليهود باغتيال المتعاونين ومن تزوجوا بأجنبيات وحتى من يتزينون بالزى الرومانى . وأخيرا دخلوا بسلاحهم العاصمة للسيطرة عليها ، وهكذا قطعوا العلاقة مع روما فتقدمت جحافل الرومان لسحق اليهودية .

وفى صيف العام ٧٠ الميلادى وبعد أن احدثت جيوش تيطس ثغرة فى أسوار القدس ، كان اليهود مازالوا يتقاتلون فيما بينهم ، واذ أخذتهم الحمية الدينية فقد قرر المتحمسون أن يطهروا الشعب بالحديد والنار .

واقتناعاً منهم بأن اجراءاتهم ستخلص الشعب وتقرب ساعة الخلاص بظهور المسيح المنتظر المرتقب ، وقفوا أعلى الأسوار يراقبون الأفق انتظارا لمجىء المخلص الذى لم يظهر أبداً . واندفع جنود الرومان داخل المدينة وأحرقوا الهيكل ، وسقطت يهودا . وتأكيذاً لقوة الرومان التى لا تقهر ، أمر تيطس بتسوية القدس بالتراب .

لقد أدى تعصب جماعة المتحمسين الى احراق الهيكل ؛ ولا تزال التقاليد اليهودية تذكر هذا الجرح الذى لا يندمل فى تاريخها .

لقد أدت الرؤية المتطرفة للمتحمسين والسيكاريين الى الغاء فرصة بقاء القومية اليهودية . حقيقة ، لم يتخل اليهود عن هويتهم بعدها مباشرة ، فعندما قرر الامبراطور هادريان (*) بعدها بستين عاما ، أى فى العام ١٣٠ ميلادية ، اعادة بناء المدينة وجعلها عاصمة رومانية لا تمارس فيها الشعائر اليهودية ثارت فلسطين مرة أخرى . وذرع حكيم عجوز هو الحاخام عقيفا(**) البلاد داعيا الشعب الذى لازال يعانى من آثار الهزيمة الى الوحدة وجمع الصفوف وتجنيد القوات لمحاربة المحتل، وقاد شمعون(***) بار كوخفا الملقب (بابن النجم) ، هؤلاء الرجال المصممين على نسيان خلافاتهم ومحاربة اعدائهم الحقيقيين وهم الرومان . ونجح الشعب المتحد فى الاستيلاء على (اورشليم) وبناء مذبح جديد على قل الهيكل المحترق ، ليكون حجر الأساس للهيكل الثالث ، ولكن سرعان ما قضت جحافل الرومان على الثورة وقتل بار كوخفا فى المعركة الأخيرة من هذه الحرب الأخيرة .

وبهذه المناسبة توقف لوقت طويل الكفاح الوطنى للشعب اليهودى . وفى هذا الجو المضطرب ، تطلع البعض مرة أخرى نحو الأمل فى المسيح المرتقب . واخذ تلاميذ يسوع الناصرى فى استكشاف طرق جديدة لا هى طريق الوطنية ولا هى فى اتباع تعاليم التوراة بدقة ، فكان الدرس الذى

(*) هادريان : امبراطور روماني (١١٧ - ١٣٨) . وقد حظيت السياسة التى اتبعها تجاه اليهود بقبولهم بيد أن تحريمه للختان الذى يعد طقسا أساسيا فى اليهودية أثار حفيظة اليهود . وقد قرر اصفاء الطامع الهيلينى على فلسطين من خلال تحويلها الى مستعمرة رومانية . وقد شهدت فترة حكمه ثورة بار كوخفا - (المراجع) .

(**) عقيفا : يعد واحدا من أهم مفسرى العهد القديم ، ويقوم منهجه على توضيح أن كل كلمة بالعهد القديم تنطوى على دلالات شديدة الخصوصية . وقد قام بتجميع وترتيب كل أقوال حاخامات التلمود وفقا لمواضيع الشريعة وقضاياها . (المراجع) .

(***) شمعون بار كوخفا : قاد بار كوخفا فى عام ١٣٢ الثورة ضد هادريان ، وزعم الحاخام عقيفا آنذاك أن بار كوخفا هو المسيح المنتظر ، ولكن هذا الرأى لم يحظ بقبول الحاخامات . ويضفى التلمود على بار كوخفا صفات أسطورية خارقة . وشن بار كوخفا ثورات عديدة ضد الرومان على مدى ثلاث سنوات - (المراجع) .

خرج به المسيحيون الأوائل هو أن الشعب اليهودي قد خسر الحماية الإلهية ؛ لأنه اهتم بالطقوس الدينية لاله غيور على حساب المحبة .

لقد اختلف أتباع الطقوس عن تلاميذ المسيح فاختر الأولون ، لكي يمكنهم العيش خارج حدود أرض الوطن ، أن يخلقوا لأنفسهم وطناً متنقلاً فكتبوا التلمود ، أما الآخرون فقد اختاروا لأنفسهم رسالة عالمية واستبعدوا الشريعة المتزمتة ليكسبوا العالم الوثني . وهكذا بدأت اليهودية تاريخاً جديداً فبعد فقدان اقليتها الوطنى ، أصبحت الأصولية فيها مقصورة على أساتذة الشريعة .

إن المشكلة التي واجهت اليهود بعد هدم الهيكل هي التي واجهتهم مرة أخرى في بولونيا بنهاية القرن السابع عشر : لقد حافظ المؤمنون على العهد واحترموا الوصايا التي تلقاها موسى على جبل سيناء ومع ذلك ، حاقت بهم أقسى المصائب وبدأ الشعور بفشل العلاقة بين الله وشعبه المختار يظهر مرة أخرى .

وكانت هذه الحقبة في الواقع من أشد الفترات إيلاماً في التاريخ المضطرب للشعب اليهودي ، وكانت عصابات القوزاق الخارجين على السلطة المركزية تجتاح مناطق بأكملها من شرق أوروبا ، مخلفة وراءها يهوداً وسط الرماد والأنقاض . ولكي يهربوا من هذا المصير ، حاول اليهود أن يتحرروا من التاريخ بالدخول في المغامرة الروحية التي تنقذهم من مصاعب العصر وتضعهم على الطريق المجيد للخلاص . وادى ظهور المسيح الدجال (شبتاي تسفى (*) من سميرنا) الى موجة من الحماس الشديد في بولندا ، التي كانت المصائب تحيق بها : فقد أعلن رجل الأقدار نهاية التعاسة التي يتحملها الشعب اليهودي وبزوغ مستقبل مشرق . . ولكن عندما طالبه الباب العالي في القسطنطينية أن يبرهن على قدراته

(*) ولد شبتاي تسفى (١٦٢٦ - ١٦٧٦) في أزمير ، وحينما بلغ السادسة والعشرين من عمره أعلن أنه المخلص الذي ينتظره اليهود ، وقد آمن به كثير من أعضاء الأقليات اليهودية في العالم ولا سيما في شرق أوروبا ، ثم أعلن أن عام ١٦٦٦ هو بداية العصر الألفى وأنه سيذهب ليخلع السلطان العثماني ، ولكنه أشهر إسلامه بعد مجيئه الى استانبول . وتعد طائفة الدونمة في تركيا من أتباعه - (المراجع) .

الخارقة التي يدعيها والا بعدم ، تخلى المسيح الدجال عن تنبؤاته واعتنق الاسلام وتخلّى عن الجماعات اليهودية التي أصابتها الصدمة بخيبة أمل عظيمة ! .

وفي هذا الجو الذي ينذر بنهاية العالم ، قام معالج رينى صغير باعادة الروح لليهودية مرة أخرى ، وهكذا نشأت الحسيدية (*) كرد فعل ضد الديانة الجافة للحاخامات ، حيث وضعت التفسيرات المعقدة للتلמוד ستارا يغطى العهد المبني على المحبة بين الله والانسان . فقد دعا بعل شيم توف (**) (المعلم ذو الاسم الطيب) الى العودة الى التدبّر الحماسي المبني على الفرح التابع من الغناء والرقص ، والايمان بالله موجود في كل الأشياء وحاضر في كل الأمكنة .

وهكذا شعر أتباعه بالسعادة في خدمة الخالق عن غير طريق التعقّق المجنون في دراسة النصوص واتباع الطقوس ذات الطبيعة التقشفية للنسك . وعلى العكس ، دعا بعل شيم توف الى دراسة التوراة واتباع الوصايا بروح الفرّح ، وفي مقابل الأرثوذكس العاكفين على الكتب ، كان المعلم الجديد يميل الى الاختلاء في الغابات أو الجبال حيث يقترب من الخالق عن طريق الصلاة التي تقترب من النشوة الملهمّة . وبشكل

(*) انتعشت الحركة الحسيدية في أوروبا الشرقية وخاصة في المناطق الريفية منها . وكان مؤسس هذه الحركة الذي يدعى « بعل شيم توف » يعظ القوم بقوله : « ان عبادة الله المثالية هي التقشف في الحياة اذ يستطيع الانسان أن يعبد ربه في الغابات وتحت الأشجار » .

وينص فكر هذه الحركة على أن الله ليس في حاجة الى المعابد ، وأن المعبد هو في داخل القلب المخلص ، وأن صلاة الانسان لا تحتاج الى أقوال أو أفعال وإنما هو سمر الفكر ، والتركيز في الخالق سبحانه وتعالى . كما تشير عقائد هذه الحركة الى أن العبادة يجب أن تتسم بمظاهر المرح والسرور . (المراجع) .

(**) بعل شيم توف .

ولدت هذه الشخصية المؤسسة للفكر الحسیدی (التصوف) اليهودي في مدينة بودوليا بجنوب بولندا في عام ١٧٠٠ . وكان اسمه الحقيقي اسرائيل بن اليعازر غير أن أتباعه أطلقوا عليه اسم « بعل شيم توف » الذي يعني « ذو الاسم الطيب » ، لما تمتع به من مكانة أسطورية في الأوساط اليهودية ، التي نسبت اليه المعجزات في مجال شفاء المرضى . توفي بعل شيم توف في عام ١٧٦٠ . (المراجع) .

ما كان يعارض « أصولية الحاخامات » ليخلق ايمانا أقرب الى التعبير المنطلق عن الاحساس .

وانطلق هذا التيار بسرعة من بولونيا الى روسيا ومن رومانيا الى جاليتسيا واصطدم في بعض الأحيان بعنف مع يهودية الحاخامات ، وحاول معارضو الحسيدية الذين لم يقتنعوا بالرسالة الروحية لهذا التيار ايقاف توسعه ولكن دون جدوى .

وتكونت في المراكز اليهودية الرئيسية مدارس حسيدية تجمعت كل منها حول أحد المعلمين ، والى جانب دراسة التلمود (*) ، التي اتخذت أحيانا طابعا تجريديا ، أنشأت الحسيدية دراسات تشجع الخيال والرؤى على أساس قصص ديني بناء يقوى روح الايمان ويشجع على استكشاف خفايا الكون ، وهذه القصص والأمثال كانت مصدر الالهام للأدب اليهودي ابتداء من يسرائيل تسانجفيل (**) حتى ايلي فيزيل .

وكان انتظار مجيء المسيح اليهودي المنتظر (المسيح (***)) يمثل جزءا هاما من الروح الديني الذي أطلقه بعل شيم توف ، فقد أصبح الأمل الوحيد للإنسانية يكمن في بعث الأموات والخلاص على يد مسيح السرب .

(*) التلمود : يحتوي التلمود على ثلاثة وستين كتابا من المؤلفات التاريخية والقانونية والأدبية التي وضعها القدماء من رجال الدين اليهودي في الكليات الدينية في بابل - (المراجع) .

ويشتمل التلمود على مجموعة من القوانين والشرائع . ولا تزال المعلومات التي تحتوي عليها كتب التلمود أهم ما يتلقاه رجال الدين من الأورثونكس والمحافظين .

(***) يسرائيل تسانجفيل : (١٨٦٤ - ١٩٢٦) : مؤلف يهودي بريطاني . ولد لعائلة روسية فقيرة في لندن . أصدر عدة أعمال عن طبيعة حياة اليهود في الجيتو . وقد جمع كل مقالاته التي كتبها عن حياة اليهود في كتاب صوت القدس . كانت الترجمة من أبرز اهتماماته ، فترجم عددا كبيرا من الشعر العبري الديني الى الانجليزية . وكان من أشد أنصار الفكر الصهيوني ، وعمل على الترويج له في انجلترا - (المراجع) .

(***) تستخدم اللغة العبرية لفظة « مشيح » للإشارة الى المسيح المنتظر ، وهذه اللفظة مشتقة من الفعل « مشح » أى مسح بالزيت ، ولكن معنى الكلمة تطور فأصبحت تشير الى ملك من نسل داود سيأتى بعد ظهور صهيون ، ويحطم أعداء اسرائيل ، ويتخذ أورشليم عاصمة له ، ويعيد بناء الهيكل ، ويحكم بالشرعية المكتوبة أى بالتوراة وبالشرعية الشفهية أى بالتلمود ، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم ألف عام - (المراجع) .

ولم تنشئ الحسيدية دراسة لاهوتية جديدة ولم تناد بأى شئ مخالف لتعاليم التوراة ، ولكن الحسيديين ، مثلهم مثل المسيحيين الأوائل ، ابتعدوا عن العالم الواقعي ووضعوا كل آمالهم في الله أو في المعلم الذي كان له السلطة حتى في تغيير بعض الوصايا الالهية . وبناء عليه ، أصبح أى عمل قد يؤثر على الواقع أمرا خارجا على الدين وتجب ادانته ، وبانسحابهم تدريجيا من العالم الحالى وضعوا أنفسهم على هامش الأحداث . وعلى الرغم من أنهم أصوليون بطريقتهم ، إلا أنهم عارضوا باصرار أية محاولة للتحرر ؛ وهكذا كانت نظرتهم للحياة القومية وبصفة عامة عارضت الحسيدية ، مثلها مثل أجزاء كبيرة من اليهودية الحاخامية ، بشدة عودة الشعب اليهودي الى أرضه التاريخية .

وفي القرن التاسع عشر أدى نشوء الأمم مرة أخرى الى انقلاب كبير في العقلية اليهودية ، ففى مواجهة العقائد الدينية فتحت الصهيونية السياسية المجال أمام العودة الى التاريخ القومى . وهكذا وجد الحاخامات ، الذين ورثوا الفريسيين ، سلطتهم الروحية مهددة بالرغبة اليهودية في إعادة الارتباط باقليمهم الجغرافى القديم . وبالطبع ، كان الصهيونيون الأوائل لهذا السبب بعيدين عن الأوساط الدينية ، في حين عارضهم الحاخامات الذين تخوفوا من زعزعة سلطاتهم الروحية . وقبل الحرب العالمية الثانية بقليل أبدى الحاخام موسى بلاو (*) ، احد قادة أجودات إسرائيل (**) المعادية للصهيونية ، صراحة ، القلق من «احتكار»

(*) موسى بلاو : ولد بلاو فى القدس فى عام ١٨٨٥ ، وتولى زعامة حزب أجودات إسرائيل من عام ١٩٢٤ حتى وفاته فى عام ١٩٤٦ . وتولى تحرير مجلة كول إسرائيل الناطقة بلسان الحزب . وقد مثل بلاو فى هذه الحركة أمام اللجان البريطانية والدولية المعنية بالقضية الفلسطينية - (المراجع) .

(**) أجودات إسرائيل : منظمة دينية وسياسية لليهود المتشددين ، ويتمثل مبدؤهم الرئيسى فى حل كل القضايا اليهودية وفقا لروح التوراة . وقد طرحت فكرة تأسيس « أجودات إسرائيل » لأول مرة فى عام ١٩٠٩ ، ولكن الاعلان الرسمى عن التأسيس . تم بعد ثلاث سنوات من ذلك ، ففى عام ١٩١٢ وفى أعقاب قرار المؤتمر الصهيونى العاشر (١٩١١) بتضمين البرنامج الصهيونى الأنشطة الثقافية ، انسحب بعض الأعضاء من منظمة «مزراحى» الدينية ، وأسسوا الى جانب مجموعات أخرى من اليهود المتدينين « أجودات إسرائيل » . وأعلنوا عن تأسيسها فى مؤتمر عقد لهذا الغرض فى بولند اعام ١٩١٢ - (المراجع) .

الصهيونيين للنفوذ على اليهودية ، كاشفا بذلك خوف الحاخامات من فقدان تفوذهم . قال : « ان الصهيونيين لا يحترمون حرمة السبت ، ومع ذلك يصرون على احتكار اليهودية ويعتبرون أنفسهم رغم ذلك يهودا طيبين . انهم يستخدمون فكرة القومية وهى فكرة جديدة على اليهودية — التى كانت حتى ذلك الوقت تتحدد بالدين وبالتوراة — للاستيلاء على اليهودية ؛ ليحققوا هدفهم فى الثورة على التوراة وقد تركوا التوراة ، وخلقوا صراعاً حول تعريف الشعب اليهودى » (٤) . ويتحقق النجاحات الاولى للصهيونية وزرع جماعات صهيونية كبيرة فى فلسطين ، عادت المناقشات القديمة الى الظهور بعنف : طبيعة الدولة المقبلة واقليمها الجغرافى ودور الدين داخلها كانت كلها فى قلب هذه الصراعات . واشترك فى هذه الصراعات كل الأطراف القديمة : أنصار دولة ضمن تجمع الأمم ، والمنادون بالهوية القومية المتميزة ، والمتدينون المرتبطون بالنصوص المقدسة وقد استخدموا العنف فى هذه الصراعات أحيانا . لقد اختفت الامبراطورية الرومانية منذ زمن طويل ولا زال اليهود منقسمين على أنفسهم .

لقد هز اغتيال اسحق رابين العالم ومع ذلك ، فالعديد من أشكال التطرف قد سبقت هذه الجريمة السياسية الدينية المجنونة . ومنذ قتل موسى عبدة العجل الذهبى ، وفرض الملك حزقيا عبادة الاله الواحد بالقوة ، واغتيال السيكاريين للكاهن الأكبر فى القدس ، بات من المعروف أن الأصولية لا تصل الى مداها الا عندما تتحد بالسياسة فبدون الرغبة فى السلطة ، يبقى الأصوليون محصورين فى معابدهم وفى مجالات الايمان يفرضون سلطتهم على مجموعات متناثرة من المؤمنين المرتبطلين بقضيتهم من قبل .

لقد كان جاكوب دى هان شخصية غريبة : لقد كان شاعرا وصحفيا وتقلب بين أيديولوجيات عديدة ومتناقضة ، فقد كان عضوا فى الحزب الاشتراكى الهولندى وطرد منه لأنه نشر قصة حب بين الشواذ ، وانجذب لفترة ما الى الصهيونية ثم تركها ليتبنى الأرثوذكسية الأكثر صرامة . واذا اقتنع بأن القومية اليهودية هى أيديولوجية معادية للدين ،

حاول في أوائل العشرينات أن يعبىء القوى المعادية للصهيونية، في تحالف ضم الحركات الدينية المتشددة والقوميين العرب . ونظرا لأنه كان نشطا جداً وذكياً ومقنعاً والناطق باسم الاتجاهات الأكثر خلقية ؛ فقد اعتبرته الحركة الصهيونية الهشة حتى ذلك الوقت خطراً عليها ، وفي يونيو ١٩٢٤ تم اغتياله على يد اثنين من رجال العمليات الخاصة للهاجاتاه.

لقد انقسم العالم اليهودي طويلاً بشأن حادث اغتيال آخر : ففي ١٦ يونيو ١٩٣٣ اغتال شخصان مجهولان على شاطئ البحر في تل أبيب حاييم أرلوزوروف (*) رئيس الإدارة السياسية للوكالة اليهودية وأحد الشخصيات البارزة في حزب العمل . ولم تكتشف أبداً شخصية القاتلين فربما كانا مجرمين عاديين ؛ ولكن كان هناك اقتناع عام أيامها بأن يد اليمين الصهيوني المتطرف لم تكن بعيدة عن الحادث . لقد أحاط الشك بآبا احيماير (**) مؤلف « كتاب السيكايريون » الذى امتدح فيه الاغتيال الفردى، فهذا المتطرف المعادى للشبوعية كان يحلم باحياء « المتحمسين » من الماضى السحيق . والقى البوليس البريطانى القبض على شريك احيماير

(*) حاييم أرلوزوروف (١٨٨٩ - ١٩٣٣) : زعيم وكاتب صهيونى . ولد فى أوكرانيا . وقد هاجر فى طفولته مع والديه الى ألمانيا ، وأصبح بها عضواً فعالاً فى حزب « هبوعيل متساعير » اليهودى ، وانتخب فى عام ١٩٢٣ عضواً بالمجلس الصهيونى العمومى ، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٢٤ ، وعمل بها سكرتيراً لحزب « هبوعيل متساعير » . وعمل فى عام ١٩٣٠ رئيساً لتحرير مجلة « أحداث هعفوداه » الناطقة بلسان حزب مباى ، ورأس فى عام ١٩٣١ القسم السياسى للوكالة اليهودية بالقدس ، ونجح فى التقليل من حدة التوتر بين الصهيونية والبريطانيين . وأولى أرلوزوروف اهتماماً ضخماً بتهجير اليهود الألمان الى فلسطين عقب تولي هتلر لمقاليد السلطة فى عام ١٩٣٣ . واغتيل فى عام ١٩٣٣ ، ووجهت أصابع الاتهام الى بعض أعضاء الحركة الصهيونية التصحيحية - (المراجع) .

(**) آبا احيماير (١٨٩٨ - ١٩٦٢) :

أحد قادة الحركة الصهيونية التصحيحية . ولد احيماير فى روسيا البيضاء ، وتلقى تعليمه فى مدرسة هرتزليا فى تل أبيب خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٤ ، ثم عاد الى روسيا حيث انضم الى منظمة « تسعيرى تسيون » . هاجر الى فلسطين فى عام ١٩٢٤ ، وانضم بعد هجرته الى منظمة « هبوعيل متساعير » ذات التوجهات الاشتراكية غير أنه انضم فى عام ١٩٢٨ الى الاتجاه التصحيحى المعارض للانتداب البريطانى . أسهمت أفكار احيماير فى تشكيل الأساس الفكرى لمنظمة الأرجون الارهابية التى تزعمها مناحيم بيغن - (المراجع) .

في الغرفة والمدعو ابراهام ستافسكى ، وبعدها بقليل على تسفى روزنبلات ، وهو شئاب معروف بآرائه اليمينية المتطرفة . وبعدها بشهرين أعلن دافيد بن جوريون امام لجنة العمل الصهيونى المجتمعة في براج : « توجد في فلسطين جماعة تابعة للحركة الصهيونية تمثل جزءا من حزب كبير — ولا أعرف حجم هذا الحزب — وهى تتبع سياسة الاغتيال السياسى ، ولقد نفذت هذه الحركة بنجاح عددا من الاغتيالات » .

وقرر القضاء البريطانى براءة روزنبلات وأدان ستافسكى ؛ ولكن المحكمة العليا برأته في النهاية لعدم كفاية الأدلة . وقد أثارت هذه القضية اهتماما كبيرا ولا زالت تؤرق ضمير الاسرائيلى ؛ ذلك لأنها كانت في صميم النقاش حول مصير الدولة ، فقد كان واضحا للجميع أن وراء هذه الجريمة الغامضة تقف رؤى متناقضة وهذا هو السبب في أن الضحية الوحيدة لهذه الحادثة المأساوية كان المنظر للجماعة وهو آبا أحيماير ، الذى قضى ثمانية عشر شهرا في السجون البريطانية بتهمة « التحريض على الثورة ضد حكم الانتداب » (٥) . وبعد ثلاثة وستين عاما أعلنت أرملة رابين بعد اغتياله أن الجو المسمم بين المتدينين والعلمانيين وبين اليمين واليسار يذكرها بأيام قضية آرلوزوروف .

ولا يبدو أن الهوة بين الاتجاهات المختلفة لليهودية أو بين النظرات المتضاربة لكيفية توطين اليهود في الأرض المقدسة سيتم التغلب عليها أبدا . ففى ١٠ فبراير ١٩٨٣ تجمع الآلاف من أنصار حركة (السلام الآن) أمام مكتب مناحم بيجين ؛ لادانة الاجتياح الاسرائيلى للبنان والمطالبة باقالة وزير الدفاع الجنرال آريل شارون ، فقام المتطرفون اليمينيون بمظاهرة مضادة والقيت قنبلة يدوية على المتظاهرين اليساريين ، فقتل أحدهم واسمه اميل جرينتسفاج وجرح عشرة آخرون ولم يتم معرفة المسئولين عن هذه الجريمة .

وفى ١٩٨٩ ظهرت مجموعة صغيرة اتخذت لنفسها اسم السيكايرين وحاولت احياء الحرب الاهلية بين اليهود ، مهددة كل من يبدو أنه يخون

القضية الوطنية ، فقامت بعدد من الهجمات الرمزية لتهديد بعض الشخصيات اليسارية . وهكذا تم احراق باب شقة مديرة أحد معاهد استطلاع الرأى ؛ لأنها تجرات ونشرت نتائج استطلاع بين أن أغلبية الاسرائيليين يوافقون على اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ؛ وأحرقت سيارة الكاتب دان الماجور بسبب ما قاله بشأن قتل الألفال الفلسطينيين . كذلك القيت قنبلتان حارقتان واحدة في فيلا دوق تابورى عمدة بتاح تكفاً لأنه سمح بفتح دار سينما يوم السبت ، والثانية في شقة عاموس شوكين صاحب جريدة ها آرتس لأنه « أضر بالأخلاق العامة » .

وقد عبر الأديب عاموس عوز عن قلقه من هذه الاتجاهات التى رأى أنها تهدد الشعب اليهودى بأكمله فقال :

« هذه الجماعة المتعصبة التى تفتقر الى الاحساس او الرحمة والتى ظهرت من أحد الأركان المظلمة لليهودية ، تهدد بتدمير كل ما هو مقدس وعزيز لتفرض علينا ديانة متوحشة ودموية ومجنونة . وهناك من يظنون خطأ بأن هذه الجماعة تعمل من أجل الحفاظ على سيطرتنا على الخليل ونابلس ، وأن هدفها هو مجرد اسرائيل الكبرى ، وأن هذا الهدف يبرر كل الوسائل حتى الدموية منها . ولكن شعار « أرض اسرائيل » ليس الا غطاء للهدف الحقيقى وهو : أن تفرض على دولة اسرائيل الشكل البشع والمشوه لليهودية الذى تتبناه . فإذا كانت تحاول طرد العرب ، فانما لتخضع بعد ذلك اليهود وتفرض علينا جميعا اضطهاد أنبيائها الكذبة المتوحشين . انها تؤثر على طبيعة الحضارة اليهودية فتحت القناع الخارجى الوطنى لهذه الجماعة يختفى حزب الله يهودى قاس ومعاد للحرية » .

ومنذ ذلك الحين ، تضاعفت الحركات المتطرفة وزادت راديكاليتهى وهى تدعو لاقامة اسرائيل الكبرى ، أى دولة الملك سليمان أو يوحنا هيرقان ، وهى على استعداد لمحاربة اليهود المنفتحين على الحضارات الأخرى أو الشعوب الأخرى . وفى الماضى اغتال السيكاريون الكاهن

الاكبر واليوم اغتالوا رئيس الوزراء وفي الحالتين تم ذلك باسم نفس المثل الأعلى وهو الانعزال ورفض الاختلاف ، والتاريخ يكرر نفسه : فإن معارك الأرثوذكس ضد دور السينما في القدس لا بد أن تذكّرنا بمعارك الحشمونائيين في المدينة المقدسة ، حيث تجرى في سلام المسابقات الرياضية تحت تأثير الحضارة الاغريقية . إن المتحمسين لاسرائيل الكبرى ، يستخدمون لغة الصدوقيين الذين فرضوا السيادة اليهودية على الشعوب المجاورة قبل الميلاد بمائة سنة ، والمتدينون المعادون للصهيونية هم بشكل ما ورثة الفريسيين المتمرسين داخل الهيكل والمنادين بفرض تعاليم التوراة على كل مناحي الحياة . ونكتشف في الانقسام بين اسرائيل والجماعات اليهودية بشكل يكاد يكون تاما المناقشات على أيام الملك هيرودس ، عندما كانت الدياسبورا تؤيد حكومة اورشليم ضد أغلبية سكان فلسطين الذين كانت سياسة الملك الرومانية لا تعجبهم .

وتوقفت هذه الصراعات الداخلية خلال سنوات المنفى الطويلة ، حيث لم يعد لها من معنى ، وكان على اليهود أن يعبثوا كل قواهم للمحافظة على استمرار بقائهم الروحي وعلى ايمانهم . فعندما وافق الحاخام الحكيم يوحنا بن زحاي (*) على الهرب من داخل القدس التي يحاصرها الرومان مختفيا داخل صندوق للنوتى ليقوم بتأسيس مدرسة في مدينة يافنيه الساحلية الصغيرة ، كان يعلن بشكل رمزي عن موت اليهودية القومية ؛ وأدى هذا الاعلان المسرحى الى ظهور شكل جديد للهوية . ففى يافنيه أولا ثم في بقية مراكز الدياسبورا ، تحولت اليهودية الى حارس للرسالة الالهية وفصلت ما بين الايمان الدينى والزهو الوطنى ، وقيدت نفسها داخل الاطار الروحي . وبمجرد ما أعادت اليهودية الارتباط باقليمها الجغرافى ، عادت الخلافات القديمة الى الظهور دون أى تعديل .

(*) يوحنا بن زحاي : زعيم فرقة الفريسيين . دخل فى خلافات عديدة مع فرقة الصدوقيين . وقد حسم العديد من القضايا الخاصة بالشرعية اليهودية . وفى ظل الفترة التي شبت فيها الثورة ضد الرومان فى القدس خلال الأعوام ٦٦-٧٠ ، فقد دعا بن زحاي الى السلام . وقد أسس مدرسة دينية فى يافنيه بفلسطين أصبحت فيما بعد أهم مركز روحى لليهودية - (المراجع) .



أديفيد بن جوريون حينما كان يدرس القانون في قسطنطينية.



اليعازر بن يهودا، الذي يعود إليه فضل إحياء اللغة العبرية الحديثة.



أول طابع يحمل صورة هرتزل.



حاييم وايزمان
زعيم الصهيونيه
الرومانيه



أحد اليهود القوقاز الذين استوطنوا
فلسطين في مطلع القرن العشرين.



الحاخام افراهام كوك زعيم الصهيونية الدينية.



مدرسو وتلاميذ المدرسة التلمودية في الخليل في عام ١٩٠٢.

منذ ألفى عام توقفت هذه المعارك بتحطيم اسرائيل وبالنفى ، وعلى
ايماننا يأمل البعض أن تتوقف المعارك عن طريق التعاون بين الرجال
ذوى النوايا الحسنة الذين سيمدون أيديهم الى بعضهم البعض على
الرغم من عشرات السنوات من الحروب ومن التعبيرات الحاقدة من
المتطرفين من كلا الطرفين . وعودة هذه الصراعات فى ظل الهيكل يقابلها
الأرثوذكس فى الدياسبورا بكل برود ، فهم لا يعتبرون أن سنوات المنفى
قد انتهت ، فانتظارا للخلاص ونهاية العالم يستمرون فى الولاء لحقيقة
أخرى هى الجيتو والمحاصرة ، حتى يجد المسيح شعبه يوم اعلان الساعة
مستعدا وبقوده فى المجد الى أرض الميعاد .

المفصل الثانى

العودة الى الجيتو

أو صعود الأرثوذكسية فى فرنسا

يعتبر الحاخام حاييم يعقوب شلامى الضمير والسند الروحى للجماعة الصغيرة التى يقودها فى الحى الحادى عشر فى باريس ، وطوال مقابلتنا لم يتوقف التليفون عن الرنين : فالشابة التى تريد اعتناق اليهودية تتساءل عن مصير طلبها ؛ ورب عائلة متعطل يبحث عن سند روحى ؛ وربة المنزل المتسكة بإبعاد اللبن عن اللحم ، كما تقضى الشريعة ، تسأله التوجيه بخصوص منشفة الأدوات المخصصة للألبان والتى استعملتها دون انتباه فى تجفيف الأطباق المخصصة للحوم ... ويرد الحاخام بغضب أو بابتسامة أو بتركيز على كل السائلين .

ويتحدث الحاخام أولا عن الاختلاف : الاختلاف بين اليهود والجويم (الأغيار) (*) ، والاختلاف بين اليهود واليهود ، وهو يستنكر ادعاء الجماهير التى تدعى أنها يهودية فى الوقت الذى تحاول فيه أن تتخفف من نير الرب . يقول :

(*) تعنى لفظة « جويم » الأمم أو الشعوب ، وقد تطورت دلالة هذه الكلمة فأصبحت تطلق على غير اليهود ، وتنطوى هذه الكلمة على دلالات وظلال عديدة ، خاصة وأن الشريعة اليهودية تنطوى على تفاصيل عديدة ، تحدد بدورها طبيعة العلاقة التى يجب أن تسود بين اليهودى وغيره ، فتحرم هذه الشريعة على اليهود أن يقرضوا غير اليهود أية أموال قبل اعيادهم بثلاثة أيام ، وتحرم عليهم أن يقطنوا فى منازل غير اليهود ، ولا يسيروا امام أى دور عبادة غير يهودية - (المراجع) .

« يجب أولا أن نضع التعريف لليهودي ، فقد تعرضت هذه الفكرة للتشويه بدرجة تستوجب إعادة تصحيح الأوضاع . ان الفرق بين اليهودي والأمم الأخرى نابع من التوراة الذي منحه الخالق للبشر منذ ثلاثة وثلاثين قرنا وقبله اسرائيل في حين رفضته الشعوب الأخرى . ان اليهودي يشعر بالامتنان لمن منحه الحياة ومنحه العالم ومنحه هذه القطعة من الوجود . وتتميز بقية البشرية عن العالم اليهودي بأنها عندما تواجه الاختيار الاخلاقي المعروض على كل انسان ، تختار رغباتها الشخصية وترفض طاعة الله ، أما اليهودي فأهم شيء لديه هو أن طاعة الله تأتي قبل ارادة المخلوق . وبناء على هذه الفكرة الأساسية ، فإذا كنا في هذا المنفى الذي استمر تسعة عشر قرنا نعتبر أنفسنا مازلنا يهودا ، فان ذلك يرتبط بعاملين : الأول — وهو أساسي — هو أن نخضع لارادة الله والثاني — وهو ثانوي — أن نواجه الأمم الأخرى . وفي الظروف المتقلبة للمنفى نحن معرضون لنسيان ارتنا وأن نختفى بالانصهار ، وهذا الانصهار له وجهان : أحدهما محرم عندما يتعلق الأمر بفقدان الولاء لله ، والآخر مسموح به بل مفروض وهو أن نشارك في الجهد الثقافي والحضاري للبلد الذي نعيش فيه . هذا الفرق بين المحرم والمفروض لم يكن دائما واضحا وهكذا نشأ بين اليهود ذلك الخليط من اليهودية والوثنية ... »

وظهرت حركات تفتقر الى الأساسيات فمن قائل أن المهم لليهودي هو أن يكون صهيونيا أو أن يكون انسانيا أو أن ينتمي الى البوند ... دون أية مراعاة لطاعة الله ! وهكذا نصل الى أشكال لا يمكن أن توصف بأنها يهودية ، فعندما نتحدث عن الليبرالية أو الالحاد أو العلمانية فما علاقة ذلك باليهودية ؟ ولماذا يكلف اليهودي الذي اختار هذا الطريق نفسه أن يعلن أنه قد تخلى عن شعبه ؟ أن يكون الانسان يهوديا يعني أنه قد اختار حياة مبنية على التوراة وعلى طاعة الله قبل أي شيء ، واليوم يقال ان هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ولائهم لله ، قد أصبحوا على الهامش وانهم يمثلون شريحة صغيرة للغاية وهنا على المرء أن يصمت فالكلمات لم تعد تعني شيئا . »

وحديث الحاخام شلامي ليس جديدا بين اليهود الفرنسيين ، فمنذ زمن بعيد حاولت جماعة من الأرثوذكس أن تثير المياه الهادئة للطائفة ؛ لتغلب فلسفة الاستبعاد والانعزال .

بعد أن طردوا من المملكة الفرنسية في نهاية القرن الرابع عشر ، لم تستطع الطائفة اليهودية أن تتكون ثانية الا بعد الثورة الفرنسية ، التي انشأت افكارها التحريرية العظيمة عالما جديدا . وقد بدأ هؤلاء اليهود الذين اصبحوا مواطنين اولا يندمجون في وطنهم الجديد ، باذلين الجهد رجاء ان يتم تقبل يهوديتهم الملونة بالأزرق والأبيض والأحمر . ولقد استطاع نابليون ببراعة ان يستغل رغبتهم هذه في اذابة الاسرائيلي الفرنسي في الوطن ، فقد حاول ان ينزع عن اليهودية القيود التي تكبلها زمنيا ؛ لتصبح « ديانة موسوية » منضبطة . ومنذ ذلك الوقت أصبح الحاخامات موظفين عموميين مهمتهم حسب نص المرسوم « أن يدعوا دوماً الى طاعة القوانين ، خاصة وقبل كل شيء فيما يتعلق بالدفاع عن الوطن . . . وأن يجعلوا الاسرائيليين يعتبرون أن الواجب الوطني واجب مقدس ، وأن يعلنوا لهم أنهم خلال فترة ادائهم الخدمة العسكرية يكونون معفيين من أية ممارسات تتعارض مع ادائهم لهذه الخدمة » .

ولم يكتف الامبراطور بهذه القواعد التي تعمل على اضعاف نفوذ الحاخامات وتأثير الطقوس ، وانما أدخل اليهود ضمن نظام بوليسي شبيه بذلك الذي كان ينظم صفوف الكاثوليك والبروتستانت . وأنشأ كونسيستوار في باريس وخمسة عشر كونسيستوار في الأقاليم ، تضم معابد اليهود التابعة ، وكان دور هذه المعابد الجديدة أن تحارب الخزعبلات القديمة ، فعندما أصروا رغم كل شيء على الفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة ، ثار الكونت نيكولا فروشو عمدة السين قائلاً : « ان حاخاماتكم قوم جهلة تسيطر عليهم الخرافات وغارقون في التلمود ويبدو أنه يسرهم الابتقاء على جماعتهم في حالة من الجهل المطبق » (١) .

ومنذ ذلك الحين دار صراع صامت بدرجة أو بأخرى بين التقليديين والأرثوذكس في صفوف اليهودية الفرنسية ، فقد حاول أنصار الديانة الجامدة والمحنطة أن يقاوموا انفتاح الحاخامات التابعين للمجمع أو

الكونسيستوار ولكن دون جدوى بصفة عامة ، فقد كانوا دائما اقلية، وكل ما استطاعوه هو أن تسمع شكواهم دون أن يستطيعوا التأثير على الطائفة .

وفي ١٨٥٦ عقد المجمع المركزى مؤتمرا ضم كبار الحاخامات وعلى جدول أعماله : اعادة النظر فى برامج التعليم الدينى وانقاص الوقت الذى تستغرقه الشعائر الدينية وادخال استخدام الأرغن فى المعابد . واحتج المدافع الأول عن الأرثوذكسية ، شلومو كلاين الحاخام الأكبر لكولمار ، على رياح الحداثة هذه ولكن دون جدوى .

وبعدها بقليل أرسل رسالة طويلة الى مؤسس مدرسة الحاخامات ببرلين يشكو فيها من خيبة امله فى اليهودية الفرنسية : « هناك حاخامات — عددهم قليل حمدا لله — لا يحافظون على قدسية يوم السبت واذا كانوا لا يكررونها اليوم فالكمل يعلم أنهم فعلوها علنا ، وآخرون يهاجمون التلمود علنا فى عظاتهم ، وآخرون يرفضون جميع الوصايا الحاخامية ، وآخرون يضيفون أو يحذفون أوامر ويهاجمون العادات المتبعة دون أن يوجه اليهم الكونسيستوار المركزى أى لوم . ولقد اضطهدونى لانى أرفض هذه البدع » (٢) .

وعلى الرغم من شكاوى الحاخام الأكبر ، تابعت اليهودية تغيرها واستمر المجتمع فى الانفتاح وبدأ مجلس الدولة وأكاديمية الطب والجيش يقبلون يهودا فى صفوفهم ، وتم قبول البارون جيمس دى روتشيلد قنصلا عاما للنمسا وشخص اسمه فرنان هالفين قنصلا عاما لتركيا. كتبت صحيفة الأرشيف الاسرائيلى بفخر : « استقبل الامبراطور والامبراطورة اليوم البارون جيمس دى روتشيلد فى سان كلو وتناول الغداء مع جلالتيهما » . وعند زواج جوستاف بن جيمس دى روتشيلد ، كتبت لونيڤير ازرائيليت باعتراز تقول : « لقد أرسلت كل من فرانكفورت وفينا ونابولى وانجلترا على الأقل سفيرا من هذه العائلة القوية التى يفوق بريق ذهبها صفا من الملوك » . وهكذا تداخلت اليهودية فى أرقى المجتمعات حتى وان اعتقد البعض ، على حد تعبير الشاعر هنرى هاينه ، أن هذا التحول كان « بطاقة الدخول » الى المجتمع الراقى . واعتنق أشيل فولد البروتستانتية

لكى يصبح وزيراً وتعمد چاك أوفنباخ ؛ لكى يزداد نجاحاً فى تمكين الامبراطورية الثانية من الغناء والرقص ولكن آخرين رفضوا تقديم هذه التنازلات ، من أجل نوع من الولاء الغامض . وكان الشاعر أوجين مانويل واحداً من هؤلاء فقد أسر اليه البعض بحسن نية أن اعتناقه المسيحية سيفيده فى تحقيق النجاح ... فكان رده أن كرر بتعال أنه غير مؤمن على الإطلاق وكان يكرر : « اعتناق المسيحية !! تصوروا أنهم تحدثوا فى ذلك ! وأنهم قالوا أن ذلك سيكون مفيداً لى ! وانه سيكون من حسن السياسة أن أتخلى عن دين لا أؤمن به لأدخل فى دين لا أؤمن به بدرجة أكبر ... أن دم ابراهيم الذى يجرى فى عروقى ليمنعنى من ذلك . ومع ذلك تفنى الشاعر باختلاط الثقافات قائلاً :

ثلاثة شعوب منحتنى ما أعيش بفضلها : الرومان واليونان وشعبى العبرانى القديم . روما علمتنى القانون ومنها أخذت الكتاب ، وأثينا علمتنى الجمال ، والقدس أعطتنى الاله .

وبقيت بعض المنفصات من آثار النظام القديم تؤثر على الحياة اليهودية : فقد أمرت الامبراطورة أوجينى بتعديل مخططات المعبد الجديد حتى لا يطل على شارع أوليفيه (شارع شاتودان حالياً) ويبقى مدخله من حارة لا فيكتوار ؛ وفى الجمعية الوطنية اعترض جول فافر على تعيين الحاخام الأكبر عضواً فى المجلس الأعلى للتعليم بصفته « خليفة جلادى المسيح المكمل لخطاهم » ... واعتبرت هذه المنفصات من بقايا ماض تم دفنه .

وبنهاية القرن التاسع عشر ، كانت اليهودية الفرنسية قد بنت معابدها الكبيرة على نمط الكنائس بما فيها الأرغن والكورس المختلط أثناء الاحتفالات الكبرى وارتدى الحاخامات الرداء الأسود مثل القساوسة . يتحدث جابريل أستروك فى كتابه « لى باغيون دى فانتوم » (٣) عن والده حاخام معبد شارع بيفو بياريس فى نهاية القرن الماضى قائلاً : « كان يجارى زمانه ، وكان يأسف لتخصيص يوم السبت للعبادة الاسرائيلية ، مما كان يضطر بعض المؤمنين الى الاختيار بين المعبد وبين متطلبات العمل » .

وفى الالزاس قاومت اليهودية طويلاً رياح التغيير مقتنية خطى الحاخام الأكبر كالاين ، ففى قرى كثيرة ارتبط المعبد والمدرسة فى المحافظة

على ايمان الأجداد والابقاء على التقاليد المرعية . ولكن هذا العالم التقى الصغير اختفى في خنادق الحرب العالمية الاولى ، فان جيلا من المتطوعين في الجيش الفرنسى والمجندين في الجيش الالمانى ، وصل الى الجبهة قبل أن يتعمق في تعاليم التوراة وابتعد خلال أربع سنوات عن المصادر الحية للتعاليم ، تخطى بعد ذلك نهائيا عن الطقوس التى لم تستطع الاستمرار بعد تلك الكارثة الكبرى .

لقد أدت الحرب العظمى الى « تطبيع » وضع اليهود في فرنسا بشكل ما بعد الآلام التى أحدثتها قضية دريفوس ، فقد أدهش الولاء الكامل والشجاعة التى أظهرها الجنود اليهود الكثرين من أعداء السامية الذين كانوا ما فتئوا يقولون بخيانة اليهود . ويشيد موريس باريس رئيس عصبة الوطنيين والمعادى القوي لدريفوس في كتابه « العائلات الروحية المختلفة في فرنسا » بهؤلاء المحاربين ويذكر عددا من أعمال البطولة ويصل الى الاستنتاج « الرغبة القوية للاسرائيليين للانصهار في روح فرنسا » .

وكان الرمز الأقوى دلالة على هذا الانصهار لليهودية في فرنسا هو استشهد ابراهام بلوخ الحاخام الأكبر لليون على جبهة تنتروكس في الفوج في أحد أيام السبت من عام ١٩١٤ ، فقد تناثر مائة وخمسون من الجنود الجرحى على أرض المعركة تحت القذف الالمانى الشديد وسعى الحاخام بين الجرحى محاولا مساعدتهم أو تخفيف آلامهم . وتصور أحد الجنود ذوى الاصابة الشديدة أنه قس كاثوليكي فطلب منه صليبا . . . فما كان من ابراهام بلوخ الا أن بحث عن صليب ووجد واحدا وأحضره للجندي المحتضر ، وبعدها بثوان انفجرت قنبلة ألمانية وتناثرت أشلاء الجندي الكاثوليكي ومساعدته اليهودى والصليب معا . كتب باريس : « ان صورة الحاخام العجوز وهو يقدم للجندي المحتضر علامة المسيح على الصليب لن تنمحي الى الأبد » . وبعدها رسمت الصور وكتبت الأشعار وأقيم نصب لتخليد هذا العمل للحاخام الأكبر والذي اعتبر دليلا على الأخوة الدينية العظيمة المنتظرة .

وفي هذا الجو لم يعد هناك مكان لليهودية الأرثوذكسية ، وتروى قصة عن الحاخام الأكبر لفرنسا جاكوب أنه عندما بدأ حياته في مِيلوز

حوالى سنة ١٩٢٠ ، زاره رئيس الطائفة وسأل الحاخام الشاب عن موضوع عظته القادمة مساء الجمعة ... فأجاب :

« سأحدث عن قواعد الطعام الشرعى » .

— اياك ان تفعل ، صاح الرئيس ، ان مساعدى يمتلك جزارة لا تلتزم بقواعد الذبح فى اليهودية ، وعلى اية حال ، فأغلب أعضاء الطائفة لا يتناولون الطعام الحلال .

— اذن سأحدث عن السبت .

— الشباب ؟ لا يمكن أن تكون جاداً ، ان المعبد بأكمله سيثور ضدك .

— اذن سأحدث عن تعليم الأطفال .

— ولكنهم يتعلمون جميعا فى المدارس العلمانية .

— اذن عم اتحدث ؟

— تحدث اليهم عن اليهودية ! » .

وفى مواجهة الارثوذكسية ، وجد الاسرائيلى الفرنسى فى الاحسان والتضامن المفزى الاجتماعى لديانته ، ففى يوم كيبور (يوم الغفران) ، يتوجه اعيان الطائفة لابسين الرندجوهات والقبعات العالية الى المعبد لاداء الواجب الدينى ، ويقدمون عطاياهم التى تذهب الى المحتاجين من أبناء الطائفة . وتحولت اليهودية الغربية الى حركة خيرية واسعة ، وأصبح الهدف من قيام الطائفة فى بلدان التسامح هو أن تسارع الى نجدة الاخوان المضطهدين ، ونشأ العديد من المنظمات التى هدفها معاونة البائسين فى البلدان النائية . فقام الاتحاد الاسرائيلى العالمى بانثشاء المدارس فى شمال افريقيا ، وقامت جمعية الاستيطان اليهودى بنيويورك بمساعدة المهاجرين من شرق أوروبا ، وضاعفت لجنة التوزيع الأمريكية من مساعداتها للمحتاجين ، وحتى فى روسيا قامت هيئة التنظيم ، البناء، العمل لمساعدة الشباب اليهودى للتدرب على الحرف والصناعة والزراعة .

وجاءت الحرب والاحتلال والنقل الى معسكرات الاعتقال لتنتهى هذا الوضع الهادئ ، فبعد الكارثة النازية كان لا بد من اعادة بناء اليهودية الفرنسية ووجد الكثير من اليهود الفرنسيين التعبير عن هويتهم عبر الارتباط السياسى .

فالبعض ومنهم من اشتركوا فى حركة المقاومة وكان بعضهم من المهاجرين الروس أو البولنديين ، اعتبروا الستالينية فجر عهد جديد ؛ والبعض وجدوا فى الصهيونية التعبير عن خصوصيتهم . كانت الطائفة اليهودية تبحث لها عن مكان فى العالم الجديد الخارج من تحت الأنقاض.

أخرج ريشار ديمبو فى ١٩٨٤ فيلم (الخطوة المائلة للمجنون) والذى حصل على أوسكار احسن فيلم اجنبى بل وحصل على جائزة لوى ديوك . وهو فيلم يتتبع مصير اليهود من خلال متابعته لحياة وتنقلات استاذ شطرنج سوفيتى ، واتبع المخرج شديد التدين قواعد السلوك الدينى فى عمله ؛ فكانت الكاميرات تتوقف عن العمل مساء الجمعة لتعود مرة أخرى صباح الأحد وذلك احتراماً لقداسة يوم السبت .

لقد مر ريشار ديمبو بالمسار التقليدى للشبيبة اليهودية التى نشأت فى ظل اليهودية الكونسيستورية الفاترة ، ثم استهوتها المغامرة الاسرائيلية فلما أصيبت بخيبة الأمل امتصها عالم الأرثوذكسية . لقد ولد لعائلة تقليدية ثم تطور فى عالم « غارق فى الحلم الكاذب للصهيونية » حسب تعبيره ، حيث أمضى اجازاته الأولى فى اسرائيل وعمره أربعة عشر عاماً وكان ذلك فى ١٩٦٢ . قال :

« كانت اسرائيل فى ذلك الوقت شيئاً عظيماً مختلفة تماماً عن فرنسا ، ولكننى لم أشعر أنى فى بيتى دون أن أعرف لذلك سبباً . كانوا يحدثوننا فى الحركة الصهيونية التى كنت أنتمى اليها عن الشيوعية وعن حركة المقاومة وعلومنا أغانى وطنية ولكن شيئاً فى داخلى لم يستجب لذلك ، لم أتصور اليوتوبيا أو الجنة على هذا الشكل ، لم أتخيل الكيبوتز مكاناً أعيش فيه . لماذا مررت بكل هذا دون أن أتوقف ؟ أعتقد أن

السبب في ذلك كان أساسا ضحالة الأهداف ، فنحن لم نجد أنفسنا في قلب حركة تغير شاملة وانما نعيد أشكالا قديمة ، عملية احلال ! .

لقد اقيمت الكيبوتزات ، وماذا بعد ؟ اقامة كيبوتزات اخرى ، لقد نقد التاريخ معناه فبمجرد تحقيق الهدف يصبح العمل الوحيد هو الدفاع عنه وتكراره ، انها اقرب الى حياة النبات ، استمرار حياة وتكرار خلية بيولوجية . اما الحياة الانسانية فيجب ان يحركها مشروع جماعى او مشروع روحى . لقد أحسست عندما كنت في اسرائيل ان الحياة التى أريدها يجب ان أختبرها حيث لا توجد قيود أو حدود ، والمغامرة الوحيدة التى بلا حدود هى مغامرة الفكر أو المعرفة ، وهنا الحد الوحيد هو المدى الذى أصل اليه . لقد تعرفت بأستاذ في البوجا ، وحتى حاولت تعلم اللغة الصينية ... ولكن الى جانب كتاب اللغة الصينية اشتريت أيضا كتابا عبريا ؛ لأنى احتفظت بالتعاليم العميقة للحاخام ليون اشكينازى ، الذى وضع لأولئك الجامعيين الذين يدعون أنهم يحسنون التفكير لمجرد أنهم يستطيعون قراءة كانط ، أن هناك مصدراً آخر للفكر وأن التوراة ليست مجرد كتاب قديم صعب الفهم ومملوء بقواعد السلوك ، وانها يحتوى نظرة متكاملة للانسان بكل ابعاده الجسدية والنفسية والاجتماعية والروحية ..

لقد فهمت ان المغامرة الداخلية تحتاج الى اخلاقيات والى معرفة ، والا سقط الانسان في عبادة الأوثان أو ضاع في جحيم المخدرات ، وفي نفس الوقت لم يخطر ببالي لحظة واحدة أن اطلب النصيحة من أى حاخام . وفي معابد الكونسيستوار التى كنا نغشاها في طفولتنا لم أستمع أبدا الى ما يساعد على اخراجنا من حالة التخيبط ، فحاخاماتنا كانوا يقومون بدورهم كحراس للقطيع ولكنهم كانوا كلابا لا تنبح أبدا . وفي ١٩٧٢ وكان عمرى اربعة وعشرين عاما ، التقيت بالحاخام روتنبرج ووجدته معلما كالمعلمين القدامى انه لم يكن حاخام ! « .

كان الحاخام حاييم يعقوف روتنبرج الذى يتحدث عنه ريشار ديمبو هو الذى روج في فرنسا للأرثوذكسية الأكثر تطرفا ، وقد تلقى تعليمه

في يشيفوت (*) بولونيا قبل الحرب ؛ مما منحه بمجرد وصوله الى باريس في ١٩٦٤ سلطة أدبية لا تقاوم . وكان هذا الرجل ذو اللحية الرمادية والوجه النحيل والعينين البراققتين ، يبدو آتيا من عالم اختفى وحاملا رسالة أتعوام بادوا . وكانت الأرثوذكسية اليهودية لا وجود لها تقريبا في ذلك الوقت في منطقة باريس الكبرى أو الهكساجون ، فقد مر بها بعض الحاخامات المسنين الذين أفلتوا من معسكرات الموت وحاولوا أن يؤسسوا بها مدارس ويشيفوت ومعابد ؛ ولكن المهمة بلغت من الضخامة حدا دفعهم الى تجاوزها والتوجه الى اسرائيل أو الولايات المتحدة . وتولى الحاخام روتنبرج بدأب مهمة انشاء نواة الجماعة . ولقد أصبح معبد شارع بافي وهو مبنى غريب الطراز تم بناؤه في اوائل القرن قلعة الأصولية الدينية ، وكانت حفنة من العجائز يصلون حينئذ في هذا المبنى الرحيب هربا من تلك المعابد الفرنسية الطراز والتي تسمع فيها — ويا للهول ! — موسيقى الأرغن اثناء الاحتفالات الدينية ، وكأنهم بقايا قوم خرجوا من الجيتو (**) المندثر .

وعندما دخل ريشار ديمبو لأول مرة اليشيفا في شارع بافي لم يجد هناك سوى ثلاثة من الطلبة ملتفين حول المعلم فاستقبلوه بحرارة ، فقد اعتبروه العلامة الأولى على العودة الجماعية للشعب اليهودي الى الدين . ونظرا لمروره بالحركة الصهيونية واتصاله بالثقافات الأجنبية ، فان ديمبو كان يمثل لهذه المجموعة الصغيرة المنكبة على النصوص والعبادات عالما مجهولا وان رأوا فيه علي الرغم من ذلك ظهور الارادة الالهية :

(*) **اليشيفوت** : كلمة عبرية مفردا « يشيفاه تعني لغويا (جلوس) . ولكنها تطلق اصطلاحا على المؤسسات التعليمية المتخصصة في الدراسات التلمودية ، ويدرس بها من يرغبون في العمل كحاخامات - (المراجع) .

(**) **الجيتو** : ان مصطلح جيتو يعني الحي الخاص باليهود ، وكان هذا الحي يحاط في العصور الوسطى بأسوار ، ولم يكن من المسموح لليهود مغادرة هذا الحي الا باذن من الكنيسة ، وقد استخدم هذا المصطلح للمرة الأولى لوصف الحي اليهودي في فينيسيا في عام ١٥١٦ م . ويرى البعض ان هذا المصطلح مشتق من الفعل العبري « جيط » الذي يعني الطلاق ، كما يرى البعض أنه مشتق من الكلمة الألمانية Geheckler التي تعني السور - (المراجع) .

يتذكر ريشار ديمبو : « دعيت الى مائدة الحاخام وكل مرة كان يطلب منى أن أحكى القصة ... لقد حدثت في الصحراء حيث عشت ثلاثة أسابيع مع الطوارق ، أحرق طفل أصبعه وتلوثت الإصبع وبدأت تلتهب ، غنزلت الجرح قدر الاستطاعة و أعطيت الصبي بعض حبات السلفا وكانت معى أنبوبة واحدة ولكنها سقطت من أمتعتى فى اليوم التالى . وهنا أخذت أبتهل الى الله قائلاً انى لا اطلب شيئاً لنفسى وانما فقط يجب ان أجد أنبوبة السلفا لانقاذ الصبي من الخطر ! وفى الصباح بينما كنت أتمشى فى منطقة صخرية ، توقفت دون سبب واضح واذا بى اجد أنبوبة السلفا تحت قدمى ! » وأكدت هذه القصة نجاح ديمبو فى وسط الأرثوذكس فقد أعطت لجماعة المتشددىن المتمرسىن فى شارع باقى الأمل فى مستقبل مجيد ، اذ أثبتت أن الحقيقة الالهية يمكن أن تتجلى فى أبعد أركان الأرض .

وكان هذا الأمل مطلوباً جداً فى ذلك الوقت ، فقد كانت الأوساط اليهودية الرسمية تنظر الى الحاخام روتنبرج وجماعته الصغيرة بسخط كبير . يذكر الياهو عوزان الذى يدير اليوم مدرسة الجماعة الشعور بعدم الثقة والاستبعاد الذى كانت تعاني منه الجماعة الأرثوذكسية ويقول :

« عندما وصل الحاخام روتنبرج الى باريس ، لاحظ أنه ينظر الى اليهود المتدينين وخاصة المنقطعىن لدراسة التوراة على أنهم يتطفلون على المجتمع ، وقد شعر فوراً بالمعارضة . لقد وافق الكونسيستوار على تعيينه حاخام ، لأحد المعابد فقط ، ولكن عندما أعلن أنه سينشئ يشيفا حيث يستطيع من أراد ، حسب ما يتيسر له ، أن يخصص وقتاً لدراسة التوراة انفجر الموقف ... انه سيعلم طفيليين ! قال قائلهم . وفى ذلك الوقت لم يكن أحد يجرؤ أن يعلن أنه يخصص نفسه للدراسات اليهودية ! لقد عانى الحاخام روتنبرج فترة طويلة من العنف من الكونسيستوار فقد اعتبروه خطراً على استقرار اليهودية . ولقد ناضل حتى تصبح دراسة التوراة معياراً للرقى الاجتماعى بدلاً من أن تكون عملاً محتقراً . وفى النهاية قلب الأوضاع ، اذ أظهر أن دراسة التوراة

تظهر القلب والعقل وتمنح الناس الفرحة . . . والبوم بعد خمس سنوات من اختفائه ، تحقق له الانتصار حيث انقلبت الاتجاهات » .

وفي الواقع انه في سنوات السبعينات كان ينظر الى الأرثوذكسية اليهودية بصفة عامة على أنها حالة من الجنون الهاديء البريء لجماعة صغيرة من عشاق الماضي . صحيح انها كانت تاريخيا موجودة باستمرار طوال القرنين الماضيين تقريبا ، الا أنه كان يبدو أنها مقدر لها ان تبقى دوما هامشية ومغايرة للمألوف .

حاولت الأجيال التي ولدت بعد الحرب ان تحقق مثلها العليا خلال يهودية متفاعلة ، فقد أرادت التعبير باعتزاز عن يهودية بعيدة عن المسارات الدينية ، ووجدت في مساندة اسرائيل والدفاع عن يهود الاتحاد السوفيتي والكفاح ضد معاداة السامية وذكرى المذابح والاشادة بالثقافة اليهودية ، وجدت فيها جوهر هويتها . ويكنى أن يعيد المرء قراءة مجلات الطائفة لتلك الحقبة ليلاحظ كيف كانت الرغبة في تحقيق خصوصية يهودية - فرنسية ، تمر عبر بناء أدب أو شعر أو مسرح يهودي . كانت هي الحقبة التي كان ايلي فيزيل يجتذب فيها الى محاضراته الشباب اليهودي المتطلع الى اعطاء معنى ليهوديته ، فكان يثير حماس جيل بأكمله باخراجه الى النور شعرا غيبيا ، وعبأ القوى الحية للطائفة من أجل صراع غير متكافئ لتحرير يهود الاتحاد السوفيتي وأعاد للحياة الأساتذة القدامى للحسيدية بحركة غامضة وعميقة . فما الذي بقي من كل ذلك ؟

واليوم اختفت اليهودية المتفاعلة باختفاء القضايا العظيمة ، فبماذا تتمسك ؟ ان هوية مبنية على الذاكرة لا يمكن أن تدوم طويلا فأى المعارك نخوض ؟ هل ضد الأب بيير العجوز الذي يثير في نهاية العمر مخاوفه من « اللوبي الصهيوني » ؟ أو باتريك سيبياستيان مؤلف سككش سىء الحظ عن جان ماري ليبين ؟ يا لها من أهداف هزيلة يوجددها مجتمع تقسمه خطوط اللياقة السياسية !!

ان الفراغ الوجودي الذي غرقت فيه اليهودية الفرنسية يؤدي أحيانا الى تزاوجات غريبة وانحرافات مضحكة . ان الحركة المسماة « في قلب

الاتصالات « تجار بالشكوى كلما اتهمتها إحدى أدوات الاتصال بأنها جماعة دينية ؛ ولكنها تتصرف كثيرا مثل هذه الجماعات : فانها تجتذب الذين أثرت الحياة على أعصابهم والضعفاء والمرضى وتقيم لهم جلسات علاج مزعوم عن طريق المحادثة وذلك مقابل ثمن غال ، كما تبيعهم أدوية الدجالين والكل مغلف بحديث مريك عن دور الإرادة في الشفاء .. ورئيسة الجماعة كلير نويه ، وهى ابنة أحد اليهود الذين أرسلهم النازيون الى معسكرات الموت ، تخلط بشكل عجيب بين النازية والسرطان ، وبالفت في هذه الفلسفة المريية الى حد أنها عقدت (سيمينار) في أوشفيتز الذى انقلب بهذه الطريقة الى مكان لعلاج المرضى وتهدئة الآلام ! وقد وجد كثير من اليهود غاقدى الاتجاه في هذا العلاج بالكارثة النازية تعبيرا جديدا عن هويتهم .

يعتبر حاييم موزيكان مدير المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية في فرنسا أنه اذا كان هناك الكثير من التجديد الدينى في الطائفة ؛ فانه يلاحظ من الناحية الأخرى مزيد من الانصراف عن الدين :

« ان اليهود الذين كانوا يعبرون عن هويتهم عن غير طريق الدين مثل تأييد اسرائيل أو التضامن مع اليهود المضطهدين أو تذكر التاريخ لا يرتبطون بالضرورة بالتعريف الدينى للطائفة ، وهناك خطر حقيقى في أن يتعاش عالمنا لا تفاهم بينهما جنبا الى جنب ، فمن جهة يوجد أولئك الذين يعتبرون اليهودية مجرد حقيقة دينية ، وأحيانا يكونون بعيدين عن روح التسامح تجاه الآخرين : فبعض المدارس تتصرف بعقلية القرون الوسطى ، حيث سحب كتاب لتدريس الانجليزية لأن به صورا لفتيات يلبسن « المينى جيب » ؛ ومن جهة أخرى يوجد يهود متدينون بشكل ما وتقليديون بشكل ما ويتبعون قواعد الدين من الذاكرة وعندما يتحدث اليهم المرء عن الدين الحق لا يفهمون ولا يتجاوبون ؛ ولذلك فانه من الممكن أن يبتعد عدد منهم عن الطائفة ... ولا أعرف ما اذا كانت الكلمة المعبرة عن ذلك هى التمزق أو الكسر أو الهوة ولكن يوجد على الأقل خطر عدم الفهم بين هذين العالمين ... يجب أن نفكر فى الوسيلة لتقريب هذين القطبين . نتحدث كثيرا عن وحدة الشعب اليهودي وهو تعبير

محبب وإيجابى ولكن ماذا فعلنا لتحقيقه ؟ هل وضعنا برامج تثقيفية أو تعليمية ؟ هل قمنا بحملة لتشجيع الحوار والتسامح بين أفراد الطائفة اليهودية ؟ ان العمل المتعجل والتركيز على الاهداف العاجلة كثيرا ما ينسينا العمل من أجل المشروعات التوحيدية . وفى نظر البعض لا توجد مشكلة فالله موجود ولا شئ آخر يمكن أن يقال ، ولكن هناك الآخرون أى أولئك التائهون بشكل أو بآخر . لقد كانوا على استعداد ، من أجل الدفاع عن اسرائيل وعن اليهود المهددين فى أى مكان من العالم ، لحضور أى عدد من الاجتماعات والاشتراك فى كل المظاهرات وتوقيع البيانات والنداءات ، والنتيجة : اليهود قد انقذوا واسرائيل قوية اليوم ، ونحن ماذا نفعل ؟ ان التحدى الكبير للقرن الحادى والعشرين ، سيكون تحديد مضمون للهوية اليهودية فى الدياسبورا .

ان الخاصية الجديدة لليهودية الفرنسية هى الاستقطاب الواضح بين اللامبالاة والأرثوذكسية ، والوسط المائع من الذين كانوا يدعون أنفسهم يهودا ؛ لأنهم يتناولون وجبة مساء الجمعة من سمك الشبوط المحشو أو من الكوسكوس ، يبتعد عن اليهودية التى أصبح لا يتعرف عليها ، ولو استمر هذا التوجه فلن يبقى أمام اليهودية الفرنسية الا طريقان : إما الانصهار وإما الانغماس فى تدين بلا تنازلات ، وهو خيار أكثر حدة مما يفضلهُ الكثيرون . ولعل الطريق الثالث وهو طريق الاعتدال والاخلاص ، كان هو الأخرى باعطاء معنى ومضمون لليهودية تبحث لنفسها عن هوية .

ولنرجع الى الأرقام حتى وان كان من المستحيل الحصول على احصاء دقيق وعلمى . يقدر جان شارل زربيب المسئول عن إدارة الشباب فى الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد أنه من بين الخمسمائة الى السبعمائة ألف يهودى فرنسى « أكثر من النصف ليس لهم أية علاقة بالطائفة ، والربع لهم علاقة بعيدة (فهم يتوجهون الى المعبد فى حالات الولادة والوفاة) ، ويكون الربع الباقى النواة الصلبة للطائفة » (٤) ، وهذه النواة الصلبة نفسها قابلة للمناقشة لأن جان — شارل زربيب يدرج ضمنها أولئك الذين يذهبون للمعبد مرة واحدة فى العام لحضور

الاحتفال الكبير بيوم كيبور (*) . وتقدر كاترين جارسون الصحافية بمجلة لاكتواليته جوييف أن عدد الأرثوذكس الحقيقيين في فرنسا يتراوح بين خمسة عشر وعشرين ألف شخص ، وهو ما يقدر بحوالى اثنين بالمائة فقط من اجمالى عدد اليهود ، ولكن هذه النسبة تتجه الى الازدياد : ففى اليشيفوت أكثر من نصف التلاميذ يأتون من أوساط من غير المتدينين .

وهؤلاء اليهود التائبون مصادرهم متعددة ، فجيل بأكمله ممن صدمتهم خيبة الأمل فى مايو ١٩٦٨ راحوا يبحثون فى مكان آخر عن تحقيق الحلم الكبير الذى ضاع ، والبعض اكتشفوا طريقا جديدا فى البيزنيس والليبرالية الاقتصادية ، والبعض عادوا الى جذورهم اليهودية وانضموا الى اليشيفا . والبعض من أولئك الذين اجتذبتهم يوما ما التروتسكية او الستالينية او الماوية او اليسارية بالوانها ، وجدوا فى دراسة التلمود والتطبيق المتشدد للشريعة تعويضا عن خيبة الأمل . وفى مواجهة هذه العودة الى الدين ، يرسم الاساتذة على وجوههم علامات الذهول ويرون فيها معجزات من عمل الاله . ومع ذلك ، فأقرب شىء الى التفكير اليهودى الأرثوذكسى هو اليسارية المتزمتة فخط التفكير واحد : تفكير موجه فى خطوط محددة والسير على القواعد الدقيقة ودون تفكير والانتماء الى جماعة صغيرة متميزة وتمتلك الحقيقة . وهؤلاء المتحمسون يناضلون كما فى السابق لتحقيق عملية تغيير حتمية ستؤدى الى انتصار هدفهم ، فبالأمس كانوا يناضلون من أجل التعجيل بالحكم الماركسى ونجاح الثورة العالمية ، واليوم يناضلون لتعجيل العودة المعلنة والحتية للمسيح المنتظر .

انهم فى الحالين اصحاب المعرفة المبادرة والطليلة الظافرة لمخطط عظيم يتجاوزهم ابعادا . وكثيرا ما يظهر التناقض حيث لا نتوقعه ،

(*) يوم كيبور (يوم الغفران) أى يوم الكفارة . ويعد هذا اليوم واحدا من أهم الأعياد اليهودية ان لم يكن أهمها على الإطلاق ، وهو العاشر من شهر تشرين (أكتوبر) . ويبدأ هذا العيد قبل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشرين ، ويستمر حتى غروب شمس اليوم التالى ، فمدته حوالى ٢٧ ساعة ، يجب فيها الصيام ليلا ونهارا وعدم الاشتغال بأى شىء ما خلا العبادة - (المراجع) .

غالارثوذكس مثلاً يثبتون حدائتهم بما يبدونه من براعة في استخدام الانترنت والمعلوماتية ، والعالم الدينى يستخدم على نطاق واسع التسهيلات التى توفرها التكنولوجيات الحديثة ، وقد أدخل الدراسات التلمودية على الحاسب ذلك أن الدقة شبه العلمية للمعلوماتية تناسب تماماً الحاجة القوية للأرثوذكس للعمل فى بيئة موجهة ، فمناشئة الحاسوب ترسم حدوداً لا يمكن تخطيها ؛ ومثلما هو الحال فى التقاليد الدينية يحدد سهم صغير الاتجاه الصحيح . وبالمثل ، فإنه من الطبيعى والمنطقى والمنظر أن أغلب اساتذة التلمود الذين لم يخرجوا من أوساط اليثيفا الضيقة يكونون من ذوى الخلفيات العلمية أو الفروع الأكثر صرامة من فروع المعرفة الانسانية ، وهم يجدون التطبيق الحرفى للقواعد متمشياً مع ما تعودوا عليه .

ودون تخطيط مسبق ، وجدت يهودية نهاية القرن فى الأرثوذكسية ما صورت أنه هويتها المنقودة . ففى مواجهة العبارات المنغمة لكثير من الحاخامات التقليديين ، يجتذب التعصب بنظرته التبسيطية الوحيدة الاتجاه الشباب فاقد الاتجاه بسهولة . ويشعر الحاخام يتسحاق فايل مدير اليثيفا فى (اكس لى بان) بهذه الصحوه الدينية الجديدة : ان الآباء يدفعون مزيداً من الأطفال لترك الدراسة فى سن الرابعة عشرة وتكريس أنفسهم للدراسات اليهودية .

وهذه الاتجاهات المتطرفة تمكنت من الظهور بسهولة أكبر بسبب أن غالبية يهود فرنسا هم من السفارديين (اليهود الشرقيين) (*) الآتين من شمال افريقيا والذين كانت تقاليدهم الطقوسية أكثر حيوية .

(*) السفارديون : تشكل هذه الطائفة بالمقارنة بالطائفة الاشكنازية اقلية صغيرة ، حيث أنها تضم بين ١٢ - ١٥ ٪ من يهود العالم ، وأصل التسمية يرجع الى كلمة سفاراد ، وبينما يرى البعض أن أصل هذه التسمية مستمد من اسم مكان فى شمال فلسطين نفى اليه اليهود بعد السبى البابلى ، الا أن غالبية الباحثين ترى أن أصل هذه التسمية مستمد من كلمة « سفاراد » التى تعنى اسبانيا . وتطلق هذه التسمية على اليهود الذين انحدروا من الجاليات اليهودية التى طردت من اسبانيا والبرتغال فى عام ١٤٩٢ ، ثم عام ١٤٩٦ اثر محاكم التفتيش . وهاجر معظم هؤلاء الى جنوب أوروبا وشمال افريقيا وبلدان الشرق الأوسط .

ويطلق مسمى « السفارديين » حالياً على يهود البلدان العربية الذين هاجروا الى اسرائيل فى بدايات القرن الماضى ، وخلال النصف الاول من القرن العشرين - (المراجع) .

يقول الحاخام جيرار زيزيك مدير يشيفا الطلبة بباريس : « لولا جماهير السيفارديين لما كانت هناك يهودية دينية في فرنسا » .

وصحيح ان مجيء يهود افريقيا الشمالية قد غير الطائفة اليهودية بعمق ، واذ جاءوا كمنفيين الى فرنسا التي لا يعرفونها ، فقد تلقوا صدمة ثقافية ، فكان مرجعهم هو اليهودية حيث وجدوا انفسهم في عالمها . ولكن احتياجاتهم الطقسية تجاوزت بكثير احتياجات الاشكنازيين (اليهود الغربيين) (*) وتدعمت من اجلهم بنية تحتية كبيرة من موردى الاغذية الكاشير والمؤسسات التعليمية والمعابد .

واليوم ، تسعون بالمائة من تلامذة اليشيفوت الفرنسيين هم من السيفارديين ، وصحيح انهم يلبسون الردنجوت والقبعة السوداء على الطريقة الليتوانية ؛ ولكنهم من اصل مغربي وهى ظاهرة غريبة من اشكال التعبير عن الهوية ولكنها تدل على آثار صدمة الكارثة النازية . وحيث ان طوائف السيفارديين لم تتعرض الى الابداء الجماعية ؛ فقد جاءت اجيالهم التالية لتعوض اليهود الذين اُحرقوا في أوشفيتز . لقد ارادوا بذلك ان يملأوا الفراغ الذى سببته الابداء وأن يؤدوا واجبهم نحو قدر اليهود ، حتى بعد الحدث ، بتحمل نصيبهم من المأساة وتقمص دور الصّحية .

وفي الوقت نفسه شعر المدرسون السيفارديون بعقدة نقص تجاه زملائهم الاشكناز الأكثر تشددا ؛ فقد وجدوا فيهم مثلا أعلى للنقاء

(*) الاشكناز : يشكل الاشكناز غالبية يهود العالم ، فيشكلون ما يتراوح بين ٨٠ - ٨٥٪ من يهود العالم ، ويعود اصل هذه التسمية الى ما جاء في الفقرة الثالثة من الاصحاح العاشر من سفر التكوين التي جاء بها : « وبنو جومر اشكناز وريفات ونوكرمه » ، وقد أطلقت هذه الكلمة للإشارة الى المجتمعات اليهودية الموجودة في أعالي الفرات في أرمينيا ، وقد استخدمت هذه الكلمة في العصور الوسطى للإشارة الى الأراضى الأوروبية التي يسكنها العنصر الجرمانى ثم أصبحت هذه الكلمة تشير الى ألمانيا ، ثم توسع استعمالها واخذ يعنى اليهود النين يعيشون في ألمانيا وشمال فرنسا وشرقها والنمسا وروسيا . واتسعت دلالة هذا المسمى (اشكناز) بحيث أصبح يعنى كل يهود الغرب بما في ذلك يهود أمريكا - (المراجع) .

الحقيقى ورفضوا اليهودية التقليدية الهادئة لأفريقيا الشمالية ، واندمجوا في الأرثوذكسية اللتوانية الأكثر تطرفا .

يعتقد الحاخام زيزيك أن النموذج السيفاردى ما كان ممكنا أن يبقى بعد الانتقال قائلًا :

« في أفريقيا الشمالية لم تكن هناك مواجهة تقريبا مع العالم العربى أما هنا فالمواجهة مع الوسط المحيط قوية جداً ، مما يفرض اعطاء مضمون لليهودية وبالتالي يفرض ضرورة الدراسة ، لقد اكتسب موضوع الدراسة بعدا مركزيا . لقد عشت سبع سنوات في كريت وقد لاحظت أن من كانوا متدينين بشكل متوسط في الدار البيضاء أو في غيرها قد ازدادوا تدينا في فرنسا ... لقد كان تناول الطعام الكاشير هناك هو عمل عادى ، أما هنا فمراعاة قواعد الطعام المطابق للشرعية أو الراحة في أيام السبت تستوجب وجود مضمون ومن هنا ضرورة الدراسة » .

يأسف البروفيسور يوسف فانتون مدير الدراسات العبرانية في جامعة ستراسبورج لضعف الموروث السيفاردى :

« لقد خنقت اليهودية الأرثوذكسية تلك الحرارة في الصلاة وشعور الفرح بالحياة واليهودية الدافئة ! لقد حدث انفصام مع الماضى في أفريقيا الشمالية بسبب الهجرة والمواجهة مع جو غريب ، ولم توازن السلطة الأبوية هذا الانفصام لأن الخلية العائلية قد ضعفت في المجتمع الحديث . وهكذا توصل الأبناء الذين تعلموا في بعض المدارس اليهودية الى ادانة يهوديتهم الأصلية فهم يقولون لأبائهم : « انكم كنتم تمارسون الطقوس دون فهم بطريقة روتينية ، أما الآن فنحن نرجع الى النص ونفهم ! » . وهكذا فبضربة واحدة تستبعد يهودية شمال أفريقيا رغم أصالتها ، وهكذا أهملت كل الترانيم والعادات واللحظات المفعمة بالايان التى كانت تمارس في شمال أفريقيا لصالح النموذج الآتى من ليتوانيا » .

ولكن هذا « الاستبعاد » ليس نهاية المطاف فالمرء يغير ملبسه ولكنه يبقى مخلصا للأساسيات ؛ لأن الجذور الثقافية للسيفاردية ترجع

بالطبع الى التوراة . كان الحاخام دانييل هيمان مدير يشيفا ايبيني سير سين يقول لى عندما يختار ابن لعائلة اشكنازية غين متدنية أن يكسرس نفسه للدراسة التلمودية ، فان الدائرة المحيطة تعتبر ذلك كارثة ، بعكس العائلة السيفاردية التى تتقبل نفس الطلب بفخر وفخر .

ان الاختلاف بين التقليديين والأرثوذكس فى صفوف السيفارديين ليس بارزا ، فهم يتقبلون بصفة عامة نظاما شديدا للتدين حتى لو أبعدتهم انشغالاتهم المهنية أو ظروف الحياة عن ممارسته بدقة . وعندما يحضر الى فرنسا حاخامات سيفارديون أرثوذكس لالقاء محاضرات ، فان جمهور الحاضرين لا يقتصر على الأصوليين بل يحضر خليط ممن يريدون تلقى بعض الحكمة من هؤلاء الأساتذة . وحيث تختلط التقاليد مع الخرافات فلا مانع من أن يطلب البعض منهم بركة أو تعويذة لجلب الخير . وهكذا نشأت تجارة حقيقية حول الحاخام المعروف باسم بابا مصالى (*) ، وهو مغربى توجه الى الأرض المقدسة حيث توفى فى ١٩٨٤ ، وقد حولت الدعاية صورة هذا العجوز المبجل الى ما يشبه أحد أصناف المياه الغازية ؛ فتجدها مصورة على الشمعدانات والتماثيل ويحافظ أتباعه على أسطوره وقيمون الاحتفال بمولده بشكل منتظم تماما .

.. ونسبت لنبايا مصالى الكرامات ، حيث قيل إنه بمجرد الصلاة يستطيع أن يشفى المرضى ويشفى النساء العاقرات من العقم ويحسن أحوال الفقراء . ومن كراماته حكى أنه كان فى مدينته تافيلليت حاكم مستبد ، وأنه حضر يوماً ما الى جانب الحاكم فى أحد الاحتفالات الرسمية حيث كان الجميع يحيون الحاكم المرهوب بكل احترام ...

ولكن بابا مصالى لم يكتف بعدم تناول يد الحاكم الممدودة للسلام ، وإنما أخذ يؤنبه على اساءاته للطائفة اليهودية فاستشاط الحاكم غضبا وقال : « سأنتقم لوقاحتك هذه يوماً ما » .

(*) ولد هذا الحاخام عام ١٨٩٠ فى المغرب ، وزعم أنه قادر على الاتيان بمعجزات مثل الشفاء من الأمراض . هاجر الى اسرائيل عام ١٩٦٤ ، واستقر بها فى مدينة « نتيفوت » فى عام ١٩٧٠ . وذاعت شهرته فى اتيان المعجزات ؛ مما حول مقر إقامته لمزار يحج اليه اليهود ، وكبار وحاخامات الاشكناز - (المراجع) .

ولكن بابا مصالى قال لاتباعه المرعوبين بكل هدوء : « سترونه عما قريب وهو يطلب العفو منى » .

وبمجرد رجوع الحاكم الى منزله سقط مريضا يرتعش بالحمى ، وتعاقب الأطباء على فراشه دون جدوى وايقن ان السماء تعاقبه لانه اهان رجلا صالحا ؛ فأرسل رسولا الى بابا مصالى يرجوه ان يعفو عنه ويعد بعدم اضطهاد اليهود فعفا عنه ومنحه البركة فشفى الحاكم .

وهذا الفولكلور الغيبي مجرد شكل من التقليدية ويمكن ان ينسب الى كثير من علماء الدين ؛ ولكن هذا التقديس للحاخام المغربي يكتسب مغزى خاصا عندما نعرف انه كان المعبر عن الأصولية الدينية الأكثر جهالة ، فقد حارب بضراوة محاولة الاتحاد الاسرائيلى العالى انشاء مدرسة فى مدينته تافيلاليت ؛ لأنه كان من المفروض أن توفر الى جانب تعليم اليهودية تعليما عاما لأطفال الجنوب المغربى ، يسمح لهم بتعلم مهنة والخروج من دائرة البؤس . ولكن الاحتكاك بثقافات أخرى كان يهدد بإبعاد الأطفال عن اليهودية وتوعد بابا مصالى كل من يتصل بمندوبى الاتحاد بأسوأ مصير . وقد انتهز رجال الاتحاد غيابه عن المدينة فى رحلة واستأجروا منزلا فى تكتم وأنشأوا المدرسة ، وعند عودته ثار بابا مصالى وتوعد من أرسلوا أبناءهم الى هذه المؤسسة الشيطانية بأنهم سيموتون قبل انتضاء العام ! وأغلقت المدرسة أبوابها وكان على يهود تافيلاليت الانتظار قبل أن يتخلصوا من سيطرة الملا .

ان ذكرى بابا مصالى والاحتفال العظيم بها يسمح لبعض اتجاهات اليهودية السيفاردية بالارتباط بأشد التيارات تشدداً بين صفوف الاشكيناز ، وخلال السنوات العشر الماضية ازدادت الطقوس تعقيدا والأرثوذكسية نموا بين الاشكيناز والسيفارديين الذين اندمجوا معا .

ان هذا الاحترام الذى يكاد يكون مرضيا للشريعة اليهودية ، يؤدي الى الانكفاء على الذات واستبعاد كل من لا يتواءم بدقة مع المظهر الدينى المتشدد ، والمظهر الأكثر تكررا لهذا الاتجاه الجديد هو رفض التزاوج والمغالة فى التطرف ، وهكذا يتحول المتدينون الى أصوليين والتقليديون المسالمون الى علمانيين مناضلين . ان نموذج اليهودية الفرنسية يشوه

بسبب البحث اللاهث عن نقاء مفترض ، وعن أصالة يهودية متخيلة نابعة من قراءة عاطفية للتاريخ ! .

وبفضل هذا الايمان المتجدد يعمل الأساتذة الأرثوذكس على تحقيق السيطرة على آليات الطائفة ، مستعينين في ذلك بالقنوات الجديدة المنضمة اليهم ، ومما يسهل لهم الأمر ان المثقفين المنفتحين على العالم يفتقدون الاهتمام بشئون الطائفة ويركزون على تمثيلها أمام الآخرين . وبالطبع ، فان الاشتراك في ندوات أو برامج تليفزيونية أو تأليف الكتب أو نشر المقالات ، هي أنشطة تحقق رضاء عن النفس يفوق كثيرا ما تحققه مواجهة المشاكل الملحوسة ، ولذلك فقد تركوا المحاكم والمجمعات الحاخامية لأولئك الذين يفرضون الانغلاق والانعزال .

ويأسف شامويل تريجانو مدير كلية الدراسات اليهودية ومؤلف عدة كتب عن مستقبل اليهودية الفرنسية ، كثيرا على هذه السيطرة للأرثوذكس وهذا التشدد في الهوية و « هذه العودة ليهودية الثمانينات التي تعنى الأرثوذكسية المتشددة واستبعد نموذج اليهودية في المدينة الذي وجد بعد الحرب العالمية الثانية ... ان لدينا الآن يهودية ذات « سرعتين » حيث يكون الشكل الأكثر تطرفاً هو القاعدة وهو مصدر السلطة » (٥) .

ويصل البروفيسور فانتون الى نفس النتيجة قائلا :

« حيث ان الأرثوذكس ذوى الاتجاهات الليتوانية هم الأكثر انغماسا والأكثر نشاطا ، فقد استولوا على المراكز الحاكمة في الطائفة ، وهناك راديكالية متزايدة خاصة في شئون التعليم ، وقد حضرت اجتماعا لمديرى المدارس اليهودية وكان تسعون بالمائة منهم من الأرثوذكس مما يحدد اتجاه مدارسهم » .

وفي الواقع ، أصبح تدريس المواد الدينية في أغلب الأحوال مسن اختصاص الأشخاص الأكثر جهلا من خريجي الشيفوت في اسرائيل ، وهم ينشرون في فرنسا الأيديولوجية الليتوانية المنغلقة على الثقافة الغربية . انهم يعلمون أجيالا من الطلبة أنه لى تكون يهوديا فعليك اتباع نموذج الانعزال والتوقع .

فى العام الماضى اصطدم استاذ التاريخ فى اثنتين من المدارس التقليدية الكبيرة فى باريس بجيش حقيقى من الحاخامات ، فقد تجرأ وقال ان القانون اليهودى قد تطور على مر الزمن ؛ مما اعتبر مضيحة فى نظر رجال الدين الذين يؤكدون أن شريعة الله لا تتغير . فتم الضغط على الآباء لكى يحتجوا على جريمة اهانة الارثوذكسية هذه ، بل وطلب من التلاميذ الا يحضروا هذه الدروس الخارجة على الدين ، واضطر الاستاذ الى التراجع واكتفى بتدريس تاريخ مدينة القدس فقط .

أما فى المدارس الارثوذكسية فالأمور أكثر صراحة ، اذ يصرح الياهو أوزان مدير مدارس الطائفة الارثوذكسية التى تضم ثمانمائة طالب فى باريس وضواحيها ان اختيار الطلاب يتم طبقاً لمعايير محددة تماماً : فالأمهات يجب ان تكون رؤوسهن مغطاة كما تقضى التقاليد الدينية ولكن أهم من أى شئ آخر يجب الا تمتلك العائلة تليفزيونا .

يقول الياهو أوزان : « الكل يعرف الأضرار التى يسببها التليفزيون فهو يعطى الأطفال يومياً دروساً فى العنف ... »

ونحن لا نرفض التليفزيون لأسباب دينية وانما لأسباب تعليمية . ونحن على صلة بزملائنا فى المدارس الأخرى ونعرف أن الأطفال الذين يقضون ساعات طويلة أمام الشاشة الصغيرة يكونون متعبين عندما يصلون الى المدرسة فى الصباح . وإى عالم نفسى يواجه حالات العصبية عند الأطفال والارهاق والعدوانية وكذلك الرغبة فى الاقتناء التى تسببها الاعلانات ... ان التليفزيون يسبب كل هذه الأضرار ولكن من الصعب اقناع الآخرين بذلك وسيتهمنا البعض بالاصولية ! فمن السهل التهمك على موقفنا ... » .

ومن المؤكد أن بعض برامج التليفزيون ضررها مسلم به ، ولكن هذا الرفض العنيد للشاشة الصغيرة لا ينبع دائماً من « أسباب تعليمية » ، فهذا الانفتاح على العالم فيه ابتعاد واضح عن طرق التوراة فى حين تنادى الارثوذكسية بنبذ العالم واحتقان التعليم العلمانى .

يقول البروفيسور فانتون : « تعاني اليهودية من انقسام عميق هذه الأيام ، وأنا شخصيا أصبت بصدمة عندما عدت الى ستراسبورج بعد غياب سبعة عشر عاما ! لقد تركت طائفة متحدة ولكنى عدت لأجسد يهودية منقسمة تفصلها الحواجز ... » .

وفي ستراسبورج هذه وقف أحد الحاخامات يصيح من أعلى منبره أن اليهود الليبراليين أسوأ من النازيين :

« لأن النازيين كانوا يحرقون أجسادنا فقط أما الليبراليون فيؤذون أرواحنا » .

ويرى البروفيسور فانتون أنه من الواجب الوقوف ضد هذه الأرثوذكسية العمياء ومقاومتها :

« ان هؤلاء القوم يمثلون يهودية مغلقة غير حقيقية ، ومن واجب اليهود أن يكونوا جبهة متحدة لادانة هذا النوع من الممارسة ، والذي لا يمثل على أية حال سوى ركن صغير مما كانت عليه اليهودية الاشكنازية . انها ليست بالتأكيد يهودية بولونيا ذات التقاليد الحسيدية والتي كانت لها وجهة نظر منفتحة بالنسبة للصهيونية ، ومنفتحة بشأن تطور الهالاخاه (*) ، وعلى الخصوص لم تكن بهذا الميل للنسك والتشفسم اللذين نجدهما في يهودية اليشيفوت الليتوانى ، فضلا عن العتالم السيفاردى الذى كانت له أصالته » .

ولد الحاخام آلان ميشيل فى نانسى ، وبعد أن قضى عشر سنوات فى اسرائيل عاد الى فرنسا بهدف اقامة جماعة على غرار المحافظين الأمريكان الذين يجذبون تطوير الشريعة اليهودية ، وهو يذكر اليهودية ، التى كان يعرفها فى أيام طفولته : « كانت فى نانسى

(*) تعنى لفظة « هالاخاه » الشريعة ، وينقسم الهالاخاه الى نوعين :

(١) « هالاخاه شبيختاف » أى الشريعة المكتوبة والتى تمثلها التوراة وسائر أسفار العهد القديم ، (ب) « هالاخاه شبحال ييه » أى الشريعة الشفهية والتى تمثلها أقوال الحاخامات التى وردت فى التلمود - (المراجع) .

جماعة صغيرة قليلة التدين ، وكان عمى يمتلك جزارة تتبع التعاليم اليهودية في الذبح وكان زبائنه مرتبطين به بحكم العادة فقط ، ومع ذلك فقد أفلس في نهاية المطاف . . . ثم انتقل للعمل في جزارة لا تتبع هذه التعاليم وتبعه زبائنه وكأنهم لا زالوا يتبعون التقاليد ! وفي الواقع ، فإن الجماعة التي عرفتھا كانت بالأساس جماعة منفتحة وكان الجميع يعيشون على راحتهم مهما كانت آراؤهم وكيفما عاشوا يهوديتهم .

وبالطبع كان الحاخامات يفضلون أن يكون الناس متدينين فهذه هي مهمتهم ولكنهم كانوا يتحاورون مع الجميع ، أما اليوم فقد قرر الأرثوذكسيون الجدد أن يستبعدوا اليهود الآخرين . . . فاما أن يكون المرء نظاميا - أي يسير على نظامهم - والا فلا وجود له . ان المبدأ الذي تبنيه بشكل لا رجعة فيه هو السباق من أجل مزيد من التشدد وهذا السباق يستبعد أوتوماتيكيا كل من لا يوافق عليه . ان زعماء الجماعة يفضلون أن يكون هناك عدد أقل من اليهود على صورة النموذج الذي في أذهانهم عن أن يكون هناك كثرة من اليهود المخطئين الذين يصعب توجيههم وقيادتهم . أنهم ينسون أن التحرر قد ألغى ضرورة تمسك المرء بيهوديته فقد أعطاه حرية الاختيار ، ولكن الأرثوذكس يريدون بكل بساطة إعادة الجيتو . ان عشر سنوات من محاولة فرض الأرثوذكسية قد أدت الى زيادة هائلة في معدل اندماج اليهود في مجتمعاتهم وتخليهم عن معتقداتهم الدينية ، فهناك نواة تقوى ولكن الأطراف تتباعد بسرعة غير عادية ! وقد يقول البعض انه لو لم يوجد هذا الخطاب الديني المتشدد لزادت حركة الاندماج ؛ ولكني لا اعتقد ذلك بل اعتقد أن العكس هو الصحيح تماما » .

منذ عهد بعيد كانت ميزة اليهودية الفرنسية انها كانت طائفة واسعة ومنفتحة ومتسامحة حيث يجد الكل ذاته بداخلها . خلال قرن من الزمان لم تنجح الحركة الليبرالية حاملة علم اليهودية الحديثة في فرنسا في أن تطور نفسها فاذا كان بالإمكان أن يكون المرء ليبرالياً مع غشيانه للمعبد التابع للكونسيستوار ، فلماذا ينشئ كنيساً صغيراً للصلاة في الجوار ؟ ومراعاة لكل هذه الحساسيات ، كان الكونسيستوار لا يعين حاخامات للطائفة الا من بين المتخرجين في معهد الحاخامات في باريس ،

ولكن أدى النقص في الأعداد مع تفتش الاتجاهات التجهيلية الى قبول تسمية حاخامات من بين طلاب اليشيفوت وبالأكثر من اسرائيل . ويؤكد المؤرخ فيليب بوكارا المتابع للتغيرات في الطائفة أضرار هذه السياسة قائلا :

« يوجد الآن حاخامات ذوو أفق ضيق بشكل مخيف لا يمتلكون ابة ثقافة عامة ولا يتحدثون الفرنسية جيداً ، ولكنهم يحفظون التلمود عن ظهر قلب ولكن لا شيء أكثر من ذلك . . . انها المرة الأولى التي أجد فيها جماعات تستحى من حاخاماتها وبدلاً من أن يكونوا فخورين بشخص يفترض أنه المتحدث باسمهم نجدهم يحجبونه عن الأنظار ! » .

ينسر الحاخام الأكبر ايمانويل شوشنه المدير لمعهد الحاخامات حتى ١٩٩٠ هذه الزيادة في عدد الحاخامات البعيدين عن المسار التقليدي بازدياد عدد الجماعات الصغيرة قائلا :

« ان هذه الجماعات الصغيرة تستخدم شخصاً تسميه حاخام لمجرد أنه يجيد قراءة التوراة أكثر منهم ، انهم يعتبرون حاخامات بالنسبة للجاهلين . . . فمن الواضح أن شخصاً تخرج من اليشيفا بعد دراسة عامين يعرف من التوراة أكثر من أغلب أبناء الطائفة ، ولكن لو سألته عن بعض قوانين الشريعة المحددة فربما تجد أنه يجهلها . وعندما كنت مديراً لمعهد الحاخامات كان المبدأ الذي أتمسك به هو ألا يشعر أى حاخام متخرج في المعهد بأى مركب نقص في مواجهة شخص درس في اليشيفا لمدة ثلاث سنوات ، بل كان من الضروري أن يعرف أكثر لأننا كنا نهتم كذلك بتوفير ثقافة عامة ، الشيء الذي لا غنى عنه لشخص مطلوب منه أن يقود جماعة . . . » .

يدرس رافاييل اليهودية وعلى الرغم من أنه متخصص في العمل الدينى ، الا أنه يرفض الالتحاق بمعهد الحاخامات لأنه يعتقد أن النص وحده هو المهم والباقي مجرد تزويق ، يقول :

« في المعهد توجد موضوعات مختلفة ليست جميعها ذات علاقة بالتوراة فيجب اتقان القدرة على الحديث وكيفية تنظيم جماعة ... ويمكن أن تكون هناك فائدة لهذه الدراسات ولكن توجد هناك أوجسه نقص لا يعاني منها من درسوا في اليشيفا ، وعلى أية حال ، فالحاخامات الكبار أصحاب السلطة في الموضوعات الدينية لم يتخرجوا في المعهد وإنما في اليشيفوت ! » .

يقول روجيه بيرج مؤلف كتاب تاريخ الحاخامية الفرنسية (٦) :
« لا يكفي أن يكون الحاخام اليوم قادرا على لقاء العظما ، وإنما عليه كذلك أن يتقن العمل الاجتماعي ، وأن يكون موجها للشباب ، وموجها في السجون أو في الجيش ، وعليه أن يتواءم مع المظاهر الجديدة للعلاقات اليهودية - المسيحية أو مع العلاقات بين الطائفة اليهودية والسلطات العامة ، ذلك لأن تسيير الأمور الادارية والمالية للطائفة يؤثر على نشاط من يشغلون وظيفة الحاخام وكذا على استمرارهم في الوظيفة » ، وهي جميعها واجبات يقتصر منها الشبان الأتقياء المتخرجون في اليشيفوت ؛ لأنها تتطلب منهم اتصالا دائما مع العالم الزمني ومتابعة أنشطة وأعمال قد تشغلهم عن دراساتهم المقدسة . وهكذا نصل الى الوضع غير المعقول ، حيث نجد أن اليهودية الفرنسية في اتجاهها المتزايد نحو الأرثوذكسية تجد صعوبات متزايدة في العثور على حاخامات حقيقيين ، فالأرثوذكسي لا يهتم بالجماعة التقليدية ، ولا يشغله أن يقود الأطفال والشباب حتى يكسبهم من الطلاب اليهودي ما يحميم لحد ما من تأثير الاحتكاك بالمدينة . والنتيجة أن الأرثوذكسية تقف كجزيرة معزولة تقاوم وتبقى المعابد مهجورة .

في ١٩٨٧ دعا النخبون الكبار المسائتان والسبعسة والعشرون للكونسيستوار (*) - وهم من الحاخامات وكبار المسئولين بالطائفة - يوسف سيتروك الى أن يصبح الحاخام الأكبر لفرنسا وبذلك أدخلوا

(*) تشير هذه الكلمة الى « المنظمة اليهودية الفرنسية » التي تأسست في عام ١٨٠٨ بموجب أوامر السلطة الفرنسية ، وكان الغرض من تأسيسها أن تشكل حلقة وصل بين اليهود وبين السلطات الفرنسية - (المراجع) .

في مؤسستهم العتيقة حامى حمى الأرثوذكسية وان كان هو ينفى عن نفسه هذه الصفة حيث يقول :

« انى أفضل وصف « الملتزم » بدلا من الأرثوذكسى ؛ لأن الحاخام الذى لا يعطى القدوة ولا يعظ عن طريق المثال الذى يعطيه بالتزامه الأخلاقى والاجتماعى طوال حياته لا يكون جديرا بحاخاميته . فبمجرد ان يلبس طيلسان الصلاة يتعهد اليهودى الا يسىء الى جاره ، لأن حدود التزامه أمام الله هى وجود الآخر . ولذلك فالأرثوذكسية بوصفها تعبيرا عن التعصب المتشدد بعيدة تماما عن موقفى « (٧) .

ولكن عند امادة انتخاب الحاخام الأكبر فى ١٩٩٤ ، صرح جان كان رئيس المجلس التمثيلى للهيئات اليهودية فى لمرنسا أيامها وبكل وضوح :

« يثار النقاش داخل الطائفة بين أنصار التحديث وأنصار العودة الى الجيتو أو بين أنصار التسامح وأنصار الانغلاق » (٨) ، لقد أحييت هذه الانتخابات الصراع بين المتدينين والمعتدلين الذين رأوا فى الحاخام الأكبر خطرا يهدد استقرار الطائفة ، وقد تمت اعادة انتخابه فى جو مشحون بالتوتر . وقد وجه اللوم للحاخام الأكبر لأنه قاطع مدارس الطائفة بادخال ابنائه فى مدارس أرثوذكسية ، ولأنه أيد بعض اليسيفوت المتطرفة ، ولأنه قطع الجسور مع المثقفين ومع العالم الجامعى . والواقع أن كل التشققات زادت بعد أن جلس على رأس الكونسيستوار رجل يدافع عن ايديولوجية أولئك الذين ظلوا دائما خارج الكونسيستوار .

على الرغم من أن الحاخام ليون اشكينازى يعيش حاليا فى اسرائيل ، الا أنه يتابع عن كثب كل تقلبات الطائفة اليهودية الفرنسية، وهو يؤكد على التباعد بين الطائفة فى مجموعها وبين مجموع الحاخامات الذى يتجه أكثر فأكثر نحو الأرثوذكسية ، يقول : « يقف على رأس الطائفة اليهودية، بحسب تعريف الكونسيستوار، حاخامات يختارون طريقا مشابها لطريق اليسيفوت الذى يسير حسب النموذج القديم لبلاد أوروبا

الوسطى أو البلدان الاسلامية ، وهذا يقود الى يهودية الجيتو في طائفة كان المفروض أن تكون جزءا لا يتجزأ من المدنية الفرنسية » .

وأما في رأى جابريل فادنای مدير لجنة العمل الاجتماعى الاسرائيلى فى باريس ، فانه اذا كان الكونسيستوار قد أصبح أكثر ارثوذكسية فانما حدث ذلك تحت ضغط المؤمنين الذين يطالبون بمزيد من الأصالة :

« على أية حال فهذه هى العقلية الحالية ، فالحركات الدينية أكثر نشاطا هذه الأيام حيث رأى الناس المثل العليا للمدينة وهى تتهاوى ، لقد كانوا يتعلقون بالثروة أو الاستهلاك ثم جاءت الأزمة فأرادوا التمسك بقيم حقيقية . وعليه ، فأولئك الذين ينتمون لحسن حظهم للعالم اليهودى وجدوا أن لديهم قيما يمكنهم الرجوع اليها ودراستها . هناك عودة الى المنابع الأصلية فى كل الديانات وكل الثقافات وكذلك فى اليهودية ، وأجهزة الكونسيستوار لا تفعل أكثر من مساهمة هذا التطور » .

وهو تطور مثير للدهشة فقد توجهت شابة كانت أمها قد اعتنقت اليهودية فى الخمسينيات بمعرفة كونسيستوار باريس إلى مكاتب الكونسيستوار ؛ لتحصل على شهادة بديانة أمها لتستخدمها فى عقد زواجها هى ... ولكنهم رفضوا اعطاءها الشهادة ، حيث انهم اعتبروا أن اعتناق أمها لليهودية باطل ! وبكل جدية شرحوا لها الأمر :

« أنت تفهمين ولا شك أنهم فى أيام ما بعد الحرب تلك كانوا يقومون بالتهويد دون مراعاة كل القواعد الدينية » .

ومع ذلك ، فإن الأرثوذكسيين يعتبرون الكونسيستوار قلعة اليهودية المتهاوية . تقول ربة عائلة متدينة من الجيل التاسع عشر بباريس : « كان وصول الحاخام الأكبر لفرنسا الى منصبه يعطينا أملا فى تغير الأمور ولكن انتخابه لم يعط الثمرة المرجوة » . لقد القى خطبا جميلة ولكن لم يحدث أى شئ ذى مغزى فى نهاية المطاف .

كان المتدينون يعتقدون أنه سينظف الكونسيستوار من الأتربة المتراكمة . . . ولكن شيئاً لم يتغير ، أننا نشعر باليأس حالياً لأن أجهزة الكونسيستوار يشغلها أناس لا يريدون لاي شيء أن يتحرك ! » .

وعلى الرغم من أن الحاخام الأكبر لفرنسا يبذل محاولات مشكورة ليبقى القائد الروحي لكل يهود فرنسا مع استمرار الضغط عليه من اليمين ، فإن تعاطفه الواضح مع الأرثوذكسية يسمح للعناصر الأكثر تشدداً أن ترفع رأسها . وهناك حملة غريبة من الخطابات المجهولة المصدر تظهر في صفوف الطائفة اليهودية فالمسئول عن إحدى المؤسسات يوصف بأنه دودة ، ومناضل صهيوني يشبه بعمالق العدو اللدود للشعب اليهودي في التوراة ، وحاخام متسامح يوجه له التهديد . . يقول الحاخام جيل برنهايم والذي كان مرشح اتجاه الانفتاح لمنصب حاخام فرنسا الأكبر : « ان الطائفة المثالية حسب وصف هذه الخطابات هي طائفة مغلقة لا تتحمل تيارات الهواء النقي التي تخلق التجديد ، فلكى تسيطر على الناس يجب أن تمنعهم من التفكير وان تستبعد كل من يحاول ذلك » (٩) .

وبعيداً عن هذا الاضطراب تنمو الأكاديميات التلمودية المنطوية على ذاتها في كل أنحاء البلاد ، في باريس ومارسيليا وستراسبورج وغيرها .

أسس الحاخام دانييل هيمن اليشيفا في ١٩٧٨ في ايبينى سير سين في المنطقة الباريسية ، وبها حالياً خمسة وسبعون طالباً متفرغاً والبعض منهم سيلتحقون بالجامعة بعد بضع سنوات وآخرون سيتابعون أبحاثهم في المراكز الاسرائيلية . وعلى الرغم من أن بعض الحاخامات والمدرسين قد تخرجوا في ايبينى ، فإنه ليس من أهداف اليشيفا أن تكون مصنعا لتخريج المهنيين ، فالتوراة يجب أن تقود الإنسان الى الله وليس الى ادارة شؤون الطائفة . ان مدرسة للحاخامات هدفها تكوين قادة تمثل انحرافاً من وجهة نظر الحاخام هيمن ؛ لأن المواجهة المستمرة مع النصوح هي التي ستصنع أساتذة المستقبل . في بولونيا في القرن الماضي

كانوا يختارون حاخامات المستقبل من بين أحسن عناصر اليشيفوت ، ولشرح فلسفته هذه قص على هيمان أنه في أحد الأيام توجه رئيس للطائفة لمقابلة مدير إحدى الأكاديميات التلمودية المشهورة وطلب منه طالبا معيناً ليشغل وظيفة حاخام ، ولكن الشاب المختار صرخ قائلاً : « ولكنى أخاف من تحمل هذه المسؤولية ... » .

— وكان الرد : « انه لهذا قد وقع عليك الاختيار فلو كان لديك الطموح ان تصبح حاخام لما تم اختيارك » .

أنشأ الحاخام يوشع جرونشتين يشيفا في نيس منذ ثلاثة عشر عاماً ، ويصف هذا الأستاذ السابق للرياضيات الذي اعتنق اليهودية الأرثوذكسية تطور الشبيبة التي يجتذبها طريق الدين المتشدد :

« في وقت ما كان الناس يكتفون بحضور المحاضرات ولا ينتقلون الى مرحلة الدرس الحقيقي ، ولكن الكثيرين يفضلون اليوم الانغماس في النص مرة واحدة ، فقد فهموا انه من الضروري اعطاء الوقت الكامل للدراسة لمدة سنتين أو ثلاثة لاستيعاب الأساسيات ... وليس الهدف من الدراسة هو العمل حاخام ، لهذه ليست دراسة مهنية وهؤلاء الشباب ينوون متابعة مهن متنوعة ، فعلى سبيل المثال لدى طلبة كانوا يدرسون المعلوماتية أو القانون ثم قطعوا دراستهم المهنية لبعض الوقت . ومع ذلك ، فالكثيرون منهم سيذهبون بعدها الى اسرائيل ؛ لأنهم قد ازدادوا تدنياً وهذا يفرض عليهم نظاماً للحياة يصعب المحافظة عليه في فرنسا » .

ويؤكد الحاخام جرونشتين إحدى خصائص اليهودية الأرثوذكسية الفرنسية : وهي انتقال الأكثر التزاماً من معتنقيها الى بلدان أخرى مثل اسرائيل أو الولايات المتحدة أو انجلترا ، حيث الجماعات الأرثوذكسية أكثر تنظيماً ويتخلون بذلك عن تدعيم يهودية أرثوذكسية نظامية في فرنسا .

تؤكد الصحافية الدينية كاترين جارسون : « لم يتمكن اليهود الأرثوذكس في فرنسا من تحقيق حياة يهودية منظمة كالتي توجد في

البلاد الأنجلوساكسونية ولعل ذلك يرجع الى اجتماع العقلية السيفاردية مع العقلية الفرنسية :

تسود الفردية الزائدة مما منع التجمع وبالتالي اقامة البنية التحتية .
 فعدد المدارس قليل وكذلك اليشيفوت اما عملية التسوق « الكاشير »
 فمشكلة حقيقية ! والأرثوذكس لا يتناولون اللحوم التي تجهزها أجهزة
 الكونسيستوار ولا يوجد مطعم يستطيع رجل أعمال أرثوذكسى أن
 يدعو عملاءه اليه ... ولا توجد أخياء كبيرة تضم المتدينين كما هو الحال
 في إنجلترا أو أمريكا ، هذا هو السبب في أن غالبية من يحققون
 « تيشوفا » يرحلون ...

وحتى عندما يبقون فان أبناءهم يرحلون بعد أن يشبوا عن الطوق .

وترى كاترين جارسون أن عدم قدرة الأرثوذكس الفرنسيين على
 أن يفرضوا أنفسهم أو أن ينتظموا سببها قلة خبرة السيفارديين
 بالبارزات داخل صفوف اليهود ، تقول :

« أن السيفارديين لا يمتلكون خبرة الصراع داخل الطائفة اليهودية ،
 ففي أوروبا الشرقية كانوا معتادين على الصراع ضد الليبراليين وضد
 الشيوعيين وضد أعضاء البوند وضد الصهيونيين ... لقد كان هناك
 تضاد وتعلم الناس أن يكرهوا بعضهم البعض وأن يستبعدوا بعضهم
 البعض . ولم يكن شيء من هذا موجودا في أفريقيا الشمالية والنتيجة
 أن اليهودية الفرنسية الأرثوذكسية الناتجة عن هذه الخلفية أهدأ كثيرا
 والطف كثيرا من مثيلاتها في الطوائف اليهودية في البلاد الأخرى . ولكن
 الجانب السيئ هو أنه ينقصنا نحن الأرثوذكس لكي نبني أنفسنا
 ونتوحد ... وجود سلطة توحد التيارات الدينية المختلفة وتعطيها
 وزنا وتسمع مطالبها » .

وفي الواقع ، فعلى الرغم من تجاوزاتها فان الأرثوذكسية الفرنسية
 لا تصل الى مستوى مثيلاتها الأمريكية أو الإسرائيلية ، حيث نجد
 اصولية من المستوى الثانى . ان انغلاقها لا يقارن أبدا بما يحدث في

القدس أو بروكلين ، غالجيتو هنا موجود في الخيال فقط . نحن هنا نلعب لعبة تقليد الأمثلة الكبيرة دون ان تكون لدينا الوسائل لذلك : فلا أحد هنا يريد حقيقة أن يعيش في أحياء منعزلة ، ولا أحد يفكر في الانعزال عن العالم الزمنى ، ومن يفكرون بهذا الشكل يرحلون ليعيشوا في مكان آخر . في فرنسا يفرض العالم العلماني نفسه على عالم المتدينين عن طريق العمل والتعليم ، فرفض الجامعة ، وهو أحد المبادئ الكبرى للأصوليين اليهود ، لا يمكن تقبله بسهولة في باريس الكبرى . وعلاوة على ذلك ، فان نفوذ التيارات الأرثوذكسية داخل الكونسيستوار يثبت انه حتى الأكثر عنادا يرفض أن يتخندق في عالم مواز ويأخذ في الاعتبار الجماعة المنظمة .

وكان من الممكن لهذه الأوضاع أن تكون فرصة للأرثوذكسية الفرنسية لكي تخلق من هذا الوضع غير العادي حلا مبتكرا . ولكن مع الأسف ! فان الأرثوذكس الفرنسيين ليسوا سعداء بظروفهم الخاصة تلك وينظرون بحسد ناحية النماذج الأكثر تشددا ، وبشيء من الصبر سينضمون الى تلك النماذج العظيمة . . . وهناك بعض الشواهد المحزنة على ذلك ، فمنذ عهد قريب نشأت محكمة حاخامية أرثوذكسية بالكامل وهدفها الواضح أن تمثل قوة دينية الى جانب الكونسيستوار . ومن ناحية أخرى ، لا يوجد بديل للشباب الذي يجتذبه الايمان العميق ، حيث لا توجد لدينا حركات أرثوذكسية حقيقية وفي نفس الوقت منفتحة ومتسامحة — مثل الأرثوذكسية الجديدة الأمريكية ، كذلك لا يوجد أساتذة كبار التأثير يمكنهم إيقاف هذا السباق نحو الانفلاق ، واعطاء الأرثوذكسية الفرنسية أسلوبها الخاص . وقد يكون سبب هذا الانفلاق كامناً في رحيل ذلك الجيل من الحاخامات الذي كانت له اليد العليا في عقد الأربعينيات ، والذي كان يدعو الى الانفتاح على المجتمع .

وهذا الفراغ يفرض على المؤمنين أن يتطلعوا الى قارات أخرى ، وأن يتخذوا نماذج منقولة عن جماعات مختلفة تماماً ولكنها المرجع الوحيد أمامهم . ان الأرثوذكسية الفرنسية يمكن أن تتعرض في المستقبل لكل الاغراءات الصادرة من الأصوليات الواردة من الخارج .

الفصل الثالث

لنتقابل العام القادم فى أورشليم (او اسرائيل كما ترى من فرنسا)

يبلغ جويل الرابعة عشرة وهذا الطالب فى مدرسة عقيبا اليهودية فى ستراسبورج ، يعتبر اسرائيل دون أدنى شك قلب اليهودية النابض وبلاد العهد الألفى ... ! وفجأة وجد عالمه ينهار بضربة واحدة فقد عاد الى منزله منذ وقت قريب وهو فى غاية الاضطراب : فقد عقد مدرسه مقارنة بين الصهيونية والنازية ! قال المدرس :

« ان الصهيونية كانت السبب فى حدوث كارثة الابادة على الشعب اليهودى ، ومع ذلك ففى أيامنا هذه يتصرف الصهيونيون بطريقة لا تقل سوءا عن النازيين فى أيامهم ... » .

واعتقد الأب أن ابنه لا بد قد أساء فهم كلمات المدرس فتوجه لمقابلته ولدهشته البالغة سمع نفس العبارات المزعجة ، هاتصل بمدير المعهد محتجا وقائلا ان مثل هذه العبارات لو قيلت فى مدرسة غير يهودية ، لترتب عليها الاحالة الى مجلس تأديب وربما الفصل . وقد وعد المدير الذى تضايق بعض الشيء بمعاقبة المدرس ... ثم لم يتخذ أى اجراء .

بدأت رؤية جديدة مصدرها العالم الأرثوذكسى تشق طريقها داخل الطائفة اليهودية الفرنسية ، وهى انكار شرعية دولة اسرائيل على أساس

دينى ، فباسم المسيح المنتظر والذى وحده « سيرفع الراية أمام الأمم ليجمع المنفيين من اسرائيل ويللم الأشلء المبعثرة ليهودا من أركان الأرض الأربعة » (١) ، ينظر الى الصهيونية على أنها أيديولوجية مفسدة تعمل على تعطيل مشروعات الاله لتخليص شعبه . وطبقا لهذه الرؤية يعتبر الاسرائيليون جماعة من غير الاتقياء المستعدين للتخلى عن ارثهم وعليه ، فمكان الشعب اليهودى الحقيقى هو فى معابد الدياسبورا . فى وقت ما كان الاسرائيليون يعلنون بفخر انتماءهم الى كيان قومى ويرفضون الارتباط بيهودية المنفى ، ولكن الأوضاع قد انقلبت فاليوم يرفض المتدينون فى الشتات أن يربطوا انفسهم بمغامرة الدولة .

ومع ذلك ، فالطائفة اليهودية الفرنسية قد اتخذت موقفا موحدا بعد قيام دولة اسرائيل ، فباستثناء بعض الفئات الهامشية من الأرثوذكسية المعادية للصهيونية والصهيونية المتطرفة ، كانت اليهودية المنظمة تؤيد بكل ارتياح حكومة اسرائيل المنتخبة ديمقراطيا .

ان حاخامات الكونسيستوار لهم تقاليد طويلة من التأييد لتوطين اليهود على أرض اسرائيل ، ووجدت الصهيونية فى مراحلها الأولى التأييد لدى اعيان اليهودية الرسمية ، وقد عبر البارون ادمون دى روتشيلد مبكرا عن هذا الاتجاه بدعمه المالى لإنشاء مستعمرات فى فلسطين .

إذا كان المؤرخون يجمعون على أن موقف حاخامات فرنسا تجاه أفكار تيودور هرتزل كان فاترا ، فإن السبب فى ذلك هو أنهم يقيمون الصهيونية بمعايير اليوم . وفى الواقع ، فإنه لم يكن واردا فى تفكير قادة الطائفة هؤلاء أن يشجعوا أتباعهم على الهجرة من البلاد ، اذ لم يتصور أحد التنفيذ الفورى للنحية القديمة التى يتبادلونها فى عيد الفصح وهى : « لتقابل العام القادم فى اورشليم » ، وكل ما فى الأمر أنهم كانوا يشجعون توطين موجات اليهود من أوروبا الشرقية الذين يعانون من البؤس ومن معاداة السامية . وفى ١٨٩٧ أرسل الحاخام الأكبر لفرنسا زادوك كان خطابا للمؤتمر الصهيونى الأول فى بال يقول فيه صراحة : « ان عسدم

متابعة الحركة الصهيونية باهتمام لهو من قبيل الانانية المفرطة » . كذلك كان خلفه الفريد ليفى يرى فى مساعدة المستعمرات اليهودية فى فلسطين نوعاً من أعمال المساعدة الأخوية الكريمة قائلاً : « ان اليهود الفرنسيين يفهمون أن اخوتهم فى الدين المضطهدين هؤلاء ليس لهم الا رغبة واحدة هى أن يجدوا لهم موطناً فى هذا البلد ، فلسطين ، الذى تربطهم به العديد من الذكريات الدينية ... وهم يتمنون لـ اخوتهم فى الدين النجاح فى تحقيق هذه الرغبة ويأملون أن تساعد بلادنا العزيزة فرنسا البلد الذى تزدهر فيه الحرية والعدالة على تحقيق هذه الرغبة » ، أما اسرائيل ليفى الحاخام الأكبر لفرنسا حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، فقد أصدر فى ١٩٢٥ نداء مؤثراً من أجل المساعدة الخيرية جاء فيه : « اننا نريد تكوين لجان فى كل جماعة وأن تعمل دعاية نشطة فى كل الأوساط الاسرائيلية ؛ حتى تمثل اليهودية الفرنسية بشكل مشرف فى فلسطين اليهودية » .

وهكذا تبنى حاخامات الكونسيستوار موقفاً مختلفاً عن الجناحين المتطرفين ، فان أنصار الاندماج والأرثوذكس — لأسباب متعارضة — كانوا يرفضون بشدة هذه القومية الجديدة . كان الاسرائيليون ، وقد اقتنعوا بأن زمن الاحتقار قد ولى وأن أبواب المجتمع باتت مفتوحة أمامهم ، يريدون المساهمة فى حركة التقدم ، ثم جاءت الصهيونية لتذكر هؤلاء السادة ذوى القبعات العالية أنهم ينتمون لنفس الشعب الذى ينتمى اليه ورثة جيتو الشرق البؤساء ، وأن فرنسا ما هى الا وطن اكتسبوه بمحض الصدفة . أما الأرثوذكس فقد أغضبتهم الخطب النارية للرواد المصممين على تخطى السلطة الالهية .

وبصفة عامة كان مغزى الصهيونية وأهدافها غير مفهومين ، فالشاعر أندريه سبير الذى كان يؤيد بحماس صهيونية على الطريقة الفرنسية فى أوائل القرن ، يحكى عن الجو السائد فى اجتماعات اللجنة الوطنية للدراسات الاجتماعية والسياسية فى ١٩١٧ بشأن « المشكلة الفلسطينية » ، قائلاً ان الخاصية الاثنية التى فاقمتها الصهيونية كانت تخلق أصدقاء يهودية . تنبأ استاذ القانون الدولى العام لابراديسل

قائلا : « ما العناصر التي تريدون توطيئها في فلسطين ؟ هل هي العناصر الأحسن والأكثر نشاطا ؟ اذن ستحرمون الشعوب التي تمارس الحرية من هذه العناصر اليهودية التي كانت موجودة بينها ونحن لا نوافقكم على هذا . وبهذا الفهم لا تكون الصهيونية الا شكلا من اشكال معاداة السامية ونرفض أن تكون معاداة السامية مبدأ فرنسيا . أننا ننوى أن نحفظ بأولئك الذين استقبلناهم في بيوتنا وكانوا بالنسبة لنا مصدرا للثقافة والغنى » (٢) .

ومع ذلك ، استمرت الصهيونية في بناء نفسها وكان لفرنسا مكان بارز في تاريخها . ففي غرفة من أحد فنادق شارع كامبون كتب تيودور هرتزل (*) كتابه الأساسي « الدولة اليهودية » ، وفي باريس عاش ماكس نورداو (**) أحد أبرز الدعاة للصحة القومية اليهودية ، وفي باريس أيضا ، في الصالة الخلفية لمقهى البانثيون ، أسس فلاديمير جابوتنسكي حركة الصهيونية التصحيحية (***) ، التي كان هدفها الأبعد هو إنشاء دولة يهودية على ضفتي الأردن .

(*) تيودور هرتزل « مؤسس الحركة الصهيونية » ولد في المجر ثم انتقل الى فيينا حيث استأنف تعليمه العلماني ، وحصل على شهادة في القانون ، وبعد أن اشتغل في المحاماة فترة قصيرة انتقل الى عالم الأدب والصحافة . وقد بدأ يواجه مسألة أوروبا اليهودية بعد أن قرأ كلاسيكية « كارل ايوجين دو هرنج » : المسألة اليهودية كمسألة حضاره وعادات العرق .

وبعدما زادت حدة معاداة اليهود في النمسا ، كتب كتابه المعروف « دولة اليهود » وطرح حل إقامة دولة يهودية ، ذلك الحل الذي يمثل الأساس النظري والاطار التنظيمي للحركة الصهيونية - (المراجع) .

(**) ماكس نورداو (١٨٤٩ - ١٩٢٣) :

يعد نورداو بمثابة مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية . وقد تلقى في صباه تعليمًا تقليديا ثم درس فيما بعد الطب حتى حصل على درجة الماجستير في عام ١٨٧٥ . وكان من أبرز قادة الفكر الصهيوني في أوروبا . وقد دعا في عام ١٩١٩ الى تهجير ستمائة ألف يهودي أوروبي الى فلسطين غير أن مطلبه قابلته المنظمة الصهيونية بالرفض . توفي نورداو في العاصمة الفرنسية باريس في عام ١٩٢٣ ، ونقل رفاته الى تل أبيب في عام ١٩٢٦ - (المراجع) .

(***) الصهيونية التصحيحية : صهيونية استيطانية ذات ديباجة فاشية . واجهت المؤسسات الصهيونية تحديا من الداخل أدى الى حركة انشقاق قادها فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ - ١٩٤٠) زعيم ما يسمى بالتيار التصحيحي . وطالب هذا الاتجاه بضرورة مراجعة السياسة الصهيونية واصلاحها . وهذا التيار تعبير عن محاولة بعض العناصر الصهيونية من شرق أوروبا أساسا أن تطرح جانبا الهيمنة العمالية على عمليات الاستيطان ، وحاول قادة هذا التيار تأسيس مؤسسات استيطانية مستقلة - (المراجع) .

ولكن في فرنسا حتى الشببية التي أثارها فكرة الإحياء القومى ،
لم تختار الهجرة وانما التفت حول فكرة النضال داخل الشتات ،
فتضافرت الصحف والجمعيات والخطب لتأييد يهود فلسطين في جهودهم ،
دون أن يخطر ببال هؤلاء الصهيونيين الفرنسيين أن يلتحقوا بالرواد في
صحرائهم الحجرية .

في الأيام الأخيرة من عام ١٩٤١ وفي القاعة المليئة بالدخان في أحد
مشارب مدينة ليون ، تأسست حركة الشببية الصهيونية التي قامت
بنشاط سرى وكثيف طوال مدة الحرب . وعلى الرغم من المصاعب ،
نظمت الحركة اجتماعات وفصولا لتعليم العبرية والتاريخ ، كما قامت
بدعاية سياسية مكثفة وأنشأت نظاما للانقاذ امكن عن طريقه تهريب
النفى طفل الى سويسرا حيث أقاموا في ريف جنيف ، تحت رعاية الاتحاد
الصهيونى ، كيبوتزات حقيقية تدربوا فيها على حياتهم المستقبلية في
فلسطين .

بعد حرب ١٩٤٨ ، كانت الصهيونية قد غيرت شكلها فقد أصبح
واضحا أن فرنسا لم تعد الملجأ الآمن الذى كانوا يظنونونه وحيث أصبحت
دولة اسرائيل تمثل المستقبل والأمل لليهودية التي نجت من الحل النهائي
(النازى) (*) . وفي ١٨ مايو ١٩٤٨ ، احتفلت الطائفة اليهودية بباريس
في فيل ديف بإنشاء دولة اسرائيل ، وفي هذا المكان المشحون بالمعاني
العاطفية حيث كان يجمع اليهود المقبوض عليهم في العاصمة قبل ست
سنوات ، كان العلم الجديد الذى يحمل نجمة داود يعنى أكثر من أى
شئ آخر رمز الدوام .

(*) استعمل النازيون كلمة « الحل النهائي » للتعبير عن انهاء مشكلة اليهود
في ألمانيا ثم في البلاد الأوروبية المفتوحة . وقد كان التفسير الشائع لهذا التعبير أنه
يعنى إبادة اليهود في معسكرات الاعتقال وغرف الغاز الخ . الا أن كتاب « الأساطير
المؤسسة للصهيونية » لروجيه جارودى يوضح أن الأرجح هو أن ما كان يعنيه زعماء
النازى هو « التخلص » من اليهود ولذلك لم يكونوا يمانعون كثيرا في تركهم للبلاد ومما
يشير الى صحة هذا التفسير القصة التي أوردها ايمانويل هيمن في الفصل الثامن من
هذا الكتاب عن أن زعماء الصهيونية في المجر كانوا يتفاوضون على « مبادلة » مليون
يهودى في المعتقلات بشاحنات تساعد الألمان في مجهودهم الحربى وكان هذا هو الاقتراح
الأول لأدولف أيخمان ، الا أن الصفقة فشلت لرفض الأمريكان توريد السيارات المطلوبة .
(المراجع) .

ومع تدفق حركة الهجرة اليهودية من فرنسا الى اسرائيل ، فقد اكتفت الطائفة في مجملها بأن تؤيد من بعيد بناء الدولة الجديدة ثم منجزاتها ولكن دوافع هذا التعاون تغيرت ، فلم يعد الامر هو المسارعة كما في الماضي لمساندة يهود بؤساء يبحثون عن ملجأ وانما الدفاع عن بلد يرغب المرء في اعلان الارتباط به . وايا ما كانت الحكومة في القدس ، فإن اليهودية الفرنسية عبرت بفخر عن تأييدها للشرعية ، وأيدت السياسة الاسرائيلية علانية ودون تحفظ .

وتغير كل شيء بعد اتفاقات اوسلو عام ١٩٩٣ ، اذ أصبح من الضروري اما تأييد واما معارضة حكومة رابين واختيار أحد المعسكرين دون موارد . . وشجع هذا الحوار الأرثوذكس على اعلان معارضتهم الصريحة لدولة تبتعد كثيرا عن التوراة ، ولقى هذا الخطاب قبولا لدى الشبيبة التي اجتذبتها التشدد الديني . وهكذا بدأت الروابط الأخيرة في التحلل في صفوف يهودية فقدت الكثير من تماسكها بسبب تفتت القضايا الكبرى التي كانت تلف حولها من قبل .

وبالتأكيد ، فان اليهودية المنظمة لازالت محافظة على تقاليدها الصهيونية وتؤيد بقاء اسرائيل ، وعلى الرغم من ميوله الأرثوذكسية ، فإن الحاخام الأكبر لفرنسا ، جوزيف سيتروك ، ينتهز أية فرصة متاحة ليؤكد تضامنه مع اسرائيل في خطب رنانة تصل الى حد الخلط بين الشعب اليهودي والاسرائيليين . وبعد هزيمة فريق كرة القدم الفرنسي أمام فريق اسرائيل في المباريات التمهيدية لكأس العالم ، أعرب عن رضائه بطريقة مندفعة وبخفة ظل : « لقد تغلب داود على جوليات ، وقد تأثرت الطائفة بذلك بعمق . ان اليهود فريق عظيم ، واستنتاجي الروحي من ذلك هو أنه ان كان ذلك ممكنا ، فكيف يمكن أن نشك في مجيء المسيح المنتظر ؟ » ومن ناحيته ، يعلن هنري هايدنبرج رئيس المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا رغبته في تدعيم الحوار بين اسرائيل ويهود الشتات قائلا :

« أنتى مقتنع بأن الطائفة لن تستطيع المحافظة على هويتها اليهودية وأن تنقل ارثها التاريخى والثقافى للأجيال اللاحقة دون أن يكون لها نقط ارتكاز عميقة بإسرائيل » (٣) .

وفى نفس الوقت تزداد الأمور تعقيدا ؛ لأن بعض المثقفين الاسرائيليين لم يعودوا يخفون استيائهم تجاه دياسبورا متنوعة الاتجاهات ويعلنون رغبتهم فى قطع نهائى للصلات بين اسرائيل والشعب اليهودى ، فقد أعلن الأديب الاسرائيلى أ. ب. يهوشع (*) أمام الجمعية العامة للمجلس اليهودى العالمى المنعقد فى أورشليم فى يناير ١٩٩٦ الآتى : « نحن لم نعد بحاجة اليكم لننا لسنا بحاجة لنقودكم لأننا فى مجتمع تزداد فيه ثروة الطبقة الوسطى بسرعة كبيرة . اذا كان أحد منكم يريد المجئ الى اسرائيل فأهلا ، ولكننا لا نريدكم أن تهاجروا إلينا فهذا البلد مزدحم جدا بالسكان ويزداد ذلك كل يوم . كذلك لسنا بحاجة الى نفوذكم السياسى فإسرائيل دولة ذات سيادة تستطيع أن تحل مشاكلها الخاصة بنفسها دون مساعدة » (٤) .

وهو اعلان بهت منه أعيان الدياسبورا هؤلاء الذين يسخرون كل جهودهم اليائسة لتدعيم الروابط الآخذة فى الاهتراء بين اسرائيل والشعب اليهودى . صحيح أنه لا يوجد فى باريس الكبرى العداء العنيف للصهيونية الذى تظهره الحركات اليهودية المتطرفة فى أمريكا أو الأحياء الأصولية فى القدس ، فالأرثوذكسية الفرنسية تتخذ موقف اللامبالاة بالنسبة لإسرائيل . يشهد بذلك الياهو عوزان مدير المدارس الأرثوذكسية قائلا :

« مشكلة إسرائيل ؟ نحن لا نتحدث عنها فى دوائرنا ولا نحدث الأطفال عنها ، انها ليست ضمن برامجنا ولا مناقشاتنا . وبالطبع عندما

(*) ولد ١٩١٦ ب يهوشع الذى يعد واحدا من أبرز الأدباء المعاصرين فى إسرائيل فى مدينة القدس عام ١٩٢٧ . درس فى الجامعة العبرية خلال الأعوام ١٩٥٨ - ١٩٦١ بقسم الفلسفة واللغة العبرية وأدائها . وكتب عددا من القصص والروايات من أهمها : « فى مواجهة الغابات » ، و « العاشق » و « مستر مانى » - (المراجع) .

نسمع أن بعض النواب هناك يطلبون منع قراءة بعض الصلوات في المدارس لأن هذا يمثل اضطهادا دينيا ، فان ذلك يدفعنا للبكاء ولكن نحن في فرنسا لا نتدخل في ذلك » .

ويشرح الحاخام دانييل هيمن مدير يشيفا ايبينى سير سين السبب في معارضة الأرثوذكسية للدولة اليهودية بشكل مطلق فيقول :

« ان شولحان عاروخ (*) ، أى القانون ، يقف ضد المغامرة الصهيونية بالشكل الذى تمت به ، فليس هناك مبرر على الإطلاق للدخول في حرب ضد العرب لزرع يهودية علمانية ... كان حاييم فايتسمان أول رئيس لدولة اسرائيل يعتبر أن اليهودية الأرثوذكسية هي تراب الشتات أو بقايا المنفى وأن على الشعب أن ينفذها عن كاهله ، وأعلن أن الأمة اليهودية الجديدة لن تختلف عن أية أمة أخرى ! لقد انقسم الصهيوونيون منذ البدء الى قسمين : أولئك الذين كانوا يريدون التطبيع بين الأمم عن طريق العلمانية والنظام النيابى ، وأولئك الذين يريدون قبل كل شيء أن يسكن الشعب في أرض اسرائيل ، وكان هذا الصراع دائما ماثرا في المؤتمرات الصهيونية . وفي اسرائيل كون هذان التياران اليمين واليسار ، فاليمين لم يكن لديه في أى وقت مشروع لانشاء مجتمع وكل ما اهتم به هو الأرض ، أما اليسار فقد اهتم بأخذ مكان بين الأمم وبالتمثيل في الأمم المتحدة ، وبالتأكيد هذا البرنامج يفترض وجود أرض ولكن هذه مجرد وسيلة . واليهودية الأرثوذكسية تعارض هذين التيارين : فلا يوجد شيء اسمه تطبيع الجالوت (المنفى) ، ونحن لسنا في الجالوت باختيارنا ولن نخرج منه لمجرد رغبتنا في ذلك . انن ، هل نناضل من أجل الدولة لتحقيق تطبيع سطحي ؟ هل يجب أن نصبح علمانيين لنخرج من الجالوت ؟

(*) تعنى هذه الكلمة (المائدة المنضودة) ، وهو اسم كتاب يحتوى على خلاصة احكام الشريعة اليهودية . ألفه الحاخام يوسف كارو ، أحد حكماء صند في القرن السادس عشر ، وينقسم الى أربعة أجزاء . وقد اعتاد اليهود السفاراد اتباع النص الاصلى للكتاب بينما يتبع الاشكناز النص وفقا للتعديلات التي أضافها حاخاماتهم لتتماشى مع تقاليدهم - (المراجع) .

بالطبع لا . لقد كان الأرثوذكس دائما وراء الآخرين بعض الشيء فنحن مرتبطون بأرض اسرائيل ، ولكن ليس من أجل الأهداف التي اختارتها الصهيونية ... انى لا أشعر بأن اسرائيل هي نهاية الجالوت فنحن لم نكسب شيئا لقد رحلنا المشكلة ، لقد خلقنا جيتو كبيرا ، وبدلا من أن نكون تابعين للقيصر أصبحنا تابعين للأمريكان أو لآى مراجع أخرى » .

ويرى الحاخام جيرار زيزيك مدير يشيفا الطلبة بباريس أن الدولة ليست سوى مؤسسة انسانية لا أهمية لها . ويعتقد رافاييل وهو مدرس للمواد اليهودية أن وجود الأرثوذكس باسرائيل ، يحمى البلاد من الانتقام الالهى الخطير الذى تسببه قلة التقوى لدى الصهيونيين . يقول :

« فى بلد مقدس يجب التصرف بقداسة ، ومع الأسف ! فان سكان اسرائيل لا يتصرفون دائما بقداسة واذا لم نحترم هذه الأرض ، فان هذه الأرض ستلفظنا ... لقد حدثت فيضانات وزلازل فى بعض الأماكن ونشعر بيد الله وراء ذلك . لقد بدأ المنفى فى الماضى بهذه الطريقة ، فقد عصى اليهود توجيهات التوراة ولفظتهم الأرض ! أما اليوم فهناك نوع من التوازن ولهذا لم تلفظ الأرض سكانها بعد » .

ويعتقد السينمائي ريشار ديمبو كذلك ان قداسة أرض اسرائيل تستحق احتراما غير عادى ومصيرا خاصا :

« اعتقد أنه اذا كانت العودة الى أرض اسرائيل تعنى أن نقيم دولة تكون الأكثر أهمية بين الأمم ، دولة تعبر عن نفسها باطلاق صاروخ فى الفضاء فان هذا يكون أمرا لا معنى له ولا يهمنى . أن تعيش على هذه الأرض يعنى أن تحترمها ، لو كانت هذه أرضى فان هذا يعنى أن على أن أفعل ما لا يستطيع الآخرون أن يقوموا به ، واذن فلنفعل ذلك ، ولكن هذا لا يعنى بناء جيش . لو أن لاسرائيل هدفاً ومغزى ، فانه يجب أن يكون اقامة دولة تؤكد ضرورة تجاوز فكرة الدولة وأن حديث الابدية هو الشيء الوحيد الذى له أهمية » .

وكما هو واضح ، فان العالم الأرثوذكسي يعبر عن عدائه للصهيونية بأشكال مختلفة ؛ ولكن هناك دائما فكرة محددة وراء هذه الخطابات : ان المسيح المنتظر وحده هو المؤهل لاعادة شعبه المتفرق الى أرضه ، وبحسب هذه النظرة ، فان أى تنازل مع دولة اسرائيل يعتبر انحرافا . ومع ذلك ، ففى مواجهة الحقيقة وضرورات الوضع كان لا بد من التساهل ، فأغلب أساتذة الأرثوذكسية اليوم يقولون انه حيث ان مرحلة العودة المنتظرة للمسيح المنتظر قد بدأت ، فاننا نمر الآن بمرحلة انتقالية ؛ مما يفسر — ويبرر — عودة جزء من الشعب اليهودى الى أرضه . ومن الطبيعى ان هذا لا يغفر ذنوب دولة علمانية أكثر من اللازم ، ولكنه ، على الأقل ، يفسر من وجهة نظر النصوص ، سكوت السماء غير المفهوم وغير المقبول عن محاسبة يهود جربوا ان يأخذوا بأيديهم شئون مصيرهم القومى .

ولتأكيد نظرية عودة المسيح المنتظر ، استخرج الحاخامات من أوراقهم القديمة تقليدا يقول ان المسيح المنتظر سيعود قبل يوم السبت أى قبل اليوم السابع ، وفسر بعض الحكماء أن اليوم السابع فى هذه النبوءة يعنى الألف السابعة من التاريخ اليهودى . وحيث اننا نقرب بهدوء من نهاية الألف السادسة من التاريخ اليهودى ، فان هذا يعنى أننا دخلنا مرحلة الاضطرابات السابقة على عودة المسيح المنتظر وهى مرحلة قد تطول نسبيا بالمقاييس الانسانية ... فكل ما علينا الآن هو ان نصبر قليلا لمدة مائتين وأربعين سنة لنصل الى فجر العام ٦٠٠٠ !

وفى انتظار عودة المسيح المنتظر اوقف الأرثوذكس التاريخ ووجدوا ملجأ فى اليهودية الغيبية الفارقة فى الماضى . وفى ستراسبورج ينتقد البروفيسور يوسف فانتون مدير قسم الدراسات العبرانية فى الجامعة هذه التقوى المرتبطة بعصر انقضى فيقول :

« ان عالم اليشيفوت الليتوانى هذا لا زال يعيش روحيا فى عالم الشتيتل ، انها عقلية الشتيتل (*) التى لم تفهم حتى الآن المشروع

(*) شتيتل : كلمة ييديشية تعنى « بلدة صغيرة » ، وتعنى أيضا تجمعات اليهود

فى شرق أوروبا - (المراجع) ١

الصهيوني ، انه لا يمل من تكرار الكليشيهات القديمة التي صيغت أيام ظهور الصهيونية، انهم يتجاهلون نجاح الصهيونية ووجود دولة اسرائيل، في حين أن المنابع المحيية لليهودية التوراتية التي يدافعون عنها لا توجد في فرنسا أو أمريكا وإنما في اسرائيل ! والمعروف ان المشروع الصهيوني هو الذي سمح باقامة الأكاديميات التلمودية بكثافة في اسرائيل ! » .

وعلى العكس من العالم الأرثوذكسي ، تنجذب شبيبة حركة « بيتار » (*) الى الصهيونية المتطرفة : فباسم التقاليد والدين تدعو الى تمجيد القوة والروح النضالية اليهودية . وتحافظ جماعاتها في باريس وضواحيها ونيس ومارسيليا على شعلة القتال وحلم اسرائيل الكبرى على ضفتي الأردن ، وتستمد طقوس الحركة من التقاليد العسكرية بما في ذلك تحية العلم والنشيد العسكري :

من الهوة والوحل والتراب

بالدماء والعرق

سيظهر جنس جديد

فخور ونبيل وقاس

والبطل المعلن لهذه الحركة الوطنية اليهودية يدعى يوسف ترامبلدور (**) المناضل العنيد للصهيونية ، الشجاع بين الشجعان ،

(*) اختصار للعبارة العبرية « بریت ترومبلدور » أي حلف ترومبلدور ، وهو تنظيم شبابي صهيوني تنقيحي قام في بولندا عام ١٩٢٣ ، وكان هدفه اعداد أعضائه للحياة في فلسطين بتدريبهم على العمل الزراعي وتعليمهم مع التركيز على العبرية والتدريب العسكري وعلى تلقينهم أيديولوجية واضحة التأثير بالأيديولوجيات الفاشية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك ، ويدين بيتار عقاديا بأفكاره الى جابوتنسكي .

وفي بيتار تشكلت الكوادر الأساسية لمنظمة الارجون الارهابية - (المراجع) .

(***) يوسف ترامبلدور (١٨٨٠ - ١٩٢٠) : زعيم صهيوني أصبح رمزا للجيل القديم من الصهاينة الرواد الذين جاءوا الى فلسطين . ولد لاب جندي في الجيش الروسي ذهب الى مدرسة دينية قبل أن يدرس طب الأسنان ، وقد أثرت عليه أفكار تولستوي ، وامتزجت بالأفكار الصهيونية ، حيث بدأت تتبلور لديه فكرة المستعمرات الصهيونية المسلحة . وحاجر الى فلسطين عام ١٩١١ - (المراجع) .

والذى سقط يكلله المجد دفاعا عن المستعمرات اليهودية . وكان قد التحق عندما كان عمره أربعة وعشرين عاما بالجيش الروسى فى الحرب ضد اليابان عام ١٩٠٤ ، وسرعان ما أصبح هذا الشاب الطموح ذو الرأس الحليق والوجه الجامد الملامح البطل لكتيبته ، الذى أنقذ العلم من أيدي العدو ، والذى اختطف قنبلة على وشك الانفجار وطوحها فى اتجاه العدو . وقد جرح فى احدى المعارك وأدى ذلك الى بتر ذراعه اليسرى ، ولكنه عاد الى ساحة القتال بمجرد شفائه من العملية ، وعندما أبدى زملاؤه حزنهم لمصيره ، تحداهم واحدا واحداً لمنزلته ليثبت لهم أنه حتى وهو بذراع واحدة مازال أقواهم جميعا .

وداخل هذا الجندي الشجاع كان يوجد يهودى عميق الالتزام ، فعندما أسره اليابانيون نظم داخل السجن دروسا فى الصهيونية لزملائه المعتقلين من اليهود ليعدهم للهجرة إلى فلسطين بمجرد الافراج عنهم . وبالفعل بانتهاء الحرب ترك المقاتل الشجاع بالجيش الروسى امبراطورية القيصر وتوجه للدفاع عن أرض الموعد . وفى أوائل الحرب العالمية الأولى اقترح تكوين كتائب يهودية لتحارب الى جانب الحلفاء وتطرد الأتراك من فلسطين ، وسافر الى الاسكندرية لاقتناع البريطانيين بقبول مساعدة جيش من المتطوعين اليهود . وفى الاسكندرية التقى بفلاديمير جابوتنسكى المناضل والمنظر الصهيونى ، الذى كان ، فى مقابل ترامبلدور المقاتل ، رجلا ذا أحلام لا حدود لها : فقد أعلن أن تركيا كانت على وشك الانهيار وأن الحرب ستعيد رسم خريطة الشرق الأوسط ، وأن على اليهود ألا يتغيبوا عن التغيرات الكبيرة التى توقع حدوثها ، وأن عليهم أن يشاركوا فى الانتصار ؛ حتى يمكنهم المشاركة فى جنى الثمار واعادة بناء الوطن القديم على أرض الأجداد . ولكن كانت هناك لدى الحلفاء اعتراضات كثيرة على وجود ما يشبه جيشاً يهودياً ، وكل ما اقترحوه فى أول الأمر على هؤلاء الشجعان هو تكوين فرقة متواضعة من قادة البغال لتموين الجيوش المحاربة فى الدردنيل ، وقد ثار جابوتنسكى على هذه الاهانة الموجهة الى رغباته القتالية ولكن ترامبلدور هدا من غلواء الكرامة الجريحة لرقيقه قائلاً :

« لا أهمية لمكان توجيه الضربة الى تركيا فكل الجبهات تقود الى صهيون ! » .

وفي ١٩١٧ تم أخيرا تكوين الفرقة اليهودية التي تنوها طويلا وأمكن لليهود بعد ما يقرب من ألفى عام أن يحاربوا مرة أخرى من أجل القدس .

ومع انتهاء الحرب لم يعرف ترامبلدور الهدوء والراحة ؛ فقد كان هناك تهديد بعودة المذابح الى روسيا فعاد الى هناك لتكوين جماعات الدفاع الذاتى ؛ ولكن جهوده فشلت بسبب قيام الثورة . وعند عودته الى فلسطين علم ان هناك تهديدا من الجماعات العربية المسلحة للمستوطنين في الجليل فتوجه فورا الى أخطر المواقع بقرية تل حى ، وفي أول مارس ١٩٢٠ سقط جريحا خلال احدى الهجمات العنيفة وكانت كلماته الأخيرة قبل الاحتضار :

« ما أعظم أن يموت المرء من أجل الوطن ... ! » .

وبعدها بثلاث سنوات تكونت في ريجا عاصمة لاتفيا رابطة شباب يوسف ترامبلدور والتي عرفت بالاسم المكون من الحروف الأولى وهو « بيتار » . وقد انضمت اليها العناصر الأكثر حماسا من الصهيونيين في كل المراكز اليهودية في أوروبا الوسطى حتى بلغ أعضاؤها عشية الحرب العالمية الثانية ثمانين ألف شاب . وبوصفهم يمثلون نواة جيش يهودى للمستقبل ، كان أعضاء بيتار يقسمون اليمين أن يكرسوا حياتهم لاعادة احياء الدولة اليهودية ويدعون لاحتقار « كلاب اليسار » ، ويسيطرون بخطوات عسكرية في شوارع الأحياء اليهودية . وكرمز حى اختاروا لهم رئيسا الرفيق القديم لترامبلدور وهو فلاديمير جابوتنسكى الذى وجد نفسه — لدهشته الكبيرة بالتأكيد — محالا لتقديس حقيقى . وأصبحت بيتار البوتقة التي تكونت فيها أبرز عناصر اليمين الاسرائيلى ، ومن بين صفوفها خرج رجل مثل مناحم بيغن ، وتلهم أيديولوجيتها آخر السلالة بنيامين نتنياهو .

واليوم يتدرب شباب هذه الحركة في فرنسا على القتال ضد الفاشيين وجماعات النازيين الجدد الصغيرة البازغة . يقول جاك كوبفر رئيس الليكود في فرنسا الذي يضم تكوينات اليمين الاسرائيلي شارحا فلسفته في بضع كلمات : « ان مهمتنا هي محاربة المعادى للسامية وان نعلمه اننا لم نعد في الأربعينات وان اليهودى يستطيع ان يحارب وان دولة اسرائيل قائمة ... نعلمها له بالكلمات وندخلها في رأسه بالمطارق . لم يعد اليهودى هو الذى يخشى ان يلبس الطاقية بل المعادى للسامية هو الذى سيخاف ان يعبر عن مشاعره (٥) . ان شبابنا يحبون الرياضة كثيرا ! » وهذا هو ما اكده لى دون توسع في التعليق .

ويجهز ستيفان اوليل المسئول عن بيتار ، الشباب للمعارك قائلا : « ان الهدف من التدريب هو تعويد اليهود ابتداء من سن الرابعة عشرة على الدفاع عن انفسهم بصفقتهم يهودا ، وكل فرد لدينا مدرب على القيام بمهمة محددة في حالة قيام مظاهرة معادية للسامية ... ان وظيفة بيتار هي الدفاع عن الشعب اليهودى ، فلو كان هناك تهديد من أى اتجاه تجدنا هناك وتجدنا مستعدين لآى احتمال » .

وحتى الثمانينيات كان النشاط الرئيسى لبيتار ، موجهها بالفعل ضد معاداة السامية . يقول جان بول دريه والذى كان مسئولا حتى سفره اخيرا الى اسرائيل عن فرع الطلاب بالمنظمة ويدعى تاجار ، وعاش تلك الفترة حيث كانت المنظمة تفرض احترامها على المجموعات الصغيرة المعادية صراحة للسامية بسلاح التخويف :

« كان الصراع ضد اليمين المتطرف أيامها عبارة عن صراع مستمر ضد مجموعات صغيرة هامشية ... كانت هذه الحركات تقوم من وقت لآخر بالتخويف ، فكنّا نرد بابرار المخالب ونقوم بغارة تأديبية على احدى الكليات ؛ وكان هذا يكفى لارجاع هؤلاء المعادين للسامية الى الصف وانهاء المشكلة لبضعة شهور . ولكن الأوضاع تغيرت الآن فقد تحول اليمين المتطرف الى جزء من تيار سياسي واسع بقيام الجبهة الوطنية

وأصبحت المعركة تدور على المستوى القومى فهى تخص المجتمع الفرنسى فى مجموعه » .

وفى تلك السنوات لم يكن دفاع بيتار عن اليمين الصهيونى صراعاً من المرتبة الأولى . يقول جان بول بريه أنها كانت « تقريباً مرحلة خلت من الصراع السياسى داخل الحركات الصهيونية فى فرنسا » ، فقد كان هناك عملياً هدف مشترك وهو الدفاع عن كيان دولة اسرائيل وكان هناك أعداء مشتركون : منظمة التحرير الفلسطينية والبلدان العربية والاتحاد السوفيتى المعادى للسامية والمعادى للصهيونية ثم انهيار هذا الاجماع .

يذكر جان بول بريه : « حدث التغير ببطء ، وبعد حرب لبنان فى ١٩٨٢ حدث شرخ فى صفوف الشعب اليهودى وظهر خلاف سياسى يهودى — يهودى ... وعلى نطاق العالم وقف البعض ينددون بشدة باجتياح الجيش الاسرائيلى للبنان ، بل تجرأ بعضهم وأعلنوا أنهم يخجلون من كونهم يهوداً ! وفى باريس قامت مظاهرة للشباب أمام السفارة الاسرائيلية احتجاجاً على حرب لبنان . وفى اسرائيل بحث من عارضوا سياسة حكومة اليمين عن اتصالات فى كافة أنحاء العالم واستخدموا الشتات اليهودى كصندوق رنان لتكبير معارضتهم لحكومة بيجين . وخفت هذه الاصطدامات قليلاً بعد انتهاء حرب لبنان ولكنها اشتدت مرة أخرى بدءاً من ١٩٨٧ والانتفاضة ... وهكذا خلق اليسار الاسرائيلى شرخاً داخل صفوف الشعب اليهودى لأسباب سياسية صرف ، لقد تجاهلوا مبادئنا دون أن يهتموا بالنتائج ، غير أن ردود الأفعال التى تقجرت بعد مقتل إسحاق رابين كانت بالغة الحدة . وقد حاولنا مناقشة من أيدوا موقف ايجال عامير قاتل رابين بغرض اقناعهم بأنه ليس من الممكن بأى حال من الأحوال تأييد هذه الجريمة .

وإذا كان جان بول بريه قد اختار العيش فى اسرائيل إلا أنه يرغب بشدة شكل الدولة الذى اقترحه اليسار :

« ما المبادئ التي تدفعني للهجرة الى اسرائيل » اذا استمعت لأقوال شخص مثل بيريز يعدنا بأن اسرائيل ستكون في المستقبل مركزاً لشرق أوسط مزدهر ؟ ماذا يفيدني هذا ؟ لو وضعت الحجج الاقتصادية أمامي في الميزان لفضلت البقاء في فرنسا ؛ أريد أن أعيش في دولة يهودية ، في دولة أنشغل بها يحدث بها يومياً ، في دولة أعيش فيها في حالة تداخل دائم مع المحيطين بي ؛ لأننا نعيش معاً نفس المشاكل ونفس المشاعر ونفس الاحباطات ونفس الأوهام ونفس التقاليد ... ان ما يهمني هو أن أعيش في بلد يحافظ على القيم التي احتفظنا بها لثلاثة آلاف عام ، بلد قائم على أساس ثقافتنا وفي وسط شعب مستعد للدفاع عن قيمه وأن يحيى المجتمع الذي بعثه الرومان في أنحاء العالم .

وكما هو واضح ، فان معنى الصهيونية الفرنسية نفسه يتغير ، ويتم حالياً استيراد الخلافات الاسرائيلية وتحويل الطائفة الى حيز مغلق تجري فيه دون طائل الصراعات السياسية التي تجري في القدس . وهكذا تركز كل نشاط بيتار منذ ١٩٩٣ حول معارضة العملية السلمية وحكومة اليسار ، فقد عارضت الحركة كل الوزراء وكل أعضاء الكنيست الذين عبروا عن مواقف غير دينية أو متعاطفة مع الفلسطينيين ، التي درجة الشوشرة على أحد الوزراء الاسرائيليين عند زيارته لباريس .

يقول جاك كوبفر : « لقد تغير الخطر اليوم ففي الماضي كان مصدره المحتمل عدوان مادي من أعداء السامية ولكن مصدره اليوم هو حالة الترهل وفقدان النخاع الشوكي ، حالة فقدان الهوية لليهودية يدفع اليها اليساريون الذين يريدون الهروب من اليهودية ... » .

وتؤدي هذه المعارضة « اليسارية » الى العودة للقيم الروحية ، ومن هنا موقف بيتار : داخل العالم الأرثوذكسي الفرنسي لا يمثل التيار الصهيوني بشكل نظامي ، فتوجد فعلاً حركة للشباب تسمى (بنى عكيفا) وهي تربط منذ نصف قرن بين الصهيونية والدين ؛ ولكن خطها التقليدي لم يعد يناسب التوجهات الجديدة للقومية المسيانية . ويشرح دانييل ليفي الذي كان حاخام كريملان بيسيتر وهو يدرس اليوم باحدى مستوطنات يهودا والسامرة هذا الفراغ بقوله :

« ان الصهيونية الدينية (*) تكاد لا توجد خارج اسرائيل ، فأولا هناك جهل بنظرية الصهيونية الدينية في فرنسا ومؤلفات الحاخام كوك (**) غير مترجمة للفرنسية ، وأولئك الذين يريدون العودة الى الدين يغلغون على انفسهم ويعيدون خلق الجيتو ، ولكن بصفة خاصة فحيث ان الصهيونية الدينية هي حركة فاعلة ، فان الناس يرحلون الى اسرائيل ! ان المتدينين غير الصهيونيين يبقون في فرنسا ولكن المتدينين الصهيونيين يكونون كواند تهاجر الى اسرائيل ... » .

وتواجه ببتار نفس المشكلة ، فاذا كان تحريك ارادة الشباب يعنى رحيلهم ، فان هذا يعنى ضرورة تكوين وتعبئة كادرات جديدة للحركة باستمرار . يقول جاك كوبفر :

« أن ميزة ببتار تكمن في أنها حركة صهيونية حقيقية بمعنى أنها عندما تتقوى فان شبابها تكون لديهم قوة دافعة كبيرة وهذا يؤدي الى هجرتهم لاسرائيل . وخلال السنتين الأخيرتين رحل مائتان وثلاثون من شبابنا ... (٦) » .

ومع ذلك ، فاليمين الاسرائيلي المنظم جيدا مستمر في فرنسا كما ان طابعه الدينى أخذ في الازدياد ، فمفد علمين تقرر - احتراماً لقداسة يوم السبت لدى اليهود - نقل أنشطة ببتار من يوم السبت الى الأحد ، تحت ضغط الشباب الذين يريدون احترام عطلة السبت ، ويعنى جاك كوبفر هذه الحقيقة جيداً :

(*) لا تختلف الصهيونية الدينية عن نظيرتها غير الدينية الا في التفاصيل ، فكلتاها تحاول تبني الأفكار الدينية التقليدية ومصطلحات الدين اليهودى بعد تفريقها من كل الزام خلقى مع تأكيد بعدها العرقى . ولانجاز هذا الهدف اعاد المتدينون صياغة الشريعة اليهودية على نحو يتماشى مع عملية الاستيطان اليهودى . ويعبر الحاخام كوك عن الفكر الدينى الصهيونى خير تعبير - (المراجع) .

(**) الحاخام كوك : ولد كوك في شمال روسيا عام ١٨٦٥ م . تلقى في صغره تعليماً تلمودياً - وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره أصبح حاخام . وفى عام ١٩٠٤ ، هاجر الى فلسطين وأصبح حاخام لليهود يافا . وفى عام ١٩١٤ سافر الى أوروبا للاشتراك في الاجتماع الكنسى العالمى ممثلاً عن أجودات اسرائيل . وشغل منصب كبير حاخامات الطائفة اليهودية الاشكنازية في فلسطين منذ عام ١٩٢١ وحتى وفاته في عام ١٩٢٥ م . (المراجع) .

« لقد كان أعضاء بيتار دائما تقليديين دون التركيز على الشعائر . . . واليوم أصبحت الحركة أكثر تدينا بفضل الشباب الذين ينضمون اليها، ولكن هذا يتمشى مع تقاليدنا فبيجن كان يحترم يوم السبت ودرس فيه النصوص مع الحكماء والحاخامات . . . ان جذورنا عميقة الارتباط بالتوراة والتي منها نستمد مطلب العودة الى ارض اسرائيل ، وكذا فكرة العدالة الاجتماعية وفكرة الشعب اليهودي الفخور بنفسه والقادر على القتال والدفاع عن ارضه » .

وتختلف هذه الحركة عن الأرثوذكسية اللاصهيونية وتوجه كل هجومها الى اليسار ، يقول جاك كوبفر :

« ان مشكلتي ليست مع الأرثوذكس وانما مع كل أولئك المتجهين الى اليسار الذين أخذوا عن ماركس مسيانية منحرفة ، مع أولئك المخدوعين الذين يعتبرون ان اهم شيء يفرحهم ، هو ان يسمعوا انه قد اقيم في اسرائيل معسكر للاجازات يضم يهودا وعربا معا . . . وهم مخورون بذلك لغبائهم ! ان الجميع ينادون بالسلام ولكن اعتقد انى اذانع عن السلام اكثر من أولئك القوم ! انهم يؤيدون عملية يسمونها عملية السلام ؛ ولكنها عملية تصفية اسرائيل .

ما دور أعضاء حزب العمل اليوم في الحركة الصهيونية ؟ ماذا يفعل في هذا المعسكر من يؤيد عملية تهدد تحرير ارض اسرائيل ومركزية القدس ؟ ، ومن يعارض ما يسميه الأصولية كما لو كانت الأصولية اليهودية تقتل ؟ ، من يعتبر ان دولة اسرائيل يجب ان تكون دولة مثل غيرها ؟ ان هؤلاء القوم لم يعودوا يحلمون ولم تعد لديهم ارادة . . . يجب انتزاع روح الجيتو من بعض الاسرائيليين وخاصة من حزب العمل، لقد تخلصوا من الجيتو بأجسامهم ولكنهم لم يخرجوا الجيتو من أنفسهم ! انهم مازالوا أشباه يهود محتاجين للحماية ، انهم في حاجة الى موافقة العم سام والى التصنيف في الأمم المتحدة ، انهم محتاجون الى جوائز نوبل ، انهم محتاجون ان يكونوا محبوبين . اما انا فلا يهمنى ان يكون الشعب اليهودي محبوبا انى اریده فقط ان يكن محترماً » .

هذه المعركة ضد اليسار فقدت الكثير من مبرراتها بانتخاب نتنياهو،
فانتصار الليكود قد دفع اليمين الصهيوني الى داخل المؤسسة الحاكمة
وعليه الآن ان يؤيد الحكومة القائمة . ولكنه رغم ذلك يتابع نشاطه
الثابت من أجل اسرائيل الكبرى : ففي شهر أغسطس من كل عام
تخترق قافلة من الحافلات يهودا والسامرة ، حاملة ألفين من يهود فرنسا
الى مدينة حبرون (الخليل) ، حيث يلوحون بأعلام اسرائيل الزرقاء والبيضاء
أمام السكان الفلسطينيين المستنزين، حيث يعتبرون ان من واجبهم ان يؤكدوا
الوجود اليهودي ويعبروا عن تصميم يهود الشتات على عدم التخلي عن
الأرض المقدسة . ثم يقومون بالترنم أمام اليشيفا وملفات التوراة المقدسة
التي أخرجوها من صندوقها الثمين ، وبعدها يستقلون الطائرة عائدين
الى باريس حيث الحياة الآمنة ...

الفصل الرابع

أبواق صهيون

(أو الأرثوذكس في إسرائيل)

توجد في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة ، هي إعداد الكهنة الذين سيقومون بالخدمة في الهيكل الكبير عند إعادة بنائه . انهم لن يرتدوا الرداء الكهنوتي الأبيض لأنهم ليسوا من قبيلة كوهين التي لأبنائها وحدهم شرف الخدمة في بيت الاله عندما يقف بكل مجده على جبل صهيون ، وسيكتفون بدور الموجهين لخدام الرب .

وللاستعداد لهذه الأيام المجيدة يعكف الحاخامات على دراسة نصوص التوراة ؛ لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الالهية كما كانت تمارس في مملكة اسرائيل منذ ثلاثة آلاف عام . وبكل الصبر والعناد يعيدون صياغة أدوات العبادة ، ويجمعون الأواني النحاسية لتلقى دماء الذبائح وكئوس حفظ السوائل المقدسة وأبواق النداء في الاحتفالات ... وعلى بعد خطوتين من حائط المبكى أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة هذه على الجماهير المتلهفة ، ويأمل الحاخام مناحم ماكوفر الأمين على هذه المجموعة العجيبة ، أن يقوم يوما باخراج هذه الأدوات من دواليب العرض الزجاجية ؛ لينقلها الى الهيكل بعد إعادة بنائه ويقول :

« على الناس أن يقوموا ببناء الهيكل ، وهي إحدى (الوصايا الالهية) ، ولا يجب أن ننتظر معجزة الهية ؛ ولكننا لا نهتم

« ان احدى الوصايا الرئيسية للتوراة هي احترام الأبناء للآباء ، تقول الوصية الخامسة : « اكرم اباك وامك لكى تطول أيامك على الأرض » . . . اما عند الأرثوذكس فأول شيء يطلب من المراهق القيام به كشرط لعودته الى الدين فهو أن يقطع كل ارتباطاته العائلية اذا اعتقدوا ان أبويه بعيدان عن الدين . ومن ثم ، فالحاحام وهو وحده الذى يمثل السلطة والذى يتخذ كل القرارات ، ان هؤلاء الشباب يتعرضون لعملية غسيل مخ حقيقية ! انهم يخضعون لنظام صارم فى المعاهد الدينية حيث يتعرضون لكل انواع الضغوط النفسية ، وخلال أسبوع واحد يتغيرون تغيرا كاملا ويخرجون وقد فتدوا ذكاءهم ولم يعد ممكنا التعرف عليهم » .

والبروفيسور يعرف عما يتحدث ، فابنه هو شخصيا قد قطع علاقته بعائلته بعد ان قرر ان يسير طبق قواعد التوراة . وان كان لا يتحدث عن مأساته الشخصية الا انه يلوح بخطاب وصله من بالتيبور : « لقد فقدت أربع بنات وثلاثة أبناء أصبحوا جميعا من اللوبافيتش وتزوجوا من لوبافيتش ومعهم اثنان وعشرون حفيدا من اللوبافيتش ، لعله فيروس أصاب أبنائى وأزواجهم ، ولكن ليس من المؤكد أنه أصاب الأحفاد . لم احضر ايا من زيجاتهم ولا أى ختان ، وعندما كنت بالصدفة موجوداً عند ولادة أحد الأحفاد طلب منى مغادرة المكان ، لقد حرمت لسنوات من رؤية الأحفاد ولكنهم بدعوا يكبرون الآن ، وأكبرهم سيحتفل بعيد ميلاده الثامن عشر ولا توجد قوة فى العالم ولا حتى المسيح المنتظر نفسه تستطيع منعه من ترك والديه والحضور لزيارتي » .

وهذا النوع من الشهادات يصل يوميا الى دان مالر ، ففى عشية مقابلتى معه وصله نداء تليفونى من أم لصبى عمره سبعة عشر عاما وقع فى حبال حاخام متطرف . ولقد بدأ المراهق بلبس طاقية ، ثم فرض على العائلة تناول الطعام الكاشير وتزداد اشتراطاته كل يوم ، ولكن هذه الممارسات لم تجلب له السعادة فبعد أن كان طالبا مجدا ذا طبيعة منفتحة ومحبويا ومحبا للرقص ، أصبح منطويا على نفسه صموتا وضائعا . . .

بالوسائل السياسية التي يمكن أن تتحقق بها هذه النبوءة عمليا ؛ ولكننا نستعد فقط لذلك الحدث » .

وتقتصر هذه الفولكلورية الساذجة بعض الشيء حاليا على عرض مجموعة متنوعة من الأشياء التي تجتذب اهتمام السياح المهتمين بتاريخ التوراة ، أو اعطاء المدرسين فرصة شرح درس عن التاريخ القديم للمدينة المقدسة ، ولكن الحاخام ماكوفر لا يشك لحظة واحدة في أن الجامع ذا القبة الذهبية والمقام على نفس الصخرة التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم ، هذا الجامع سيدمر ليقام مكانه هيكل القدس الجديد المعاد بناؤه بكل فخامته .

يرى البروفيسور دان مالر أن افتتاح هذه اليشيفا التي يقوم كل تعليمها على إعادة بناء الهيكل الثالث ، يكشف حالة الهذيان التي تسيطر على العالم الأرثوذكسي في إسرائيل . منذ خمسة عشر عاما يخصص دان مالر جراح التجميل الشهير وزوجته صوفيا ، كل وقت الفراغ لديهما وجزءا كبيرا من جهدهما لجمعية مناهضة القهر الديني ، وهذه الجمعية التي تعادى الدين صراحة لها ثلاثة أهداف : دفع الكنيست الى اتخاذ اجراءات تحد من المغالاة في فرض الدعوة الدينية ، وكشف حقيقة العالم الأرثوذكسي أمام الرأي العام ، ومساعدة العائلات التي تتعرض لقهر ديني . ولقد حقق البروفيسور مالر نجاحات كبيرة بجهوده كان من أهمها اقرار البرلمان الاسرائيلي قانونا يمنع الدعاية الدينية في المدارس والجيش ، فحتى ١٩٨٦ كان دعاة الأرثوذكسية يتصيدون فرائسهم في فصول المدارس أو كاتينات الكنائس وكانوا يسقطيعون دون أية مساعلة أن يدفعوا العناصر الضعيفة الى الالتحاق باليشيفا . ومنذ ذلك التاريخ أصبح في إمكان المدافعين عن حرية الفكر أن يعتمدوا على القانون لكبح جماح الأصوليين .

واليوم ، ينحصر الكفاح اليومي للبروفيسور مالر على الأغلب في مساندة وأسداء النصيح للعائلات الممزقة ، فإن التوبة كثيرا ما تؤدي إلى حفر هوة بين الآباء والأبناء ، يقول :

« وطلبت منى هذه المرأة المتعانة النصيحة فهي تخشى أن تفقد ابنها نهائيا ان هى لم تسايره حتى النهاية فى اتجاهه المتشدد . وبدأت بالرجوع الى مواد القانون لأعرفها بحقوقها القانونية ، فمن حقها أن تمنع هذا الحاخام المتطرف من الاتصال بابنها القاصر ، ثم أرسلت الجمعية فورا الى الشاب مدرسا تقليديا متعمقا فى دراسة التلمود يمكنه ان يكشف له طريقا أكثر تعقلا لممارسة الدين ، ولا شك فى ان هذا الشاب سيصل قريبا الى طريق الدين القويم ومع الأسف ! فكثيرا ما نصل الى هؤلاء الشباب بعد فوات الأوان ، اذ أنهم كثيرا ما يخفون تجنيدهم لمدة طويلة بناء على نصيحة الحاخامات أنفسهم ! هؤلاء المرسلون كثيرا ما يعملون فى الخفاء ويطلبون من الشباب الا يخبروا عائلاتهم « لأنهم لن يفهموا » وعندما يكشف الوضع يكون من الصعب على الضحية التراجع » .

ويعرض على دان مالر ملفات مملوءة بالخطابات والشهادات وقصاصات الصحف وجميعها تحكى مآسى عائلية على خلفية دينية ، لأن تطبيق الشريعة اليهودية على نحو متشدد فى نهاية قرننا العشرين ، لا بد أن تنتج عنها مآس غير معقولة ويصعب الاملات من نتائجها .

ان الديمقراطية الاسرائيلية رهينة فى براثن رجال الدين ، فإن اللبس المحيط بالفكرة الأيديولوجية « للدولة اليهودية » يؤدى الى سيطرة الهيكل على السلطة الزمنية . وبعض هذه المظاهر يتخذ طابعاً فولكلوريا ليس له نتائج هامة ، مثل اجازة يوم السبت والعمل يوم الأحد أو استخدام نجمة داود الحمراء بدلا من الصليب الأحمر ، ولكن اشكالا أخرى من حالة الانصهار بين الدين والدولة تضغط بثقلها على حياة المواطنين ويصعب تقبلها فى أمة حديثة . .

ونظراً لأن الحاخامات يسيطرون على أوضاع الحالة المدنية للمواطنين ، فانه لا يمكن دفن الميت الا بعد اعلان انتمائه الدينى ، حيث ان المدافن مقسمة بدقة حسب الأديان ، بل انه خصصت مدافن خاصة للحالات الملتبسة مثل الذين يعتبرون أنفسهم يهودا ولكن الحاخامات لا يعترفون

بهم . والأمر أسوأ فيما يختص بالزواج ، فالمحددون عليهم السفر الى الخارج ليتموا الزواج ، والطلاق يتم حسب الشريعة اليهودية بإرادة الزوج وحده . ولو تخلى الرجل عن زوجته دون أن يطلقها ، فإنه يمكنه أن يتزوج بأخرى وينجب منها أطفالا شرعيين في حين يعتبر أبناء الزوجة غير المطلق من رجل آخر أبناء غير شرعيين ، ومثل هذا الوضع لا يهم في الشتات حيث ينظم القانون المدني الأوضاع ، أما في اسرائيل فمثل هذه الحالة تعتبر خروجاً على الدين . وكثيراً ما تسمح المحاكم الحاخامية التي تحيز عادة للرجال ، بالزواج الثاني للرجل — دون قيامه بتطبيق الزوجة الأولى — لأسباب واهية مثل رغبته في انجاب وريث ذكر أو أن شكل الزوجة لم يعد جذاباً أو أنها لا تجيد الطبخ . بل ان الحاخامية الكبرى لاسرائيل قد نشرت قائمة سوداء تتضمن أربعة آلاف اسم لمواطنين ومواطنات شرفاء لن يسمح لهم بالزواج : لأن أسلافهم مشكوك في يهوديتهم ، أو لأنهن نساء متهات بالخيانة الزوجية ، أو أنهم ينحدرون من نسل الكهنة وهؤلاء تسرى عليهم بعض القيود في الزواج ، هذه بعض المبررات لهذه القائمة العجيبة . ويسمح الزواج المدني في أي بلد ديمقراطي بالالتفاف حول التعقيدات الأرثوذكسية ، ولكن هذا النظام غير موجود في اسرائيل وكل محاولة لادخاله تواجه بصراخ الحاخامات بأن هذا معناه فقدان الهوية اليهودية . وتضطر السلطات القضائية العليا أحياناً للتدخل لوقف المخالفات الصارخة التي تنتج عن التطبيق الأعمى لقوانين الشريعة ، فقد نقضت المحكمة العليا بحكم اعتبره النائب العام زيف فاينر « ثوريا » قراراً لمحكمة تل أبيب الحاخامية في قضية طلاق ، حيث اعتبرت أن فيه اعتداء على أبسط مبادئ العدالة . فحيث ان الشريعة اليهودية لا تعطى الزوجة في حالة الانفصال الا المبلغ المتفق عليه في عقد الزواج كمؤخر الصداق ، فقد حرمت إحدى السيدات من نصيبها من الثروة التي حققتها هي وزوجها أثناء حياتهما المشتركة . وقد قضى الحكم المدني بقسمة أكثر عدالة مما أغضب السلطات الحاخامية وكذلك الحزب الوطني الديني ، وبعد الانتخابات الأخيرة أعلن الرجل الثاني في الحزب شاول ياحلوم : « اننا ننوي تدعيم الحاخامية في كل ما يتعلق بشئون الزواج

والطلاق والدفن ، وسنعمل على احترام قداسة يوم السبت ، لقد منحت المحكمة العليا نفسها من السلطات أكثر مما يجب ... » .

ان نمو العالم المتدين في اسرائيل يؤدي كذلك في الحياة اليومية الى مزيد من المتطلبات للأرثوذكس ، فمذ بعض الوقت زودت أتوبيسات شركة دان الثلاثة آلاف بلوحة كتبت عليها الصلاة الخاصة بأخطار الطريق ، وقامت شركة ايجيد المنافسة بتعيين « استشارى أرثوذكسى » لمراجعة الاعلانات المكتوبة على السيارات بكل دقة ! وأخطر من ذلك التدخل في الحفائر الأثرية : فيجب اتخاذ كل الحيلة حتى يستطيع الأثريون التنقيب في جبانة أثرية فيعملون سرا وأثناء الليل والا قامت قائمة العالم الأرثوذكسى بكامله ! فعندما اكتشفت جبانة أثرية قرب بوابة يافا بالقدس في يناير ١٩٩٣ تظاهر ثلاثون ألف متدين ضد هذا التدنيس للمدافن القديمة ، فالأجساد يجب أن تبقى في راحتها الأبدية لحين يوم القيامة الموعودة .

وهناك مطالب أخرى للمتدينين تتحقق بدرجات متفاوتة : فطائرات شركة الخطوط الجوية (العال) لا تعمل أيام السبت وذلك فيما يخص الركاب فقط ، اذ يبدو أن قوانين الشريعة لا تهتم بطائرات نقل البضائع ؛ وتجرى عمليات الاجهاض الممنوعة سرا ؛ ويجرى التشريح سرا في المستشفيات ... فالمجتمع المدنى يقاوم .

ودان مالر يعتبر الأرثوذكسية مرضا روحيا حقيقيا ، ويشرح فكرته بأن يقص على كيف لجأت اليه شابة عمرها ثمانية عشر عاما هاربة من أسرته بعد عدة أيام من التسكع في أماكن مختلفة ، فاتصل بوالدتها تليفونيا لطمانتها وكان كل ما سألت عنه هذه السيدة الأرثوذكسية عندما أبلغت عن ابناتها الغائبة هو : « وهل تتناولون الطعام الذى تحله الشريعة اليهودية ؟ » !! .

وكثيراً ما يؤوى آل مالر في الفيلا الجميلة التى يسكنونها في أحد أحياء تل أبيب الراقية شبابا هاربين من الدين ، وفي اسرائيل لا يتحدث أحد عن تخلى كثير من شعبية الأوساط الدينية عن الايمان ومع ذلك ،

فالامر يجب أن يقلق التربويين والعلماء النفسيين : فهؤلاء الشباب ينتقلون الى عالم يجهلون عنه كل شيء ، فهم لم يدرسوا لا الرياضيات ولا التاريخ ولا الجغرافيا ، وهم يدخلون العالم الزمنى دون أى تدريب ودون أية امكانية للعثور على عمل . طلب شاب عمره ثمانية عشر عاما ترك اليشيفا من دان مالر أن يريه جبلا :

« أعرف أنه توجد جبال فقد قرأت عنها فى التوراة ولكنى لم أر جبلا من قبل ... » !! .

وتعطل هذه الأوضاع كثيرا عملية اعادة الانماج فى المجتمع ؛ مما دفع الأرثوذكس السابقين الى تأسيس جمعية للمساعدة المتبادلة ؛ لكي تعرف الهاربين من التوراة بمبادئ الحياة اليومية واطلقوا على جماعتهم اسم (هليل) ، وهو حكيم عاش فى القرن الأول قبل الميلاد وتقول التقاليد انه كان يختصر تعاليم اليهودية فى عبارة واحدة من سفر اللاويين : « أحب قريبك كنفسك » .

واذا كان هناك شباب يتخلون عن اليشيفوت بشكل منتظم ، فان الهجرة الدينية تغذيها باستمرار ، وفى رأى دان مالر فان يهود الشتات يتجهون الى ارسال أبنائهم المنحرفين أو المدمنين الى المدارس التلمودية :

« وهكذا يحلون مشاكلهم العائلية دون أن يعلم المحيطون بهم بالأمر ! ولكنهم يبعثون الينا بمشاكلهم ... انهم يدفعون مبالغ كبيرة للتخلص مما يؤرقهم ؛ ولكن بدلا من ارسال نقودهم الى المستشفيات أو المؤسسات الأخرى المفيدة ، فانهم يدعمون التطرف الدينى » .

ويعتبر ارسال الأبناء المضطربين الى المدارس الدينية مصدر راحة نفسية لكثير من الآباء فى الشتات ، أفلا يعطى العالم الأرثوذكسى صورة جميلة عن الصفاء والدراسات المتعمقة والحكمة ؟ انها مجرد واجهة متفائلة وخادعة وفى الخلفية توجد جماعات متباينة تضم عصاتها ومنحرفيها، جماعات تشتمل كغيرها على اللصوص والمزورين والنصابين .

يقول دان مالر : « ولكن الحريديم » (*) أو « من يخافون الله » يخفون هذه الحقائق ، اذ ان لهم قانونهم الخاص ومحاسنهم الخاصة . والأرثوذكسي الذي يتعرض لاعتداء من أرثوذكسي آخر ليس له الحق في الشكوى للبوليس ، بل ان عليه أن يلجأ للمحاكم الحاخامية وأية مخالفة لهذا القانون الصارم لها عقوبتها الرادعة ، فهو يعتبر متعاوناً مع السلطات ويستحق الحرمان الديني ، وهذا الحرمان معناه ألا يتحدث اليه أحد من جماعته أو يسير الى جانبه أو يبيعه شيئاً ، بل انه يمنع حتى من دخول المعبد ، ويعلن اسمه على الطائفة بنشره في لوحات علنية . . . ويستمر هذا الوضع اللعين ربما سنوات حسب خطورة التهمة ، بل ان البعض يفرض عليهم ترك البلاد » .

وتنشر الصحافة الاسرائيلية بانتظام نتائج هذه الأحكام المخجلة ، وفي أبريل ١٩٩٦ أصابت لعنة الحاخامات الأرثوذكسي امرأة اتهمت « بالتعاون » مع السلطات القضائية وطردت بناتها من مدرستهن الدينية . . . ولماذا كل هذه الشدة ؟ لأن السيدة تجرات وشكت زوجها للسلطات القضائية ، بعد أن اكتشفت أن هذا المدرس التقى المنتمى إلى جماعة (بني براك) يعتدى جنسياً على بناته شخصياً !! .

كان اليهود يعيشون في الشتات منطوين على أنفسهم في الجيتو أو الشتيتل أو حارة اليهود ، وكانت علاقاتهم بالعالم الخارجي ضعيفة . فحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت أغلبية اليهود البولنديين يتحدثون باليديش (**) ولا يتقنون البولندية ؛ أما يهود شمال أفريقيا فالقليل منهم كانوا يتقنون العربية ، ففي نشاطهم المهني كانوا يتحدثون الفرنسية.

(*) الحريديم : تعنى هذه الكلمة اليهودية (المتدينون المخالون في التشدد) ، والذين يعادون الصهيونية ويكفرون الدولة ويعيشون في عزلة جيتويه ، وهم ليسوا كالمثنيين العاديين اذ يرتدون ملابس سوداء ، وغطاء رأس أسود ، ويطلقون لحاهم ، ويعيشون في جو القرون الوسطى ويتحدثون باليديش - (المراجع) .

(**) تعد لغة اليديش التي يستخدمها بعض اليهود والاشكناز حتى الآن من بين السمات المميزة لهم ، وهذه اللغة خليط من المانية العصور الوسطى والسلافية ، وتكتب بالحروف العبرية - (المراجع) .

أما في المنزل فكانت لهم لغتهم اليهودية - العربية (*) . أما المجتمعات المسيحية أو المسلمة المحيطة بهم والتي كثيرا ما كانت معادية ، ودوما كانت تنظر اليهم باحتقار(**) ، فقد كانت بشكل طبيعي تمثل لهم الشر وتضع أمامهم حائطا لا يمكن تخطيه ، ويمنع أولئك الذين قد يدفعهم الفضول من محاولة التسلل الى الخارج للتأكد مما اذا كان العشب هناك أكثر اخضراراً .

في اسرائيل ، لا يسكن الى جانب الأرثوذكس أناس معاذون للسامية ، ولا يمنع اغراءات العالم الخارجى وجود قوم سيئى النية يعيشون وراء حائط الجيتو ، فهؤلاء القوم غير الملتهين والذين لا يلبسون الطاقية هم يهود كذلك وحتى أن كانوا مختلفين فانهم يشبهونهم رغم كل شيء ، لقد سقطت الحواجز المادية ، وبذلك فقدت لغة الانطواء والخصوصية الكثير من مبرراتها ، ولحمية نفسه ، يضطر العالم الأرثوذكسى الى الانطواء فى حمى قواعد أشد صرامة واشد تطرفاً ؛ لأنها الضمان الوحيد لاستمرار هويته الدينية دون مساس ، لقد نشأت جيتوات جديدة أكثر انفلاقاً نظراً لازدياد خطر الاندماج فى البيئة المحيطة . وأحياناً تعود الكليشيهات القديمة الى الظهور وذلك من باب السهولة أو الكسل الذهنى أو التروتين التاريخى ، فالأستاذ كوبي أمسترا المستشار القانونى لعصابة معاداة التشهير وهى جمعية أرثوذكسية ، قد وجد من المناسب أن يتحدث عن « الأعمال المعادية للسامية » (١) عند حديثه عن الهجوم الأيديولوجى الذى يتعرض له المتدينون فى اسرائيل .

من ضواحي تل أبيب (بينى براك) ، مدينة يسكنها مائة وأربعون ألفاً جميعهم من الأرثوذكس ، وفى يوم السبت توضع حواجز فى الشوارع لمنع السيارات من إقلاق الراحة فى اليوم المقدس . . .

(*) اليهودية العربية : استخدم اليهود بعد دخول الاسلام للبلاد العربية المطعمة ببعض الكلمات العبرية . وكانوا يكتبونها بالحروف العبرية . وشاعت هذه اللغة فى أوساط يهود العراق واليمن - (المراجع) .

(**) يخالف الباحث فى هذا الموضوع الحقيقة التاريخية إذ يرى معظم الباحثين المتخصصين فى دراسة تاريخ يهود البلاد العربية مثل جزء لا يتجزء من المجتمعات الاسلامية وأنهم نعموا فيها بالتسامح ، بل وتقلدوا فيها أرفع المناصب السياسية والاقتصادية - (المراجع) .

ولكن هذا الطلاء اليراق يخفى مجتمعا جامدا غير متسامح وعنيفا ،
ففى أواخر ١٩٩٥ أحرقت كشك الصحف فى أحد الشوارع الرئيسية والسبب
هو أن البائع تجرأ وعرض الى جانب الصحف الأرثوذكسية الصحف
القومية الهامة ! لم يكن الأمر يتعلق بمجلات تنشر صوراً إباحية مثلاً ،
ولا حتى مجلات نسائية قد تظهر بها إعلانات للملابس نسائية ، وإنما كان
الموضوع هو بيع الصحف اليومية العادية ولا أكثر فقد طلب من البائع
وقف عرض هذه الصحف العلمانية فرفض ، فهدد ولكنه أصر على
موقفه ، فأحرقوا الكشك !

والأرثوذكس لا يترددون فى الخروج من أحيائهم لفرض أخلاقياتهم
على الآخرين ، فقد أحرقوا بعض محطات الاتوبيس حيث كانت عليها
إعلانات بها صور لنساء بملابس ليست بالقدر الكافى من الاحتشام ،
كما القيت قنبلة على أحد متاجر الجنس فى اورشليم ، نظرا لأن التساهل
فى موضوعات الجنس هو أحد الإهتيمات الخطيرة لهؤلاء المهووسين
بالأخلاق الحميدة ، ولنتأمل تصريح بن شلومو النائب فى الكنيست من
حركة شاس :

« اذا كان ستمائة وثلاثة جنود قد قتلوا خلال حرب لبنان فالسبب
فى ذلك هو التسبب الجنسى للمجنندات » .

ويأخذ البعض على عاتقهم أن يفرضوا احترام قوانين التوراة كما
يفهمونها وهم يزرعون شوارع بينى براك وبقية الأحياء الأرثوذكسية
فى مدن اسرائيل ، مستخدمين العنف والتخويف والتشهير سلاحاً لهم .
وميليشيا الأخلاق تراقب الجميع ومهمتها المحافظة على مظاهر التزمّت
الأخلاقي : هل أطالت هذه السيدة المتزوجة الحديث قليلا مع رجل
غريب ؟ اذن يرسل خطاب بدون توقيع لزوجها يدين هذا الفعل الفاضح ،
هل يبيع هذا المتجر اطعمة مشكوكاً فى مطابقتها للشريعة ؟ اذن تتابع
التهديدات لصاحب المتجر وترفع اللافتات التى تدين هذا العمل
غير الأخلاقي .

وتعتبر جماعة يد الأخوان ذراعاً أخرى وأكثر عنفاً من أذرع الايمان ،
وهى تمتد الى المتدين الذى يخالف القواعد حتى فى شئون الحياة الخاصة ،

فلو تبين أن أحسد سكان حي بينى براك يمتلك تليفزيوناً الذى هو مصدر كل الشرور ، فالضغط الذى سيتعرض له سيرجعه بسرعة الى الطريق القويم . أعرف سيدة لديها الشجاعة الخارقة أن تحتفظ بتليفزيون فى شقتها وعندما تخرجه من الدولاب الذى تخبئه فيه ، فانها تتابع البرنامج وعينها ملتصقة بالشاشة والصوت يكاد لا يسمع ؛ لأنه لو سمع الجبران الصوت فقد يبلغ أحدهم يد الاخوان !

وحيثما أقدم شاب يبلغ من العمر عشرين عاماً على بعض التصرفات الطائشة من فرط فضولة لمعرفة ما يدور فى العالم الخارجى ، جذبت تصرفاته أنظار حراس الفضيلة . وحيثما ذهب الى السينما فقد خلع الجلباب الأسود ولبس بدلاً منه الجينز إنه لم يضايق أحداً ولكنه استمع فى الغرفة الصغيرة التى استأجرها الى موسيقى دنيوية وجمع كتباً ليست ذات أهمية فى الأدب والفلسفة بل ربما قليل من التاريخ ، وهجم على الغرفة الفقيرة أعضاء من يد الاخوان وكسروا الأسطوانات واطفأوا الكتب واعتدوا على الشاب . . . وكان عليه اما الخضوع واما الهرب ؛ فترك بينى براك بلا مودة .

والتعصب الدينى ليس مجرد تصرف للجماعات العدوانية المنظمة لفرض الارهاب ، وانما يبدو أنه شئ يغرس منذ الصغر ، فلى « رامات جان » كان الصغير شأى وعمره ثمانى سنوات تلميذاً بمدرسة دينية ، الى أن نقله أبواه الى مدرسة حكومية بسبب ضيقهما مما تعلمه المدرسة للطفل ، ولم تكن إحدى المليشيات هى التى اعتدت على الطفل وكسرت له نظارته وجرحته فى وجهه ونعته بالخائن ، وانما كان زملاؤه السابقون ذوو السنوات الثمانى هم الذين قاموا بذلك !

ولا يقتصر هذا التعصب المخيف على العالم الخارجى ، فالمدارس الحاخامية الصغيرة تكره بعضها البعض وتحترق الواحدة الأخرى وتلعن وتهاجم بعضها البعض ؛ بسبب خلافات دينية تكاد لا تتميز من بعضها البعض . وأحيانا تنفجر الخلافات وتتحول الى أعمال عنف ، وكانت واحدة من أبشع هذه الهجمات تلك التى ارتكبت أثناء المعركة الانتخابية فى ١٩٨٤ ، حيث هاجمت عصابة مسلحة بقضبان حديدية

عضو البرلمان الأرثوذكسى مناحم باروش ذى السبعين عاما داخل
المعبد حيث كان يصلى فنقل الى المستشفى وقد كسر له ضلعان ...
وكان المهاجمون من حسيدي الجور والسبب انه أشيع أن باروش قد
تهكم على حاخامهم !

وتسود حالة من التنافر الداخلى فى أوساط الطوائف الأرثوذكسية ،
فلو أرادت ابنة أحد أتباع حاخام فيشنتس أن تتزوج
ابن أحد أتباع حاخام بلتس لقامت مناحة فى العائلتين ، مع أن الرب
واحد والطقوس متشابهة والتقاليد كذلك ولكن ما أهمية ذلك ؟

ان شكل الشترايمل — القبعة الفرو التى يرتديها الأرثوذكس —
يختلف قليلا وتفصيل الردنجرت يختلف بعض الشيء وهذا يكفى لجعل
الآخر مختلفاً . ومنذ وقت قريب تزوج حفيد أبراهام شابيرا وهو أحد
الشخصيات الهامة فى حزب أجودات يسرائيل وحسيدي من الجور ،
من آنسة تنتمى لفئة أخرى فقطع الآباء والأجداد علاقاتهم بهذا المارق
المتحرر أكثر من اللازم .

وحتى اليشيفوت تمارس الانعزال : فالطلبة الجدد الخارجون من
أوساط يهودية غير أرثوذكسية يوضعون فى معاهد مخصصة للذين
اغتنقوا اليهودية حديثا حتى لا يعدوا بعاداتهم الحياتية الأنقياء الخارجين
من الأوساط الأرثوذكسية ! ولو أراد هذا الغريب أن يتزوج فالأغلب
أنه لن يجد سوى انسانة مثله ؛ لأن أبواب العائلات التقية لا يمكن أن
تفتح له : فالتوبة لا يمكن أن تمحو البقع السوداء لماضى من الخطايا !

والأرثوذكس يمارسون الانعزال على أسس اثنية كذلك ، فقد نشرت
صحيفة يديعوت أحرونوت (٢) قصة أطفال من اليهود الشرقيين أرادوا
استكمال دراستهم فى يشيفا يديرها الحسيديون من براتسلافا ؛ ولكنهم
رفضوا جميعا ، فنصحهم الحاخام اليزير برلان المسئول عن عودتهم الى
الدين بأن يتقدموا بطلباتهم مرة أخرى ، ولكن باستخدام أسماء عائلات
قريبة من أسماء اليهود الأوروبيين ... فاتبعوا نصيحته وقبلوا هذه
المرّة .

وهناك شيء واحد يوحد الأرثوذكس وهو حقدهم العميق على دولة إسرائيل ، وان كانت هذه الكراهية تقل عند الأجيال الجديدة ، والسبب لهذا التعارض العنيف واضح : وهو أن الإنسان قد وضع نفسه بإقامته للدولة بديلا للمسيح المنتظر الذي هو وحده القادر على إعادة بنى إسرائيل الى أرض الأجداد . ويضاف الى هذا الخطاب الدينى الصرف خطاب غامض يختلط فيه هيرتسل مع بن جوريون ورابين وبيريز وحتى نتنياهو فى دوامة من الكلمات تخطط أحداث التاريخ ووقائعه وعصوره . والعدو لم يعد عدو السامية — وهو عنصر غير موجود فى إسرائيل — بل « اليهودى اليسارى » وتحت هذا المسمى العائم يصنف اليهودى البعيد عن القواعد الدقيقة للأرثوذكسية ، وعليه يتبلور كل الخوف من العالم الخارجى وكل الأساطير المزوجة بالكراهية والخوف والرعب الذى كانوا يشعرون به فيما مضى تجاه القوزاق المستعبد للهجوم على الجيتو .

قص على أحد رجال الدين وعيناه تبرقان بالزهو كيف أنه فى إحدى المظاهرات اليسارية فى تل أبيب ، قام رجل بتوزيع ساندويتشات جامبون على المتظاهرين ... ولكن هذا الاستفزازى الذى تجرأ ووزع لحم الخنزير على إخوته اليهود ، مات مسحوقا تحت حطام منزله الذى أصابه صاروخ سكود أطلقه صدام حسين أثناء حرب الخليج !

« تقول الجيمارا (*) أن من يدفع الشعب الى المعصية ، لا يجوز العفو عنه ... » هكذا ختم هذا العليم بارادة الله حديثه ! .

والشخصية التاريخية التى تتركز عليها كل كراهية هؤلاء الأرثوذكس هى تيودور هرتسل نفسه ، وتسرى اشاعات غريبة فى اليسيفوت حول مؤسس الصهيونية السياسية : فيقال أن نسخ كتابه الدولة اليهودية قد خضعت للرقابة على أيد مجهولة ، وأن المؤلف قد اقترح فى خاتمة الطبعة الأولى من الكتاب اعتناق اليهود جميعا للكاثوليكية فى الوطن الجديد الذى سيجتمعون فيه ...

(*) تعنى لفظة « الجيمارا » شروح الحاخامات لنصوص « المشنا » التى تشكل لب التلمود (المراجع) .

صحيح انه قبل أن يختار حلاً قومياً للمشكلة اليهودية فقد فكر هيرتسل في اعتناق المسيحية على نطاق كبير : « ان فكرة اجراء عملية تنصير عامة كانت نصفاً جد ونصف هزل ... كنا نعتزم تعميد الأطفال اليهود قبل أن يدركوا معنى التنصير ، وكان يمكننا على هذا النحو الاندماج في أوساط الشعوب الأخرى » . هكذا كتب هيرتسل في مذكراته الخاصة ، وعندما ذكر هذه الفكرة الجنونية أمام أصدقائه كان ردهم هو الضحك منه وسرمان ما تراجع عن هذه الحملة الغريبة ، وبعد سنتين من ذلك خلال عمله مراسلاً صحفياً في باريس ، أبرق في ٣١ أكتوبر ١٨٩٤ إلى صحيفته في النمسا بخبر اعتقال ضابط يهودي بتهمة الخيانة ... وهكذا انقسمت فرنسا لسنوات طويلة حول قضية دريفوس ، مما أعطى هيرتسل فكرة حل سياسي للمشكلة اليهودية ، وهكذا ولدت الصهيونية .

ان فكرة أن هيرتسل قد تلاعب في وقت ما بفكرة اعتناق اليهود للمسيحية قبل أن يصبح رئيس الصهيونية بغير منازع ، تشير غيظ الرجال ذوي الملابس السوداء ، انهم لا يهتمون بتداخل التواريخ ولا بالتطور العشوائي أحياناً للأفكار ، ولا بظهور أحداث قد تغير مجرى الحياة فهم غير معادين على دراسة التاريخ ولا مناقشته . وعلى أية حال ، فشخصية هذا الشاب المثاق الذي ترجع أصوله إلى غينا تثير استمزازهم ، وهم لا يتصورون أن اليهود قد استطاعوا تحقيق عظم العودة إلى صهيون ، تحت قيادة هذا الاشتراكي البعيد كل البعد عن عالم التلمود .

وبالمثل ، لا يشعر الأرثوذكس بالعطف على اسحق رابين ضحية التعصب الصهيوني حتى ولو بدأت أحاديثهم المتكررة بلا نهاية بالعبارات : « جريمة بشعة ... عار وبقعة سوداء في حق الشعب اليهودي بأكمله ... ولكن ... » .

ولكن ! ولكن رابين كان من أولئك الذين قتلوا النيران في ٢٢ يونيو ١٩٤٨ على سفينة الأتالينا التي حملها « الأرجون » ، منظمة مناخم بيجن ، بالسلاح ووقفت في عرض البحر قبالة شاطئ تل أبيب . لقد قدر بن جوريون أن هذا السلاح سيقوى جماعة من المتحزبين الذين

سيعرضون شرعية حكومته للخطر فاستخدم السلاح ضدهم ... وأنت هذه الحرب الأهلية القصيرة بين اليهود الى قتل أربعة عشر من منظمة الارجون واثنين من الجيش النظامي ، ولا يتردد الأرثوذكس اليوم في القول بأن الرب هو الذي وجه يد قاتل رئيس الوزراء في ٤ نوفمبر ١٩٩٥ ، الى اليهودي الذي شارك في قتل يهود آخرين قبل ذلك بخمسين عاما ... « يجب ألا تنسى المبدأ » من قتل يقتل « ... ان يد الله فوق الكل ، وحتى هتلك كان أداة في يد الله ! وفي التوراة يقول الرب لنبوخذنصر (*) ملك بابل الذي هدم الهيكل الأول : « أنت خادمي » . ان الرب يستخدم الأشرار عندما يكون من الضروري معاقبة الشعب اليهودي » .

ان المتحدث بهذا الكلام يدعى موشيه كاوفمان وهو انسان هادىء وأب لاثني عشر طفلا ، وقد اعطاني درسا خاصا في التاريخ على طريقته ، فعند قيام دولة اسرائيل وتهجير شباب افريقيا الشمالية أحضر هؤلاء الشباب صبيانا وبنات ، انتزعوا من ألقى العائلات ووضعوا مختلطين في أفخم فنادق الكوت دازور والأدرياتيكي ، حيث انغمسوا في الرذائل وقضى على ايمانهم الديني وعندها فقط فتحت أبواب اسرائيل العلمانية لهم ... وكان من الممكن أن تواجه هذه القصص المضحكة وذات الطابع الأخلاقي المنافق بهز الأكتاف ، لولا أن قائلها هو أحد المدرسين الأكثر نفوذا في بني براك .

ان دولة اسرائيل يتركز فيها حسب رأي الحاخام كاوفمان ، كل الشر الموجود في العالم ، فهو يدين بلا تردد ولا قبول للطعن صهيوني الأمس وصهيوني اليوم ، ورواد تعمير الصحراء ورجال الأعمال الشطار في المدن ، والساسة المنافقين ورجال المبادئ المثاليين . وهو يوضح بكل جدية أن اللصوص في هذا البلد هم أكثر لصوصية من أي مكان آخر والغشاشين أكثر غشيا والقتلة أكثر قتلا ، ومن الطبيعي أن الحكماء على هذه الأرض يكونون كذلك أكثر حكمة من أي مكان آخر على سطح

(*) اسم بابلي « نبو حامى الحدود » ، وهو ابن نبو بلاسر وخليفته في الجلوس على عرش مدينة بابل ، وحكم الامبراطورية فيما بين التهرين وسوريا ، وكان أبوه قد أسس للدولة البابلية الجديدة سنة ٦٢٥ ق م منها بذلك حكم الدولة الاشورية - وقد حكم نبوخذنصر ثلاثا وأربعين سنة ومات سنة ٥٦٢ ق م - (المراجع) .

الأرض . يقول : « في اسرائيل تكون الفرائز الحسنة والسيئة أكثر قوة ، فاليهودي يتوحد مع الرب ولذلك فارادته ورغباته تكون أكثر قوة وعندما يسقط اليهودي فإنه يسقط الى أعماق أبعد ... » .

كان بعض حاخامات أوائل القرن يستخدمون هذا الخطاب لادانة الصهيونية الناشئة ، فكان أغلب الأرثوذكس يعتبرون أن مبدأ العودة الى فلسطين ، هو قمة الانحراف والمشروع الجهنمي الذي اخترعه يهود مصممون على تخريب اليهودية . وفي الشتيتل والجيتسو قبل الحرب العالمية الأولى اعتبر الرؤساء الروحانيون أن حركة الاحياء السياسي خطر على روح الدين وحليف للاشتراكية والفوضوية والشيوعية والبوندية وجميع الاتجاهات الثورية العلمانية التي كانت تغل داخل المجتمع الأوروبي ، وفيما عدا بعض الاستثناءات القليلة كان أساتذة الأرثوذكسية يعتبرون الصهيونية من عمل الشيطان ؛ لأن الله وحده هو القادر على أن يحقق الخلاص بمجزاته .

وفي ١٩٠١ تأسست في كوفنو بليتوانيا جمعية المدافعين عن الايمان ، والتي كان هدفها انتزاع الأفكار المؤدية الى قلب التقاليد من المدارس الدينية وبصفة خاصة « الهرطقة الصهيونية » ، وفي السنة التالية أصدر رؤساء الجماعات الحسيدية كتابا تحت عنوان رأي الحاخامات أعلنوا فيه : « لقد قام بعض الكذبة في وسطنا ... ان مضمون الفكرة الصهيونية ليس الا تخريب ديانة موسى واسرائيل . » .

والأساس الآخر لمعارضة الحركة القومية اليهودية كان الرغبة في المحافظة على الحياة التقليدية ليهودية أوروبا الوسطى ، فقد كان هذا العالم في حالة تغير تحت تأثير حركة التحديث : هاليشيفوت هجرت واليديش تولى عنه الشباب الراغب في التحرر . وفي تعداد ١٨٩٧ في روسيا أعلن سبعة وتسعون بالمائة من اليهود أن لغتهم الأم كانت اليديش وانخفضت هذه النسبة في بعض المناطق الى أقل من خمسين بالمائة في ١٩٢٦ (٣) وفقدت العائلات الحاخامية الكبيرة نفوذها : فالأجيال الجديدة تخلت عن الجلباب الأسود وحلقت ذقونها ، وبدأت

الهجرة في تلك الظروف بمثابة الضربة القاصمة لمجتمع مخلخل ، وبذلك
الحاخامات كل جهودهم للابقاء على اليهود داخل الشتيتل ، أى ذلك
الاطار المعروف الذى يمكن الاطمئنان اليه .

في ١٩٣٠ أجاب يهودى روماني عجوز على ألبرت لوندر عندما سأله
ان كان يريد الهجرة الى فلسطين : « لقد قضيت ثلاثة وسبعين عاما
أتملق الأوروبيين ، فليذهب غيرى ليلمق العرب ! » (٤) .

وحتى السفر الى الولايات المتحدة كان مدانا من وجهة نظر الحكماء
ولكى يقنعوا أتباعهم بعدم السفر الى العالم الجديد ، كانوا يكررون أن
اليهودية الأمريكية تقوم على ثلاثة مبادئ : الطعام غير الحلال وعدم
احترام السبت واتباع الأخلاق غير الحميدة .

وينفس المنطق كان الأرثوذكس يعتبرون كل تقدم في اتجاه التحرر
شيئا ملفونا ، فالانفتاح على العالم وتسامح الأمم ارتبط به الاندماج
وفقدان الهوية والابتعاد عن أداء الواجب نحو الله . وعندما فرح يهود
المجر في أوائل القرن التاسع عشر بظهور أضواء فجر عهد جديد من
الحرية ؛ أعلن حتام سوفير (*) حاخام بريسبورج رفضه لهذا الفرح ، قائلا
ان هذا اليوم يشبه يوم هدم المعبد ، ولشرح هذه المقولة لسامعيه قص
عليهم حكاية ... قام أحد الملوك يوما بنفى زوجته لأنه مل معاشرتها ،
فعاشرت المرأة المسكينة وحدها في كوخ حقير ومرت الأعوام ، وفي أحد
الأيام جاءها رسول ليبلغها بأن الملك برحمته الكبيرة قرر ان يبنى لها
قصرًا فبكت الملكة لدى سماعها تلك الكلمات ؛ فقد فهمت أنه لو كان
الملك يريد ارجاعها الى القصر لما بنى لها أجمل المنازل ، وأن كرمه هذا
إنما يعنى أن سنوات النفى مستمتد طويلا (٥) .

وعندما ظهر تهديد النازية ، كان القادة الدينيون على درجة من
الخوف من فقدان الهوية اليهودية أفقدتهم القدرة على تنظيم أنفسهم ،

(*) حتام سوفير (١٧٦٢ - ١٨٣٩) : وك الحاخام سوفير في مدينة فرانكفورت ،
وتلقى في صباه تعليما دينيا مكنه فيما بعد من تولي منصب كبير الحاخامات في المجر .
تزع الحاخام سوفير الاتجاه اليهودي المتشدد في مواجهة الاتجاهات اليهودية
الليبرالية التي دعت الى التحرر من التقاليد - (المراجع) .

بشكل يسمح لهم بالهروب من الإبادة الجسدية التي كان التهديد بها يتكرر في الخطاب البرلينية . وفي ١٩٣٧ ، أى قبل قيام الحرب بسنتين وبعد أربع سنوات من سيطرة هتلر على ألمانيا ، وقف حاخام مونكاتش في الكاربات يتحدث عن الصهيونية في إحدى عظاته قائلا : « انهم يشجعوننا على الذهاب الى فلسطين حتى نضمن البقاء ! ولكننا نحن المؤمنين أبناء المؤمنين نفضل أن نحرق بالنار أو أن نقطع قطعاً قبل أن نتخلى عن كلمة أو حرف من نصوص حاخاماتنا أو التوراة المقدسة » (٦) ، وكأنه كان يتنبأ بالكارثة ! .

ولا يصفح رجل كبير السن أملت محطما من معسكرات الموت عن انعدام الوضوح المأساوى هذا ، فقد كان يفكر في الرحيل الى فلسطين قبل بدء الحرب بعدة أسابيع هربا من أوروبا المخلخلة ، ولكنه قابل حاخام رادزين ، أحد كبار الحسيديين في عالم ما قبل الحرب ، والذي كان يمر بالقرى لاختيار التلاميذ لليشيفا ، وقد عبر عن إعجابه به وأمره بعدم ترك بولونيا ، والذهاب في أول الفصل الدراسي القادم الى رادزين لإستكمال دراسته التلمودية . . . وفي أول الفصل الدراسي كانت بولندا قد اختفت من الوجود واليهود يخضعون للقانون الألماني . يقول بكل مرارة :

« هكذا تلاحظ الى أية درجة أصابهم العمى ! » .

وتمثل الكارثة النازية وكذلك وجود دولة اسرائيل مشكلة مستعصية للأرثوذكس إذ كيف يفسر غياب الله ؟ وكيف تفسر حالة العمى التي أصابت القادة الروحيين ؟ وكيف يمكن قبول انشاء الدولة اليهودية كنتيجة لعملية الإبادة ؟ ويختصر الحاخامات الأرثوذكس الاجابة عن هذه الأسئلة التي لا اجابة لها بالتمسك بنظرية لا يمكن الدفاع عنها وهى : انهم قد تعرضوا للإبادة كمعاقب من الله لمعصيتهم لأوامره ، ومحاولتهم فرض ارادتهم الذاتية على قدرهم . . . هكذا يصلون الى النتيجة أن الأطفال الذين القى بهم في أفران الغاز كانوا سيصبحون مذنبين ويستحقون العقاب ، وينتشر هذا الخطاب المضلل والمخيف أكثر وأكثر اليوم بل يسمع في معابد تقليدية ، مما يكشف عن تأثير أصولي متفعل ينشر هذه الخرافات .

ويعتقد الحاخام دانييل هيمان والذي درس طويلا في اليشيفا في إسرائيل ، أن المشروع الصهيوني هو الذى أدى مباشرة الى « الحل النهائي » يقول :

« لم تنقضى خمسون سنة على محاولة الشعب اليهودى اخذ مقاديره بيديه والتخلص من المنفى ، الا وقد اختفى نصف الشعب اليهودى ، الشيء الذى لم يحدث أبدا طوال التاريخ ! » .

وبعد خمسين عاما من انشاء الدولة يبدو هذا الرفض المطلق للدولة أمرا مضحكا ، فهناك أربعة ملايين ونصف يعيشون على ارض الأجداد ، والأرثوذكس أنفسهم يستفيدون من المؤسسات والبنى الموجودة بالدولة التى يدينونها ، ولكن الواقع يفرض نفسه وقد تعلم المتدينون الأصغر سنا أن يتعايشوا مع الدولة .

ومنذ ما يقرب من عشر سنوات ، روع الحاخام هيمان بدخول الحاخام اليزير مناحم شاخ الى معترك السياسة وهو ممن يعتبرون من المراجع الروحية العليا ، فسأله ان كان من الأجدى له أن يبقى داخل اليشيفا بدلا من مواجهة العالم الخارجى فتلقى منه الرد التالى المبني على البراجماتية السياسية :

« عندما كانت جماعتنا تضم مائة ألف شخص كان من الممكن لنا أن نبقى بالخارج ، ونفس الوضع عندما كنا مائتى ألف ... ولكننا نمثل اليوم كتلة تقترب من خمسمائة ألف شخص وهؤلاء الناس يطلبون حقوقهم ، انهم يدفعون الضرائب ولا يريدون أن يبقوا مهمشين بعد الآن ويحتاجون الى من يمثلهم فى الكنيسيت ، وبالتالي علينا أن نشترك فى الانتخابات أى أن نعمل بالسياسة » .

فى أوائل السبعينيات عندما كان دانييل هيمان يتابع دراساته التلمودية فى إسرائيل ، كان بعض الآباء يضطرون الى أن يعيشوا على الخبز والزيتون ؛ ليتمكنوا من دفع نفقات تعليم أبنائهم فى اليشيفا : « وكانت المدرسة العلمانية المواجهة مجانية ! وعندما ازداد عدد الجماعة الأرثوذكسية رفضت هذا التمييز ، فاحتاجت الى نوابها الذين عبروا

عن مطالبها . ولم يكن جمهور اليسيفوت يشترك في الماضي في التصويت فقد كانوا يعلمون أنهم لن يحصلوا على حقوقهم فما الفائدة ؟ أما اليوم فقد انتهت هذه العقلية ، ان أبنائى وأبناء من كانوا يدرسون معى لا يقبلون هذا الوضع » .

يعتبر دخول الأرثوذكس المتطرفون عام ١٩٧٧ الى حلبة السياسة النشطة بمثابة ثورة كبرى ، فابتداء من ذلك التاريخ بدأت عملية « صهينة » بطيئة للجماعات الدينية (٧) وقبل ذلك كان أى نواب لهم في الكنيسيت يكتفون باتخاذ موقف المعارضة على طول الخط ، ولكن ابتداء من حكومة مناحم بيجن بدأت الجماعات الدينية تدخل في التشكيلات الوزارية ، بعد أن أحسوا بأهمية دورهم الترجيحي بين الأحزاب الكبرى . ولأول مرة لم يعد تأييد حزب المفدال ، وهو الحزب الوطنى الدينى ، كافيا لضمان الأغلبية في الكنيسيت ، وأصبحت الأصوات الأربعة التى حصلت عليها المنظمات الأرثوذكسية المتطرفة ضرورية لضمان استمرار رئيس الوزراء بيجن في مركزه ، وقد أعطوه هذا التأييد برضاء تام حيث بدا لهم زعيم الليكود كرجل يحترم القيم الدينية : قال أحد المسئولين من حزب أجودات إسرائيل في الكنيسيت : « لأول مرة عندنا رئيس وزراء يهودى وليس من غير اليهود ! » .

وعلى الرغم من تأييد الأحزاب الدينية لأول حكومة اسرائيلية يمينية، فإنها رفضت المشاركة في الوزارة مما أظهر مدى عدم ثقتها في الدولة العلمانية ، وتراجعت هذه الأحزاب عن موقفها المعارض في عام ١٩٨٤ أى عندما تولى حزب شاس للأرثوذكس السيفارديين وزارة الداخلية ، وبعدها بأربع سنوات فعل حزب أجودات إسرائيل نفس الشيء ، واشترك في وزارة الوحدة الوطنية التى كونها اسحق شامير ؛ فأسندت اليه وزارة الدولة للعمل والشئون الاجتماعية ، وبعدها وزارتا دولة آخرين بعد الأزمة الوزارية في ١٩٩٠ .

وحاليا ، يشترك الجمهور الأرثوذكسى بشكل جماعى في الانتخاب، فى حين كان فى السابق لا يتحرك للمشاركة فى تسعير شئون الدولة ،

وهذا الموقف أعطى جماهير المتدينين أهمية انتخابية ولا يتخلف المرشحون عن تملق هذا الحاخام أو ذاك من قوى النفوذ . وفي ١٩٨٨ توجه آرييل شارون رجل الليكود القوي يطلب الدخول الى القاعة التي كان يجتمع فيها تسعة من الحاخامات أعضاء مجلس كبار رجال التوراة وهو الهيئة العليا لأجودات إسرائيل ، وبعد الوقوف لمدة عشرين دقيقة بالبواب سمح له بالدخول ولكن بشروط ، قيل له : « سيستقبلك الحاخامات ولكن يجب أن تشرح قضيتك لهم خلال ست دقائق لا أكثر وان وجهت لك أية أسئلة أجب عنها ، ثم تغادر القاعة ! » .

وخلال الحملة الانتخابية الأخيرة وجد شمعون بيريز أنه من المفيد أن يحاول استرضاء رجل مثل بابا باروخ ابن الحاخام بابا المصلي الذي ولد في مراكش وأصبح رجلا مباركا في نظر اليهود السفارديين ، وأحاط رئيس الوزراء زيارته بالاهتمام الاعلامي الكافي باشتراك كاميرات التلفزيون .

واشترك الأرثوذكس أخيرا في سباق انتخابي آخر كانوا يتجنبونه من قبل كنوع من التعالي على مؤسسات الدولة ، وهو انتخاب الحاخامين الكبارين لاسرائيل ، فقد كان الاختيار محصوراً في صفوف الحزب الوطني الديني وكان الاختيار يتم وراء الكواليس .

وفي ١٩٩٣ ، قرر الأرثوذكس أن يوحدوا رغبات المتدينين الصهيونيين ، وقدموا مرشحين هما إسرائيل لاو والياهو باكشي — دورون ونجس الاثنان في الانتخابات . ويعدها بقليل واجهت الحاخامين الجديدين مشكلة ، فقد كان الحاخامات السابقون وهم من الصهيونيين المتدينين يقومون بترديد صلاة شكر للرب على معجزاته ومن أهمها جمع اليهود في دولتهم اسرائيل وذلك أثناء الاحتفال بعيد الاستقلال . وقد تردد الحاخامان الجديدان قليلا أمام هذا التقليد ، الا أنهما عادا واتبعا وبذلك يكونان قد وافقا على اعتبار قيام الدولة على أنه تم بفضل تدخل الهي .

وأدى الاشتغال بالسياسة وسيؤدي الى ظهور تشققات في عقيدة الحريديين ، فالاشتراك في ادارة مجتمع انساني ينزل الأرثوذكس الأصوليين من البرج العاجي الذين يريدون أن يحتموا فيه . وعلى الرغم

من تحريم التصوير الذى كانت الجماعات المحافظة تتبعه بدقة ، فاننا نجد الأحزاب الدينية اليوم تلجأ الى وسائل الاعلام بكل بساطة ويوزعون أشرطة الفيديو ، بل ويستخدمون الفيديو كليب فى الانتخابات الأخيرة ، انهم يستخدمون المجتمع ليعيدوا تشكيله .

وبدأت فى الظهور بعض قنوات التداخل بين الأرثوذكس الصهيونيين وغير الصهيونيين : فالقوميون يقتربون أكثر فأكثر من الأرثوذكس المتطرفين فى التصرفات الخارجية مثل اتباع القواعد بدقة والمودة الى النصوص ورفض الحداثة واحتقار الدراسات غير الدينية ، أما الأرثوذكس فيقتربون من بعض المواقف المرتبطة بالقومية .

ويردد رجل معاد للصهيونية حتى النخاع مثل الصاخام موسى كاوفمان خطاب الصهيونيين عن انتظار المسيح المنتظر ، وهذا لا يعنى أنه يعتقد أن دولة اسرائيل هى التى ستعلن نهاية العالم ، وإنما عودة قطاع عريض من الشباب اليهودى الى الدين هى التى ستؤدى الى ذلك ، ويتجه الى مكتبته ويخرج كتابا يقلب صفحاته ويقرأ منه :

« نحن بالتأكيد على مشارف عهد مجيء المسيح المنتظر ، والنصوص تؤكد ذلك ففى الأصحاح الثلاثين من سفر التثنية نجد «فان رددت فى قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب الهك اليهم ، ورجعت الى السرب الهك وسمعت لصوته ... » .

ها هى العبارة المحورية فى التوراة ، حيث يتحدث عن نهاية الزمان ، وأنه ستحدث توبة كاملة من كل القلب وكل النفس . واليوم دفع الأبناء آباءهم وهذا ما أعلنه النبی ملاخى (*) فى آخر آية فى التوراة حيث يقول : « هانذا أرسل اليكم ايليا (**) النبی قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم

(*) ملاخى : اسم عبرى معناه «رسولى» ، وهو آخر الأنبياء فى العهد القديم ، وعاش هذا النبی فى عام ٤٢٢ ق.م . وينتقد ملاخى فى سفره المكون من أربعة أصحاحات تذمر الشعب على الرب ، وتزوجهم من النساء غير اليهوديات - (المراجع) .

(**) ايليا اسم عبرى معناه «الهى يهوه» . عاش ايليا فى جلغار فى زمن اخاب وايزابيل التى ساقط زوجها وشعب بنى اسرائيل الى عبادة البعل ، وقد تنبأ ايليا بأن الله سيمنع المطر عن بنى اسرائيل ، واعتزل فى خفة نهر كريت ، وقاد ايليا فيما بعد الثورة على اتباع الاله بعل - (المراجع) .

والمخوف . فإرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا
أتى وأضرب الأرض بلعن » .

ويقول راشي المفسر من القرن الحادى عشر أن الآباء سيرجعون
عندئذ الى الرب بتدخل أبنائهم ... وهذا ما يحدث الآن ! » .

والىكم علامة أخرى على التقارب بين القوميين والأرثوذكس :
توجد حالياً فى يهودا والسامرة ثلاث مستوطنات أكبرها وأقدمها أنشأها
فى ١٩٨٣ حسيديو جور وهم القوة المسيطرة داخل أجودات يسرائيل
واسمها إيمانويل .

وبقيامهم باحتلال الضفة الغربية حتى تبقى الى الأبد تحت الحكم
الإسرائيلى ، يكون هؤلاء الحسيديون قد قبلوا إقامة وطن وقوات
يهودية قبل مجىء المسيح المنتظر ، وهذا يعنى ضمنا انضمامهم الى معسكر
الصهيونيين المتدينين . وهم بذلك يدعمون القوميين المتطرفين بقوات
منضبطة مكونة من أناس يحترمون الشريعة ويطيعون أساتذتهم ،
ولا يمكن التنبؤ بموقفهم فى حالة فرض الانسحاب كنتيجة لمعاهدة سلام ،
وفى الواقع لا يمكن معرفة رد فعل الأربعة آلاف مستوطن فى إيمانويل ،
وقد أعلن يساخار فرانكفالت المتحدث باسم المستوطنة ببساطة :

« لو طلب منا حاخاماتنا الرحيل بهدوء فلن تجد الحكومة مدينة
فى يهودا والسامرة أسهل فى الإخلاء من مدينتنا ، أما اذا طلبوا منا البقاء
فسنناضل أكثر من أى مدينة ، اننا سنموت من أجل إيمانويل » (٨) .

وفى عدا بعض الجماعات المعادية للصهيونية باصرار ، فإن
الأرثوذكس يقبلون اليوم إسرائيل كحقيقة واقعة ؛ ولكنهم يرفضون
بصفة عامة الاعتراف بقيام الأمة اليهودية على أساس روحى . ويقل
الحاخام هنرى — كان مدير يشيفا فى حى ميئا شعاريم الأرثوذكسى القديم
بالقدس — من أهمية هذا الاعتراف الضمنى الى أقصى حد : « أن
مشكلة الدولة مشكلة محايدة ، انها مجرد ادارة للشأن العام ، أما اذا
نظرنا للأمر فى بعده الغيبي المسيانى فلا والى لا » .

يعتبر جرشوم — وعمره ستة وعشرون عاماً قضى منها ثلاثة عشر
عاماً فى اليشيفا ولا زال يتابع دراسته فيها — أن إسرائيل حقيقة

تستعصى على المعرفة ويقول : « الدولة قائمة وهذا حسن جدا فهو يقرب كثيراً من الناس ، ولكن هذا لا يعنى أن نرى في ذلك علامة على مجيء المسيح المنتظر ، ربما تكون مرحلة ولكن ليست هناك مقارنة مع ما سيحدث عند مجيء المسيح المنتظر . ان الوجود اليوم ليس دولة يهودية ولكن دولة لليهود » .

وسواء أكان الأرثوذكس مندمجين كثيراً أو قليلا في دولة اسرائيل الحديثة ، الا أنهم مع ذلك مهمشون ، فطلبة اليشيفا معفون من الخدمة العسكرية بمقتضى اتفاق قديم وقعه بن جوريون ، فالجتمع العلماني يسلم أبناءه للجيش وينظر بغيظ الى الشبان الملتحين في بينى براك أو القدس الذين يسبرون وأيديهم في جيوبهم بلا مبالاة ، في حين تتعرض حياة الآخرين الى الخطر على الحدود . ويشرح لى جرشوم بكل جدية أن شباب اليشيفوت يحاربون هم أيضا من أجل سلامة اسرائيل : « تعلمنا التوراة أن البعض كانوا يذهبون للحرب ويساندتهم الآخرون بالدراسة . . . اذ يجب أن يتفرغ جزء من الشعب باستمرار لهذه المهمة لكي يعطوا الجنود القوة الروحية ، ولو أردنا الحصول على تأييد الرب فالحرب وحدها لا تكفى ، لقد حدثت معجزات في حرب الأيام الستة وحرب الخليج لأن الله تدخل ! وعندما تشترك اسرائيل في حرب أو تحدث أزمة ، يطلب الحاخامات من الطلبة أن يدرسوا بحماس أكثر من المعتاد ، وفي هذه اللحظات العصيبة يهتم طلبة اليشيفوت بأن يدرسوا باجتهاد أكبر وهذه هي طريقتهم في الاشتراك في المعركة ، وليس من السهل دائما أن تجلس لمدة ثمانى ساعات غارقا في دراسة النصوص! » .

وعندما منح بن جوريون الاعفاء الدائم لطلبة اليشيفوت من الخدمة العسكرية لم يكن يتصور النمو الهائل للدراسات التلمودية ، ففي ١٩٥٠ كان هذا الاعفاء يشمل أربعمئة صبي ولا شك في أن أسد اسرائيل العجوز كان يعتقد أن الجيش يمكنه الاستغناء عن هذا العدد من الدارسين الهامشين ، وأنه اشترى السلام الاجتماعي بهذا الثمن البسيط ويبلغ عدد الدارسين في اليشيفوت اليوم مائة وستين ألفا ويتمتع عشرون أو ثلاثون ألفا منهم بهذا الاعفاء والعدد يزداد كل عام ، كما

يزداد كذلك عدد الأطفال الذين يتعلمون في المدارس الدينية وتبلغ نسبتهم اليوم ٣٢ر٤ بالمائة من التلاميذ اليهود في إسرائيل (٩) .

إن نمو العالم الأرثوذكسي يغير ببطء شكل مدينة القدس ، فقد تبين من دراسة أجرتها بلدية المدينة بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسرائيلية ، أن عدد الأرثوذكس يزداد بنسبة خمسة بالمائة كل أربع سنوات ، في حين ينقص عدد غير المتدينين بنفس النسبة ، حيث أن هؤلاء الآخرين ينجبون عددا أقل من الأطفال ويميلون إلى الرحيل عن مدينة تتخذ طابعا حريديا أكثر فأكثر .

لقد كان الأرثوذكس يكونون ٢٨ بالمائة من السكان في ١٩٩٠ وستصبح نسبتهم ٣٧ر٨ بالمائة منهم في ٢٠١٠ ، وذلك بفضل الانجاب طبعاً ولكن بسبب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل أيضاً .

وقد بنيت ضواح جديدة من أجل هؤلاء السكان المتدينين ؛ لأن أحد المطالب الهامة للأرثوذكس هو تخصيص أحياء بكاملها لهم ويجمعون على أن السلطات لا تعمل ما فيه الكفاية لتبنى لهم جيتواتهم الجديدة ، ففي واقع الأمر يتعلق الموضوع بجيتوات :

فالأرثوذكس يريدون أن يعيشوا في انعزال مادياً وأدبياً . يؤكد الحاخام هنري كان :

« الناس تعيش في جيتو هنا وذلك بناء على الرغبة المتبادلة ، فالشخص المتدين لن يذهب ليعيش في حي لغير المتدينين والعكس صحيح » .

وتؤكد كاترين جارسون المحررة بمجلة أكتواليته جوف الفرنسية والتي تعبر عن الاتجاه المتدين داخل المجلة على هذا الشعور بالحصار ، وهي تعتبر أن الجماعة الأرثوذكسية هي الخندق الذي يمنع تدفق العرب، وهي ترسم مقارنة مذهبة بين الإحياء الإسرائيلية اليوم والجيتوات الأوروبية بالأمس كما لو كان المثل الأعلى لليهود هو بولندا المعادية

للسامية ، تقول : « ان الحريديين لديهم الاحساس بانهم السور الأخير أمام السكان العرب ، فهم وحدهم الذين يكونون عائلات كبيرة في العاصمة ولولاهم لأصبح العرب هم الأغلبية في اقرب وقت ! ان معدل الأطفال للعائلة في القدس من ستة الى سبعة ، وفي بينى براك من ثمانية الى تسعة . . . وهو معدل الانجاب في بولندا قبل الحرب ، انهم يحققون المعدل التاريخي » .

ومن ناحيته يعتبر الحاخام «كان» ان المجهودات التي تبذلها السلطات من أجل الجماعات المتدينة غير كافية : « ان مجموعة الارثوذكس غاضبة فهناك تراجع من وجهة النظر الدينية في جميع المجالات ، واحد الأمثلة التي تصرخ الى السماء هو مشكلة الاسكان ، فالعجز في عدد الشقق للجانب المتدين يقدر بما يتراوح بين أربعين وخمسين ألف شقة وليس هناك اى تقدم بل ان العجز في ازدياد » .

وأوجه اليه سؤالاً عن الفرق بين شقة للمتدينين وأخرى لأصحاب الفكر الحر . . . « ان الرؤية مختلفة فعندما تبنى شققاً للمتدينين ، فإن هذا معناه أولاً أنها مخصصة لذوى الدخل المحدود ، ويجب بالتالى بناء عمارات منخفضة الارتفاع وهناك كذلك مشكلة المدارس فعندما تبنى حياً للأغنياء يضم فيلات جميلة تكفى مدرسة واحدة . . . أما فى حالة المتدينين فيحتاج الأمر الى شقق صغيرة من ثلاث غرف بمساحة ثمانين متراً مربعاً وسيكون متوسط الأطفال من خمسة الى ثمانية ولذلك يجب تدبير مدارس كسامية » .

وهذه الذرائع غير مقنعة ، فهناك شرائح أخرى من السكان الاسرائيليين تحتاج الى مساكن منخفضة التكلفة ، وما لا يقال صراحة هو أن الارثوذكس يريدون أحياء منعزلة عن العلمانيين . ومن جانب غير المتدينين تتهم البلدية بأنها تتحالف مع الارثوذكس وتخضع لضغوطهم المستمرة ، وتكشف صحيفة هآرتس أنه منذ ١٩٩٣ خصص اثنان وستون موقعا لبناء معابد للارثوذكس ، وخصص مائة وأحد عشر موقعا بمساحة ٩٠٦٥٥ متراً مربعاً لهيئات دينية ، فى حين خصص موقعا فقط بمساحة ١٧٠٠ متر مربع لهيئات علمانية . يقسول

الأخصائى الاجتماعى كلود سييتبون : « لقد استمر تيدى كولىك عمدة القدس لمدة ثمانية وعشرين عاماً ، وطوال هذه المدة لم يرشح منافس لتيدى كولىك فى هذه المدينة التى يسود فيها المتدينون والأرثوذكس والأرثوذكس المتطرفون والتى بها أغلبية من الليكود ؛ وذلك لأنه استطاع بشجاعته وأمانته أن يحافظ على التوازن . وفى نوفمبر ١٩٩٣ تم انتخاب ايهود اولمرت العمدة الجديد ، بفضل أصوات الأرثوذكس التى تقتضى منه الشكر .

كتب أورنان ياكوتيللى ، زعيم الجناح اليسارى المتطرف ، فى مجلس المدينة : « أن اولمرت يتنازل عن مناطق بأكملها من المدينة للحريدين بشكل لم نره من قبل » (١٠) .

ولا شك فى أن الجدل سيستمر طويلاً ، وفى نفس الوقت سيستمر الأرثوذكس فى الانغلاق على أنفسهم فى أحيائهم الخاصة . وفى أونسدورف وهو حى أرثوذكسى جديد فى القدس ، تتساعل هافى السيدة عميقة الدين والام لثمانية أبناء عن السبب فى ابتعادها عن بقية الشعب الاسرائيلى وهى تأسف ؛ لأن عالم التوراة لا يستطيع أن يشرك بقية اليهود فى البلاد فيما لديه من قيم عظيمة ، ألم يكن الأحسن العيش فى مشاركة مع السكان غير المتدينين ؟ ولكن هافى مثل كثيرين غيرها ترى أن الوقت قد فات وأنه ليس من الممكن التراجع : « انى لا أستطيع أن أفعل ذلك لأطفالى حيث أنهم حريديون تماماً ، أنهم لا يشبهون أبناء العلمانيين ، بل ولا حتى أطفال الحركة القومية الدينية ، أنهم يرسلون شعورهم الطويلة ويلبسون الجلباب الأسود يوم السبت ، وبالتأكيد لا يستطيعون التأقلم فى أى مكان آخر ، لقد خلقنا لأنفسنا فخاً حقيقياً » .

الفصل الخامس

على طريق ابراهيم

(أو الصهيونيون الدينيون)

« لقد زادت آمال العرب بشكل غير معقول في السنوات الأخيرة وهم اليوم لم يعودوا يقبلون الرحيل وهذا يعني ببساطة أنهم يجب أن يموتوا ، ولا أرى امكانية تحقيق هذا المشروع حاليا ولكن الأوضاع الحالية لن تستمر فهي مسألة وقت ، فستنشعب حرب دموية قاسية وأرجو ان نكون لازلنا قادرين على كسبها ، وبعد هذا الصراع لن يبقى عرب كثيرون في المنطقة ... » .

ينطق دافيد أكسيلرود هذه الكلمات ببطء وهدوء وهو يضغط على كل كلمة بلفته العبرية العميقة والثقيلة مثل لفته الأصلية وهي الروسية، وتعطيه لحينه الكبيرة التي تأكل وجهه شكل راسبوتين ، ولكنه راسبوتين له عينان باهتان وعلى رأسه طاقة سوداء كبيرة . وهو ابن حفيد ثروتسكى ولكنه تخلص عن الأوهام القديمة عن الدولية ورفع بدلا منها علم الأرض اليهودية الخالصة ، وهو يحلم بأن يخوض معركته الأخيرة فوق تلال يهوذا حيث يفرق في الدم كل القانورات الأجنبية . ولد أكسيلرود في موسكو ثم هاجر من الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة في ١٩٧٥ حيث اكتشف اليهودية ، واذ ارتفع حماسه بعد دراسة التلمود توجه الى اسرائيل حيث تنقل من يشيفا الى يشيفا الى ان اعتقد ان

ايمانه الجديد يفرض عليه أن بتوجه لسكنى اراضى يهوذا التاريخية . ويعيش هذا الحاخام البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاما مع عائلته التى تضم اربعة أطفال فى مستوطنة تابواه وهى تابعة لليمين الدينى الأكثر تشددا وتضم حوالى ستين عائلة قادمة من اسرائيل وروسيا والولايات المتحدة وبيرو وفرنسا .

وبعد اغتيال اسحق رابين كان دافيد من بين المتطرفين الذين القى بهم فى السجن . يقول : « لقد قبض على من أجل مزحة مثلما كان يحدث فى الأيام الخوالى للاتحاد السوفيتى ... » .

وهذه المزحة كانت ، طبقا لقرار الاتهام « تأييد أعمال العنف والتحريض على الثورة » . ولا يكثر دافيد كثيرا عندما تضعه فى السجن حكومة لا يحترمها أما هو فيستمد عقيدته من التوراة مباشرة . وعندما سألته ان كان قانون الشريعة فيه ما يبرر اغتيال رئيس الوزراء ، رفع عينيه الى السماء يأسا من سذاجة السؤال : « طبعاً ... ان التوراة لم تخلق لحماية الأشرار ، لقد كانت حكومة اسرائيل هذه حكومة من الجبناء ، لقد كانوا يتصرفون كأولئك اليهود الذين ساعدوا النازى فى معسكرات الإبادة ، أو مثل اليهود الذين كانوا يتملقون القوزاق مرتكبى المذابح على أيام القيصر » .

فماذا سيحدث اذا ما أتت السياسة بما لا يريده دافيد ؟ ماذا لو فرضت اتفاقات السلام مع الفلسطينيين اخلاء مستوطنته ؟ يجيب : « ان سكان تابواه لن يحزموا امتعتهم أبدا ، ستدمر القرية مع سكانها قبل ذلك ... ومن الذى سيقوم بهذه المذبحة ، الفلسطينيون أم الاسرائيليون ؟ لست نبيا ولا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال » .

ماذا سيفعل دافيد اذا ما جاء الجيش الاسرائيلى ليخلى موقعه « ماذا سيكون رد فعلى اذا ما جاء أحدهم يريد اغتصاب زوجتى وقتل أبنائى ؟ » .

ويرفض دافيد كائى أصولى عنيد أية تنازلات ، ومن وجهة نظره فاليسار واليمين متشابهان فالأول سيدمر اسرائيل خلال ثلاث سنوات

والآخر سيدمرها خلال عشر سنوات ، ويدعم رأيه بالتوراة : « تقول التوراة ان الرجل الفاسق والقاتل متساويان في الذنب ... ورايين كان قاتلا أما نتنيها هو فرجل فاسق ... » (١) .

وطبقا لرؤيته المتطرفة ، فان كل شيء في اسرائيل متعفن ويجب الاسراع في تنقيته بريح التوراة النقي ، وهو يكرر ببطء كل الأفكار المتطرفة لليمين الديني : ان اسرائيل ليست دولة يهودية ولن تكون كذلك الا عندما تسودها قوانين الشريعة ، إن هجرة اليهود الروس المزيفين ، وتزايد معدلات الانجاب لدى عرب اسرائيل ، واستقدام العمالة الأجنبية تعرض الأغلبية اليهودية في الدولة إلى الخطر ...

وفي يوم ما كان دافيد عضوا في جماعة مائير كاهانا العنصري الأمريكي ، الذي كان ينادي صراحة باستئصال كل العرب من أرض اسرائيل ، ولكن الحاخام كاهانا مات وحظر حزيه ولا يستطيع ابنه أن يعبىء القوى المتطرفة حول اسمه ، يقول دافيد : « أنا اليوم انسان مخدوع ووحيد » .

وليشرح وجهة نظره ، يقص على دافيد قصة روسية : في أحد الايام وجد رجل عجوز قنبلة يدوية فأخذها وتوجه الى مقر الحزب الشيوعي ونزع الفتيل والقاها داخل المكاتب فانفجرت وشب حريق هائل ... لماذا فعل ذلك ؟ لانه عجوز ولم يكن لديه شيء يخسره ... « وهناك أسباب عديدة تجعل الانسان ليس لديه شيء يخسره » .

ولعل دافيد أكسيلرود وريث الكوزموبوليتية الرفض لها والمنبت الجذور والباحث عن هوية ، لا يمثل الحركة الصهيونية الدينية ولكنه على الأقل يكشف حقيقتها ، فهو يطور الى النهاية الأفكار التي تتردد في بعض مستوطنات يهودا والسامرة . ولكن هناك آخرين يصطنعون الاعتدال ويتحدثون بلغة أقل صراحة .

ولد توماس جودمان في بنسلفانيا وترعرع في فلوريدا وجاء الى اسرائيل عشية حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكان عمره ثمانية عشر عاما ، وهو

اليوم يدرس الفلك في معهد تنمية الابداع والتفوق وهو معهد مخصص للأطفال الموهوبين ، ومع أنه يعمل في تل أبيب الا أنه اختار أن يعيش في مستوطنة كدوميم في قلب يهودا - السامرة وهي قرية جميلة تذكر الانسان بالريفيرا . وتوماس رجل قصير وممتلىء ومتحدث منطلق ويضحك ضحكة رنانة عندما تصبح الأسئلة محددة أكثر مما ينبغي ، وهو لا يصرح بأسباب اختياره السكن في مستوطنة « بالأراضي المحتلة » في أول الأمر متعللاً بجمال الريف : « انى لست من سكان المدن وحتى في فلوريدا كنت أسكن دائماً بعيداً عن المدن ، وعند وصولي الى اسرائيل اشتركت في تأسيس كيبوتز في النقب ، وفي ١٩٧٩ بعد أدائي للخدمة العسكرية ، كانوا يتحدثون كثيراً عن المستوطنات في السامرة وقررت ان أسكن احداها ، وكان هذا يعنى بالنسبة لى تحقيق صهيونيتى ولكنه يعنى من ناحية أخرى رغبتى في أن أعيش مع العرب بشكل يعبر عن الفهم ... » .

ولكن الحديث الرسمى المنمق لا يصمد طويلا ، فسرعان ما ينطلق توماس جودمان الأستاذ المتحفظ في التعبير عن رؤية مأساوية تنفى مقدما أى احتمال للتفاهم :

« لقد وقعنا في فخ ! فبالحديث عن الحكم الذاتى تصور الفلسطينيون انهم أصبحوا يمتلكون دولة وهو أمر غير صحيح ! ولو استمر هذا الوضع فسينقلب ضدنا ... أين ستكون الدولة الفلسطينية ؟ وما اتساعها ؟ يعيش الفلسطينيون موزعين بين مصر ولبنان وسوريا والأردن وان حصلوا على دولة فسيعودون جميعاً وعددهم كبير ، لدرجة انهم سيحتاجون الى اقليم ضخم ! والأردن لا تريد اعطاء أرض ، وسوريا لن تتنازل عن مليمتر مربع ومصر كذلك ... »

وهكذا سنعود الى مشكلة سنة ١٩٤٧ ، أى قبل انشاء دولة اسرائيل، عندما هرب الفلسطينيون الى البلاد المجاورة التى كانت تتسع للجميع ولكن أحدا لم يقبل وجودهم . أما نحن ، فلو أردنا العودة الى حدود ١٩٦٧ فسنخفق ، لقد زاد عددها كثيراً ولن تكون هناك فرص عمل

كافية ولا مياه كافية وسيضطر الكثيرون من الاسرائيليين الى ترك البلاد ! » .

لقد كانت العلاقات بين دولة اسرائيل التي تخيلها ووضع الأسس النظرية لها وأسسها علمانيون ، وبين الجماعات الدينية دائما غير محددة وتصارعية ، علاقات غير محددة لأن اليهودي الديني هو بشكل ما الحامل للوعد الالهي الذي يعطى الدافع والشرعية للعودة الى الأرض المقدسة ، لأن شيئا لم يكن ممكنا أن يحدث لو لم يكن الرب قد قاد ابراهيم الى كنعان وقال له : « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك اعطيها ولنسلك الى الأبد » (٢) ، وهى علاقات تصارعية كذلك لأن المجتمع الاشتراكي الذي حلم به الصهيونيون الأوائل قد حل محل الآمال بعودة المسيح المنتظر ودفع الدينيين الى داخل جيتو فولكلورى . كتب تيودور هرتسل بوضوح فى كتابه الدولة اليهودية : « هل سنبنى دولة ثيوقراطية ؟ كلا ! اذا كان الايمان هو الذى يحفظ وحدتنا ، فان العلم يحررنا ولذلك لن نسمح للاتجاهات الثيوقراطية لرؤسائنا الروحيين أن تظهر وسنستطيع أن نحاصرها داخل معابدهم » .

فى ١٩٠٤ تصور الشاعر آنذريه سبير ، أحد ملهى الصهيونية الفرنسية تحقيق القومية اليهودية فى فلسطين ، بصفته صراعاً بين الأرثوذكس والعلمانيين من أجل بناء الاشتراكية ، فعلى أثر معركة نشبت فى لندن بين يهود متدينين ويهود غير مؤمنين كتب يقول : « هذا هو ما ينتظرنا نحن المفكرين الأحرار فى القدس ، فسنضطر الى أخذ اجازة فى يوم الغفران فاذا ضحكت عيوننا فى ذلك اليوم فسنضرب ، فهل سنذهب الى القدس ؟ الاضطهاد من قبل المسيحيين أو من قبل اليهود ، الا يعتبر ذلك نفس الشيء ؟ ولكن ما أهمية الصراع بين المواطنين فى دولة جديدة ، اذا كنا ما زلنا نشعر بأننا رجال بحق ، فعندما يحصل الاشتراكيون فى الغرب على كل الأوسمة وكل المراكز التى يستحوذ عليها البورجوازيون دون استحقاق ، فربما سيوجه بعض اليهود الشكر للصهيونيين لأنهم فتحوا لهم بلدا يتجرعون ان يعطوا فيه أنهم مفكرون

أحرار ، أو أنهم اشتراكيون لأن ذلك سيعنى تعرضهم لبعض
الخطر ... » (٣) .

إذا كانت الأغلبية الساحقة من الجماعات الأرثوذكسية قد عارضت
الصهيونية بشكل مطلق منذ نشأتها ، فإنه كان هناك على الرغم من
ذلك بعض الحاخامات الذين أيدوا إقامة وطن يهودى على أسس دينية،
فقد شجع حاخام الجور اتباعه على الهجرة واشترى هو نفسه أرضا
في فلسطين لبناء يشيفا ، وحاخام سوكاسيف اشترى هو أيضا أرضا
في فلسطين وهاجر زوج ابنته شخصيا ليخضر الصحراء . وفى غيلنا
بروسيا تكون في ١٩٠٢ حزب مزراحى الذى رفع الشعار : « أرض
اسرائيل لشعب اسرائيل حسب تورا اسرائيل » وقد أعلن زعماءه أن
واجب كل يهودى هو الهجرة الى صهيون ، وحاولوا أن يعطوا نفحة
دينية للصهيونية العقلانية للأباء المؤسسين ، وقد ضاع جهدهم إذ لم
يستطيعوا أن يضعوا بصمتهم على القواعد الأساسية للوطن اليهودى
الجديد ، ففى تحليله للصهيونية الدينية لاحظ الكاتب يهوشع يهودا بعد
انشاء دولة اسرائيل ببضع سنوات : « ان تكتل مزراحى الدينى (*)
لا يلعب الا دورا ضعيفا فى الصهيونية الأيديولوجية ، ويبدو أنه هو
نفسه قد تخطى عن محاولة التأثير الأيديولوجى ؛ لأنه يسلم بحتمية
العلمانية الازدواجية المفروضة على الصهيونية من تكتلات اليسار النابعة
من الأيديولوجية الديمقراطية أو الماركسية . وكل ما يطلبه المزراحى
هو استمرار بقاء مدارس ومؤسساته فى اسرائيل ، أما المبادئ الدينية
فلم يعد لها أى دور فاعل فى تطور المثل الأعلى الصهيونى » (٤) .

لقد قام ابراهيم كوك الحاخام الأكبر لفلسطين أيام الانتداب
البريطانى وهو حجة فى دراسة التلمود ، بدور المنظر والداعية للفلسفة
الصهيونية الدينية فقد حاول توحيد الجسد والروح ، والبلد والايمان

(*) تكتل مزراحى : حركة صهيونية دينية تمثل هدفها فى تمكين اليهود من
السيطرة على فلسطين ، وأن يقيموا بها سلطة دينية . وتأسس هذا التكتل فى عام ١٩٢٠
اثر انشقاق بعض المتدينين عن المنظمة الصهيونية العالمية .

بالتبشير بالوحدة بين المقدس والدنيوى ، يقول : « لقد نسينا أن لنا جسدا مقدسا وليس مجرد روح مقدسة ، فتجدد اسرائيل يجب أن يتم أيضا على المستوى الجسدى » ، ومن وجهة نظره يمكن أن يظهر الحكماء فى أشكال متنوعة ومتناقضة بشرط أن يجمعوا فى ذواتهم المقدس والدنيوى ، أليست رسالة اليهودية هى تقديس الدنيوى ؟ ان تحقيق الوعد الألفى بالعودة لاسرائيل هو بحد ذاته الذى يجعل العلمانيين يجمعون فى مشاركة عظمى الالهى والانسانى ، الجسد والروح . ان الحاخام كوك يطور الفكرة التى بمقتضاها لا يمكن اعتبار رواد فلسطين اشرارا لأن فضلهم فى بناء البلاد يسمو بهم ، وهكذا يلبس الصهيونيون الملحدون والاشتراكيون عباءة البركة الدينية المقدسة فقد شاركوا ، دون أن يعوا ذلك ، فى المخطط الالهى وأعلنوا اقتراب المجيء المرتقب للمسيح المنتظر . يقول الحاخام انه اذا كانت فترة المنفى قد باعدت بين الله واليهود ، فان العودة ستقربهم مرة أخرى ؛ لأن التوراة لن تتحقق كاملة الا على ارض اسرائيل وارض اسرائيل هى جزء لا يتجزأ من التوراة .

وقد توفى الحاخام كوك فى ١٩٣٥ ، وبعد قيام الدولة كانت أفكاره هى الموجه لحزب المفدال ، أى الحزب الوطنى الدينى ولم تكن نظريته متطرفة بالمرة ، حيث انها نادى بالتعاون مع الحكومة العمالية والحفاظ على التوازن بين المتدينين والعلمانيين والاكتفاء بحد أدنى من التعليم الدينى فى المدارس الرسمية والحصول على اعانات للمدارس التلمودية.

وتغير كل شئ بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ ، فيحكى أنه فى شهر مايو من ذلك العام القى الحاخام زفى يهودا كوك بن ابراهام كوك والمكمل لمسيرته عظة مؤثرة على تلاميذه ، تباكى فيها على ارض اسرائيل التى لا زال جزء منها فى أيد أجنبية ودعا فيها السماء بحق كل الأماكن المقدسة من حائط المبكى الى الخليل ونابلس وأريحا . . . هل نسيناها ؟ قال متنبئا : ان جيش اسرائيل سيحرر ارض اسرائيل .

وبعدها بأسابيع حطم الجيش الاسرائيلى قوات العرب مجتمعة واحتل القلب الجغرافى للوطن التاريخى .

ولعله من غير الممكن اعتبار كلمات الحاخام كوك نبوءات من وحى الله ولكن ما الفرق ؟ انها ، من وجهة نظر الاتجاهات الصهيونية الدينية الجديدة ، تضع الاستيلاء على الضفة الغربية في الاطار الواسع لدعوة فاعلة لعودة المسيح المنتظر ، وتجعل من تملك كامل الأرض التوراتية الهدف والمبرر للوجود اليهودي على تلك الأرض . وبمرور الأعوام ، تحول انتصار حرب الأيام الستة في الأسطورة التي نسجت حوله الى جزء من مجيء المسيح المنتظر ، الذي أعاد لليهود مساحات لم تحققها لهم قوة السلاح ولا قرارات الأمم المتحدة في ١٩٤٨ .

ومع ذلك ، فأغلبية اليهود — متدينين أم غير متدينين — كانوا يشعرون كما لو أن الضغط السياسي والتعبئة العسكرية واقترب الحرب كان اعلانا بحرب إبادة جديدة . وجاء الانتصار بعد ذلك كما لو كان ردا على « الحل النهائي » الذي دبره النازيون : فقد تحرر الناجون من معسكرات الموت قبلها بما يزيد قليلا عن عشرين عاما ، وكان هذا الجيل ما زال موجوداً وناشطاً في الحياة اليومية . كتب ايلي فيسل في شحاذ القدس الذي ألفه في ظل صدمة الأحداث : « لقد انتصرت اسرائيل لأن جيشها وشعبها كانا يضمن ستة ملايين اسم اضافية » (٥) .

وليسمح لى القارئ هنا باضافة ذكرين شخصيتين تبدوان اليوم كقصتين من مرحلة تاريخية بعيدة ، الأولى من مترو باريس في الأيام الأولى من يونيو ١٩٦٧ ، وكانت الصفحات الأولى من كل الصحف مليئة بأخبار التوتر بين اسرائيل وجيرانها والحرب على الأبواب . . . وفجأة سقط شاب يهودي ربما كان ابنا لأحد المرحلين الى المعسكرات ، وكان بالتأكيد وريثا لآلام الحرب ، وأخذ يصرخ بكلمات غير مترابطة تظهر بينها كلمات تبعث على الرهبة . . . المانيا . . المعسكرات . . الأسلاك الشائكة . . . وبدا أن الزمن ينكمش والقطارات تجرى فهل ستكون العربية الاخيرة مرة أخرى مخصصة لأصحاب النجمة الصفراء ؟ والتف المارة حوله محاولين دون جدوى تهدئته . وبعد ثلاثين عاما ، فإن تفسير هذه الحادثة انما يعود الى مجال الطب النفسى ولكن من الصعب فهم أو تذكر جو الفوضى الذي كان يسود آنئذ في الأوساط اليهودية .

واليوم دخلت الكارثة النازية في التاريخ وأصبحت موضوعا للكتب والأفلام والتحليلات ، بل وحتى للطعن في صحتها ويبتعد الشهود بهدوء وتقرأ الأحداث في ضوء جديد .

أما الذكرى الثانية فمن عالم الصحافة ، فبعد زيارة لى لإسرائيل بعد الحرب ببضعة أسابيع ، كتبت مقالا عنها لأحدى الصحف لا أذكر منه الآن إلا العنوان ولكنه يبرز بالتأكيد روح المقال : يبدو أن الاسرائيليين يستعدون للبقاء طويلا في الأرض المحتلة . ولا يمكن تصور العداوات والانتقادات العنيفة التي سببتها لى هذه السطور من قبل اناس يعلنون صهيونيتهم صراحة ، فقد كان واضحا تماما أن هذه الحرب التي فرضت على إسرائيل لم تكن حربا هدفها الغزو وأن الضفة الغربية المحتلة ستعاد سريعا للملك حسين .

قبل ١٩٦٧ ابتعد الصهيونيون الدينيون بشكل قاطع عن الأصولية، مشككين في صحة التعاليم التقليدية لليشيفوت ، ومبرزين سلبية انتظار المسيح ، ومؤكدين ضرورة أن يأخذ الانسان مصيره بين يديه ، وبدأت الصهيونية الدينية حركة ثورية تعمل على إعادة تشكيل قوانين الشريعة لتتناسب مع حقائق العصر . وطبقا لهذا الشكل الجديد لليهودية ، تبين أن كل النظريات التوراتية والتلمودية الجميلة تتعارض مع حقائق الحياة : فكيف على سبيل المثال يمكن تطبيق قاعدة اراحة الأرض سنة كاملة كل سبع سنوات في بلد اقتصاده مرتبط باقتصاديات العالم الحديث ؟ وقد أعلن الحاخام الأكبر إبراهيم كوك وبقية السلطات أن هذه القاعدة لا تنطبق في فترة بناء الدولة . وهكذا فباسم الواقعية أوقف هؤلاء الرؤساء أمرا من أوامر التوراة ، الشيء الذي أزعج حاخامات الجماعات الأرثوذكسية . ولكن منذ حرب الأيام الستة وبصفة خاصة منذ الثمانينيات ، بدأ الصهيونيون الدينيون المتطرفون يشعرون بمركب نقص تجاه الأرثوذكس المتشددين ، إذ بدا لهم أن هؤلاء الحكماء الملتحين والمتقوقعين داخل اليشيفوت أكثر صوابا منهم في رؤيتهم لقوانين الشريعة اليهودية ، وهنا ظهر التيار الأرثوذكسي المتشدد في الصهيونية الدينية والذي أصبح الآن صاحب الأغلبية في الحزب القومى الدينى .

يعيش يعقوف ذو العينين البراقتين واللحية الصغيرة على طريقة نابليون الثالث في جيلو وهى حى جديد على مرتفعات القدس : وقد أدى الخدمة العسكرية ثم التحق باليشيفا وهو يعتبر الدولة احسن ضمان للتقاليد ، يقول :

« تثبت الوقائع أن دولة اسرائيل نحمى اليهودية من الضباع ، فهنا يحدث اكبر عدد من الزيجات بين اليهود فى العالم ، فنحن هنا الجيتو الجديد ! فاذا كانت وظيفة هذا الجيتو هى انقاذ اليهودية ، فعلىنا الدفاع عنه حتى لو لم تكن هذه هى دولة المسيح المنتظر » .

وثناء الحديث زحفت طفلة يعقوف على أربع تحت الطاولة فانحنيت لاداعبها ... وفجأة تصلبت ملامح الاب ومنعنى من لمس الطفلة ... « هذه هى طريقتى فى محاربة انحطاط الأخلاق ، ان أى رجل لن يقترب من ابنتى الى أن تصل الى سن الزواج ... » .

ويمثل رب العائلة الشاب هذا ذو الأخلاقيات المضحكة بشكل غير معقول الاتجاه الأرثوذكسى المتشدد للصهيونية ، وان كان يتنازل طواعية عن التمسك الدينى بضرورة تدخل المسيح المنتظر لصالح الشعور القومى ، فإنه يستخدم فى نفس الوقت كل التعبيرات الغائمة الشائعة فى الأكاديميات التلمودية الأكثر انغلاقا . واعتمادا على النصوص المقدسة لا يرى فى المجتمع المحيط سوى الانحطاط ، ويبدو العالم له كشعبان سام معاد للتوراة ، وحتى العلم متهم فى نظره ، فهو مسئول عن جريمة لا يمكن التسامح معها وهى أن العالم لم يخلقه الله فى عملية واحدة كما يقول سفر التكوين ، فاذا كان وجود الطبقات الجيولوجية يثبت أن العالم قد مر بأدوار تطور ، فان هذا سببه ان العلماء قد زوروا الاكتشافات ... وأساتذة التلمود لديهم الأدلة على ذلك والمحددون يرتعشون خوفا من كشف هذه الحقيقة !

ان تشدد الصهيونية الدينية التى يعتبر يعقوف الأكثر تعبيرا عن الجهالة بين أتباعها ، تجد تأييدا من مجموعة منتقاة من المثقفين الذين جاءوا من فرنسا والولايات المتحدة بعد حرب الأيام الستة ، فهؤلاء القوم

الذين كانوا يعيشون مرتاحين في منازلهم في الشتاب ، هؤلاء
الحاخامات والأساتذة والفلاسفة ، هجموا فجأة لنصرة اسرائيل
المنتصرة فعلا ، وليقدموا مساعدتهم الثمينة لبناء الدولة اليهودية ،
منادين بأن زمن المسيح المنتظر قد اقترب ، وأن القومية اليهودية هي أوضح
تعبير عن ذلك . ولم تكسب اسرائيل بهم ما خسرتة الشتات ،
فهؤلاء الملقون دروسا والمحاربون في الساعة الخامسة والعشرين ،
نصبوا أنفسهم قادة للأصولية وممثلين للصهيونية المتكاملة والمتحدثين
باسم المستوطنين في يهوذا والسامرة . وقد جعلوا من الأصولية الصهيونية
التقويج للأصولية البنية ، فالاحتفاظ بالأراضي أصبح النتيجة الحتمية
 للقراءة المدققة للتوراة ، ليس الطريق الذي يربط الخليل بنابلس مروراً
بالقدس ، هو الطريق الذي سار عليه ابراهيم في الماضي ، الطريق
الذي بنيت عليه ديانة التوحيد ؟

يطلق تلاميذ الحاخام ليون أشكينازي عليه اسم (مانيتو) نسبة
لشعاره أيام أن كان المندوب العام للكشافة الاسرائيلية في فرنسا ،
حيث كان في الستينيات يجتذب الشبيبة اليهودية بتعاليمه التي يختلط
فيها الدين بالحدائث ، والذكاء مع الجرأة في الفكر بهدف خلق جذور
لجيل ما بعد الحرب . وهذا اليهودي الجزائري الأصل كان قد رحل
الى اسرائيل أثناء الاحتلال ، ثم تغيرت الظروف فعاد الى فرنسا حيث
بقى عشرين عاماً يحاول إعادة بناء اليهودية التي أضعفتها الكارثة النازية ،
تحدوه فلسفة انشاء جماعة يهودية — فرنسية ، وفي رأى الحاخام
أشكينازي تعتبر هذه مهمة خيالية وقد قرر في نهاية الأمر أن يختار
صهيونية فاعلة . يقول :

« هناك سوء فهم كبير بشأن الهوية اليهودية ، ففي الشتات
تعتبر هذه الهوية انتماء دينيا وكثيراً ما يكون وهميا ، أما في اسرائيل
فإنها بعد توقف لمدة ألفى عام تستعيد حقيقتها العبرانية المستمدة من
انتماء قومي ، الشيء الذي يثير اللبس في الحوار القائم بين يهود الشتات
ويهود اسرائيل . بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كانت تواجه اليهود من
جيلي الذين أدوا الخدمة العسكرية أو شاركوا في المقاومة مشكلتان

بشأن الهوية : اعادة تأهيل الهوية اليهودية بعد الكارثة النازية ، واستعادة المواطنة الفرنسية التى شككت فيها الدولة الفرنسية ... ولكننا بدأنا ببطء نشعر أن تحولاً فى الهوية يأخذ طريقه فى التاريخ اليهودى ، فاليهود تحولوا الى عبرانيين فى اسرائيل بفضل الحركة الصهيونية ، وكنت أنا من أولئك الذين أخذت هذه الفكرة بعض الوقت لتتبلور لديهم » .

يرى الحاخام آشكينازى أن الهوة بين متدينين وغير متدينين هى نظرة خاطئة ، فالخلاف الحقيقى هو بين الصهيونيين واللاصهيونيين ، أى بين العلمانيين المعادين للصهيونية والمستعدين للتضحية بالبلاد ، والصهيونيين الدينيين المدافعين عن القيم الحقيقية ، بين نصف الشعب الذى يريد ، حسب قوله ، انهاء الصهيونية بانشاء دولة عربية فى فلسطين والصهيونيين « الحقيقيين » المتمسكين ببناء دولة يهودية على أرض اسرائيل . والحاخام ليس من أولئك المهوسين الذين يحلمون بفوضى عامة ؛ ولكنه ببساطة يستبعد من دائرة الشرعية الدينية كل من يخالفونه فى الراى أو كل من يحلمون باحلال السلام بدلا من مجرد ملء الأراضى المحتلة بالسكان .

كان البروفيسور بنيامين جروس مدير المدرسة اليهودية فى ستراسبورج ، وقد حفزته حرب الأيام الستة هو أيضاً على الهجرة لاسرائيل حيث عمل لمدة طويلة أستاذاً للفلسفة فى جامعة بار ايلان ، وهو يتميز بالدفع كأحد شخصيات اركمان شاتزيان وحافظ على لهجته الألزاسية ، ويعبر بصوته الرخيم عن مخاوفه بشأن وضع اسرائيل الخاص واحتمال حدوث انشقاق بين اسرائيل والشتات ، يقول :

« لقد قامت دولة اسرائيل على تناقض لم يتم حله أبداً ، فالبعض أتوا ببساطة لضمان معيشتهم والآخرون هاجروا اليها ليدعموا روحهم اليهودية ، انهم لم يكونوا يريدون انقاذ الانسان فى أنفسهم وانما اليهودى . ان الطريقة التى جرت بها عملية السلام قد همشت جزءا كاملا من السكان لم يستمع أحد لرأيهم وقتها وهم من يطلق عليهم

المستوطنين في يهوذا والسامرة، وهم في واقع الأمر الرواد الذين يستكملون مثلاً أعلى صهيونيا . لقد أقرت اتفاقيات أوسلو بفضل الأصوات العربية في الكنيست ، ولا شك في أن هناك مفارقة في أن يكون تعريض كل الجهد الصهيوني للخطر يتوقف على القوة الترجيحية للأصوات العربية ! ان شرحاً يمكن أن ينشأ لهذا السبب بين إسرائيل والشتات ، ان إسرائيل في الوقت الحالي ليست دولة العودة وإنما هي دولة من يعيشون فيها ، فالباب الذي فتحته اتفاقيات أوسلو يؤدي في المدى المتوسط الى كيان يهودي - عربي ، وهذه الاتفاقيات تؤكد واقع أن إسرائيل موجودة على أساس معاهدات مقرر سياسياً وجغرافياً وليس على أساس الرغبة في العودة الى وطن الأجداد ، ولو كان العرب قد أقرروا أن لإسرائيل طبيعة خاصة ؛ لكان من الممكن أن نوافق على ترتيبات اقليمية تسمح بالعيش في سلام مع جيراننا ، ولكن طالما لم يكن هناك اعتراف فعلى بخصوصية إسرائيل ، فإن هذا معناه التشكيك في شرعية وجود الشعب اليهودي على أرض إسرائيل وهذا أمر غير مقبول من وجهة نظري » .

ان البروفيسور جروس والحاخام آشكينازي يرمزان الى هجرة ترتبت على حرب الأيام الستة ، وقد اختارا أن يعيشا في إسرائيل المؤسسة على النبوءات ، أو الدولة المرتبطة بالتاريخ القديم والتي يجب عليها أن تحافظ على هويتها الخاصة بكل قوة . أما الآخرون الذين جاءوا هرباً من الأوضاع الاقتصادية السيئة أو الحرب أو معاداة السامية، فهم بالمقابل يريدون « تطبيع » الواقع اليهودي ويحلمون - كما كان بن جوريون يحلم في زمانه - بدولة « مثل باقي الدول » . وقد عبّر الحاخام الأكبر يوسف دوف سولوفيتشيك أستاذ التلمود الرئيسي في جامعة اليشيفا بنيويورك عن ذلك بصيغة لازعة بقوله ان اليهود قد خلقوا لهم دولة حتى يستطيعوا رفض التوراة لأنه في الشتات لم يسمح لهم المجتمع الذي يعيشون وسطه بفعل ذلك ...

وباسم هذه الخصوصية بالذات اعتبر بعض الصهيونيين الدينيين رابين وبيريز خونة للقضية اليهودية ، لأن هذين الزعيمين السياسيين

قد حاولا تطبيع الوجود الاسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط وبذلك قد خانا بالضرورة الدور الخاص لاسرائيل . ان اندماج الصهيونية - الأرثوذكسية قد أفرخ الجريمة : اذ بوضعهم الشريعة اليهودية والاكتمال الاقليمي فوق كل اعتبار آخر ، برر بعض الحاخامات مقدماً عملية اغتيال رئيس الوزراء الاسرائيلي المدان بتسليم اراضي الوطن المقدسة ومنحوها الشرعية ، بل وتجراً بعضهم بأن أعلن أنها ممكنة ومرغوبة دينياً ، لقد وجد هؤلاء الاساتذة احكاماً دينية لتأييد نظريتهم ، فقانون التتبع (دين روديف) يفرض على من شاهد شخصاً يتتبع شخصاً آخر بنية قتله ، يفرض على الشاهد أن يتدخل لمنع الجريمة وانقاذ الضحية المحتملة ، فلو لم يستطع ايقاف المهاجم فان واجبه الديني هو أن يقتله . وبالتوسع في تفسير هذه القاعدة وصل بعض المسعورين الى أنها تشجع على عملية الاغتيال ، فاسحق رابين كان بشكل ما « يتتبع » الشعب اليهودي مشهراً سلاح السلام ، وقد تخطى عن الدور الروحي لاسرائيل بقبوله لتنازلات اقليمية ، وكان الواجب منع هذا الخطر بطلقات الرصاص .

كتب الحاخام يوناثان بلاس مدير برنامج تعليم الحاخامات المخصص لخريجي اليشيفوت القومي يقول : « منذ زمن التوراة كان هناك بعض اليهود الذين سئموا من الدور العالي المنوط بهم ، وطالبوا بأن يكونوا « امة مثل بقية الأمم » ، ومتخلين عن اله متشدد في فروضه الأخلاقية العالية ، ومفضلين التساهل الأخلاقي النسبي للثقافات متعددة الآلهة المحيطة بهم . ومع ذلك ، فالصهيونية السياسية على الرغم من أنها ليست متدنية صراحة ، الا أنها مؤسسة على القبول الضمني بهذا التحالف (مع الله) ، وعلى هذا فرغبة حكومة اسرائيل في التخلي عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له . . . لأنها تتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل باعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد . وهذه الرؤية الأخلاقية هي التي خانها رابين وبيريز باستخفاف ، من خلال رغبتهما في الوصول الى التطبيع والاعتراف العالمي وذلك في محاولة فاشلة ويائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القدر اليهودي الأوحى » (٦) .

ولا شك في أن الشباب الاسرائيليين الذين ولدوا في البلاد ، يتعدون عن قدر يهودى شديد الخصوصية ، غتل أبيب اليوم مدينة حديثة تشبه أية عاصمة أخرى في العالم بمحالتها للوجبات السريعة وعلب الليل ، وازدهام المرور البنونى وكذلك مظاهر البؤس والدعارة والجريمة بها.

وعلى الرغم من كل شيء ، تظل اسرائيل دولة « خاصة » من وجهين : الضغط الدينى الذى يفرض الاحساس به ، وتدفق الهجرة المستمر (٧) . فقانون العودة يجعل من كل يهودى مواطنا محتملا للدولة غير أن الهجرة لأرض الميعاد تختلف دوافعها كثيرا . وابتداء من السبعينيات بدت اسرائيل ، خطأ أو صوابا ، كبلد تأكد مستقبله على المستويات الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية ، بلد أصبح واقعا لا يمكن انكاره ، وهنا تغير شكل الهجرة ، فالرواد الذين يريدون تخضير الاراضى القاحلة ، حل محلهم يهود يريدون اعلاء شأن يهوديتهم، وأن يرتبطوا بالأجواء الأسطورية لعصر الازدهار التوراتى .

وهؤلاء الوافدون الجدد ، واغلبهم من فرنسا والولايات المتحدة ، يدعمون باستمرار صفوف الجماعات السياسية الأكثر تشددا مما يعرف باليمين الاسرائيلى ، وهو تعبير مضلل ، لأن الفاصل فى اسرائيل بين اليسار واليمين لا يمر عبر التمسك برؤية اجتماعية ما أو برفضها وانما بالارتباط بتشدد قليل أو كثير بالقيم التقليدية . فيسار رابين وبيريز يدعوا لاسرائيل متكاملة مع منطقة الشرق الأوسط ، اسرائيل منفتحة على سياسة التعاون مع الدول المجاورة وحيث يلعب البعد اليهودى دورا ثانيا ان لم يكن ثانويا ، وبالمقابل فان يمين نتنياهو يبرز الخصوصيات اليهودية التاريخية والدينية ويعبر عن الرغبة العنيدة فى المحافظة على أراضى يهوذا والسامرة والحد من دور الاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين . وبصفة عامة ، يقف غير المتدينين الى اليسار والمتدينون الى اليمين ، أما الحاخامات القلائل الذين أبرزتهم حكومة بيريز بعد اغتيال رابين لمحاولة رأب هذا الصدع ، فهم ليسوا أقلية بل هم الاستثناء .

ومع ذلك ، فإن كان حزب شاس (*) وزعيمه الحاخام الأكبر عوفديا يوسف يعتبر فعليا في اليمين ، الا أنه يغير مواقفه ببساطة بين المواقف السياسية المختلفة بقدر واضح من الانتهازية الانتخابية ، ونظرا لكونهم لا ينتمون للاتجاه القومي فانهم لا يقدسون الأرض كما يفعل الصهيونيون الأرثوذكس وقبلوا فكرة التنازلات الإقليمية ، وقد أمر الحاخام الأكبر عوفديا يوسف بأنه ، عند تأدية الصلاة اليومية شمونيه عسريه (الثمانية عشر دعاء) ، على المصلى بعد أن يردد القول : « ليمنحنا الرب الذي يعطى السلام في سماواته العليا ، السلام لنا ولكل اسرائيل ... » ، عليه أن يخطو ثلاث خطوات الى الخلف وهذا يعنى أنه يمكن بل يجب قبول تنازلات من أجل السلام . وبعد تحليل للهوقف مضاد تماما لتحليل حاخامات اللوبافيتش الذين نادوا باستمرار بقاء الجيش الاسرائيلي في الأراضي المحتلة، قرر الحاخام الأكبر عوفديا يوسف أن المبدأ المقدس للحفاظ على الحياة يفرض التخلي عن بعض المناطق . وعلى الرغم من هذه النظريات الجميلة ، فقد صرح الحاخام الأكبر بأن يوم وفاة النائبة اليسارية المتطرفة شولاميت آلوني المعادية للدين سيعتبر « يوم عيد » ! وبعد ذلك ، وفي اتجاه معاكس لأفكار موجههم الفكرى ، قرر حزب شاس بعد مرحلة من التردد تأييد نتنياهو في الانتخابات الأخيرة ، حيث بدا لهم أن شخصية زعيم الليكود تستحق من الاحترام أكثر مما تستحق تعاليم التوراة .

ان المهاجرين الذين يأتون لاسرائيل بغرض ممارسة ايمانهم ينضمون بشكل طبيعى الى معسكر اليمين وخاصة أنهم يخشون البقاء على هامش المجتمع الاسرائيلي، يقول آرييه درعى(**) أحد زعماء شاس ووزير

(*) شاس : ان هذا الاسم اختصار لعبارة « شومري سفر تورا » أى اتحاد حرس التوراة . تشكل حزب شاس فى عام ١٩٨٢ بغرض الدفاع عن مصالح اليهود الشرقيين وخاصة المتدينين منهم . يؤيد هذا الحزب الانسحاب من الضفة الغربية وغزة انطلاقا من المبدأ الدينى « من أنقذ روحا فى شعب اسرائيل أنقذ عالما بأكمله » : مما يعنى أن حياة الانسان أهم من الاحتفاظ بالأرض - (المراجع) .

(**) آرييه درعى : ولد درعى فى المغرب فى عام ١٩٥٩ ، وهاجر الى اسرائيل فى عام ١٩٦٨ . اسهم فى بداية الثمانينيات فى تأسيس حزب شاس الدينى المتطرف . عمل وزيرا للداخلية خلال الاعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٢ . وقد ترأس قائمة حزب شاس فى انتخابات الكنيست التى جرت فى عام ١٩٩٢ - (المراجع) .

الداخلية السابق : « لا أريد أن أعمم ولكن يبدو لي أن مركز هذا التطرف يحتوى المهاجرين الجدد الآتين من الولايات المتحدة ، وهم تعلموا هناك الديمقراطية الكاملة وعند حضورهم الى اسرائيل يظنون أنهم سينقذون البلاد في حين أنهم لا يكادوا يعرفونها » (٨) .

يتساءل عالم الاجتماع اليسارى كلود سيبون عن أسباب وجود نسبة كبيرة من المتدينين جدا واليمينيين جدا بين يهود فرنسا ، وهو يقارن هذه الظاهرة مع حالة نزوح يهود بولندا الى فرنسا في العشرينيات ، وكذلك نزوح المهاجرين من شمال أفريقيا بعدها بنصف قرن تقريبا ، وقد أظهرت التحقيقات أنه توجد بين هذه الجماعات حديثة التجنس نسبة أعلى من المتوسط في ممارسة واجبات المواطنة مثل الاشتراك في الانتخابات ، وبالمقارنة نجد أن يهود فرنسا ومثلهم يهود الولايات المتحدة قد استقروا في اسرائيل دون أن يشاركوا في الحرب ودون حتى أن يؤدوا الخدمة العسكرية ، وهم محتاجون أن يشعروا بأنهم اسراييليون أكثر من الاسرائيليين ، وهم يعتقدون أن اتخاذ مواقف راديكالية علنية ، وتبنى النظريات المتطرفة هي خير برهان على اندماجهم في المجتمع واظهار وطنيتهم الحققة .

وتضم معظم الحركات المتطرفة في حقيقة الأمر أعداداً كبيرة من اليهود القادمين من الشتات، ففي ١٩٨٤ انتخب الحاخام مائير كاهانا للكنيسيت وكان هذا هو قمة النجاح لابن بروكلين الذي هاجر لاسرائيل ليفرض صوته المتعصب . وقدم هذا المتهوس بالنقاء العرقي مشروعات قوانين الى البرلمان تقضى بطرد غير اليهود من القدس ، ومنع الزيجات المختلطة ، وسجن من يمارسون علاقات جنسية أطلق عليها « بين — عرقية » بين يهود وعرب ! وقد لاحظ مراقبون كثيرون التطابق التام بين النازية والكاهانية . ومع ذلك — وهذا فارق مهم — فان الكاهانية مصدرها أصولية دينية ليس مجرد أن منشئها كان حاخام ، وانما لأن نظرياتها كانت ترجع باستمرار لقوانين الشريعة ، وهي قوانين دفعت الى حدودها القصوى مما غير من طبيعتها ، فقد اعتبر أن كل عربى هو عدو لدولة اسرائيل ثم استشهد بالتوراة ليعلي : « اذا قام أحدهم ليقتلك

فماقتله انت أولا » . وقد لاقت حملاته المعادية للعرب صدى حسنا لدى الكثير من الهيئات الدينية المتطرفة ، وعندما قامت حركته في ١٩٨٦ بسلسلة من الأعمال الهادفة الى منع اللقاءات بين الشباب من اليهود والعرب ، فقد قام عدة مئات من الأرثوذكس بمظاهرة عنيفة أمام مدرسة الليسية في القدس لقيامها باستقبال ثمانين شابا فلسطينيا من الناصرة ، واذا أخذتهم الحمية الدينية قام هؤلاء المتدينون بتكسير زجاج المدرسة ، ووصف حاخام اكبر الاتصالات بين اليهود والعرب بأنها «شيء كرهه» (٩) .

ولكن كاهانا لم يكتف بالكلمات ، ففي ١٩٨٩ فتح جندي اسرائيلى يرتدى الطاقية النار على مجموعة من الفلسطينيين أمام باب يافسا في القدس ؛ فقتل واحدا وجرح ثلاثة وعلق الحاخام قائلا : « ان هذا لا يعد اغتيالا بل مجردا قتل عربى » ! .

ولم ينتخب مائير كاهانا ثانية للكتيشيت فقد حكمت المحكمة العليا بعدم شرعية حزبه (كاخ) على اساس كونه يريد أن يحرم فئة من المواطنين من حقوقهم المدنية ، فان هذا يتعارض مع الطبيعة الديمقراطية للدولة .

وصباح كاهانا : « ان غير الانتقاء قد استبعدوا الانتقاء ! »

وفي الولايات المتحدة وقف الحاخام أمام ميكروفونات الصحافيين يعلن آخر ضيحاته : فهو سينشئ حزبا جديدا وينسود الى مقننة المسرح ، وهو يحضر خطأ عظيمة لانشاء دولة مستقلة في يهوذا والسامرة . . . ولكن عدد اتباعه كان قد بدأ يتراجع فالكثيرون مضلوا ان يتابعوا تحقيق رؤاهم السياسية خلف زعيم اقل ثلوثا ، وعندما تم اغتياله في نيويورك في ١٩٩٠ على يد «مهووس» آخر عزى هذه المرة ، كانت قواته في اسرائيل قد تفرقت . وعندما جمل ابنه بنيامين المشعل بخلق حركة كاهانا حاي (كاهانا حى) لم يلتف حوله الا المربع الأخير من المتعصبين ، وقد قامت قوات المؤخرة هذه التى شوهت تفكيرها بتصريحات زعيمها المملوءة حقدا ، بإلقاء قنبلة يدوية فى الحى العربى بالقدس القديمة فقتلت واحدا وجرحت ثمانية . . . وقد حكيم

على مرتكبي هذا الاعتداء وهم أربعة أعضاء صغار من حزب كاهانا حاي بالسجن من خمسة الى خمسة عشر عامًا ، وحوكم بنيامين كاهانا نفسه أمام القضاء الاسرائيلي بسبب اعتداءاته على قرى عربية في المناطق المحتلة .

وفي الواقع ، فإن اليمين الاسرائيلي المتطرف لم يعد بحاجة الى كاهانا اليوم ، فاذا كانت الحركة لازالت تعيش بعده فانما ذلك بفضل وسائل الاعلام وتمجيد بعض المتعصبين ، وهناك الآن تشكيلات أخرى تشيع الأفكار المتطرفة ولكن بغير الصورة الفاشية الصريحة . فرجل مثل رجب عام والذي يطلق عليه اسم غاندي ، أقل شهرة في الخارج مما كان عليه مائير كاهانا حيث انه لا يتمتع بذلك الاهتمام من وسائل الاعلام الذي اكسب الحاخام الأصولي كل تلك الشهرة . ويظهر غاندي الذي كان محارباً في البالماخ أيام حرب الاستقلال ثم جنرال فرقة في الجيش الاسرائيلي ثم رئيس مجلس ادارة متحف تل أبيب ، كرم عائلة طيب ، وحصل حزبه السياسي موليديت (الوطن) على ثلاثة مقاعد في الكنيست في ١٩٩٢ (من مائة وعشرين) ، ومقعدين في الكنيست في ١٩٩٦ ، وهي نتيجة لا بأس بها على أية حال ، اذا ما علمنا أن حملاته الانتخابية تعتمد برنامجاً في غاية البساطة وهو الترانسفير أي نقل السكان الفلسطينيين من يهودا والسامرة وغزة الى البلاد العربية . صحيح أننا نترك هنا مجال الأصولية الدينية لندخل تماماً في مجال اليمين السياسي المتطرف ، ولكن تريد غاندي للأفكار الكاهانية وانما بصوت خفيض يثير حماس النواة الصلبة للصهيونيين الدينيين .

يهوشع كراتزنيكر طالب مجد في جامعة بار ايلان الدينية بتل أبيب وهو ذو وجه أبيض جامد خليق وعمره سبعة وعشرون عاماً ، وقد اتم دراسته الحاخامية الا أنه التحق بفصل لدراسة المحاسبة نظراً لأنه لا يريد أن يعمل في سلك رجال الدين ، وقد ولد في هولندا حيث كسان والده مبعوثاً في مهمة هناك لتنشيط حركة الشبيبة الدينية بني عكيفا ، وقد أعطى صوته للحزب الوطني الديني وان كان لا يعتبر نفسه متطرفاً ، وبدأ حديثه بدرس في التاريخ قائلاً :

« في ١٩٤٨ طرد العرب من منطقة تل أبيب ونحن اليوم نعيش بكل امان في هذه المنطقة ، وسيكون جميلا ان نعيش بنفس درجة الأمان في بقية القطاعات ... اننى أؤيد سياسة الترانسفير للعرب ، وان كان ذلك غير ممكن اليوم فيجب ان نحضر له ، كيف ؟ بأن نمنع العرب من العمل في اسرائيل ، وأن نشترى منهم الأرض ، وأن ندفع لهم لكي يهاجروا ، وأن نحفظ بكل الأراضي تحت الادارة الاسرائيلية ، وبذلك نخلق الظروف التى تسمح بالترانسفير فيما بعد . وعلى أية حال ، فموضوع الأراضي هذا شيء لا وجود له ، انها احدى مراحل الحرب لا اكثر ... فعند وقف اطلاق النار في ١٩٤٨ بقيت بعض الأراضي خارج الحدود وهذا كل ما فى الأمر ، ولكن فكرة اراض محتلة او محررة لا معنى لها ، انها ارض اسرائيل على ضفتى الأردن . والآن مع بنيامين نتيناهو ، فالحكومة ستعطى العرب ارضا أقل ولكنه ليس رئيس الوزراء المثالى من وجهة نظرى لقد كنت أفضل شخصا اكثر راديكالية » .

وأسأل يهوشع ان كان يتمنى أن تقوم فى اسرائيل دولة تحكمها قوانين الشريعة ، ويدور بينى وبين هذا الطالب الحكيم من جامعة بار ايلان هذا الحوار الجنونى المخيف :

« طبعا اتمنى دولة تحكمها قوانين الشريعة ، وسيحتاج الأمر الى مرور جيل او جيلين ، والكل سيتوقف على معدل الانجاب لدى المتدينين وسرعة هجرة غير المتدينين الى خارج اسرائيل ، وعندئذ سيبنى قانون البلاد على أساس الشريعة .

— وسيتم رجم مرتكبى الزنا كما تقول التوراة ؟

— طبعا ما دام هذا هو ما تقضى به التوراة ...

— ولن يستطيع الانسان أن يتناول طعاماً غير حلال فى اسرائيل .
حيثئذ ؟

— بالتأكيد فاليهود لن يسمح لهم بتناول طعام غير حلال ولن يسمح بوجود متاجر للطعام غير الحلال ، وتقضى الشريعة بأن المكلف يأكل ما تحله الشريعة إذا اضبط . وهو يتناول طعام غير حلال ، يعاقب بالجلد .

— والا يذكرك هذا البرنامج بالبلدان الاسلامية المتطرفة حيث تقطع يد السارق ؟

— لا بالمره ، ان هناك فرقا كبيرا بين الشريعة اليهودية والشريعة الاسلامية ، ان الشريعة اليهودية تعبر عن قيم اخلاقية عظيمة وجميلة .

— ان فرض الدين بالقوة ليس موقفا ديمقراطيا ...

— صحيح ولكن الأخلاق أهم من الديمقراطية ، ان الشريعة تؤكد القيم الأخلاقية بقوة تجعل غياب الديمقراطية أقل الضررين .

— هل تقبل تقديم تنازلات من أجل السلام ؟

— ان اليمين مكون من عائلات متدينة أو تقليدية ، اما ناخبو اليسار فعلمانيون بل انهم معادون للدين ! وانا كرجل متدين أعلم أننا نملك أرض اسرائيل بفضل وعد الرب ، ولذلك ليس هناك أى مبرر لاعطاء العرب أية قطعة من هذه الأرض حتى فى مقابل السلام .

ويعبر يهوشع الطالب الحاصل على دبلوم الحاخامية بصدق عن الاتجاه الذى يزداد تشددا لدى الشباب الصهيونى الدينى ، وهم لا يحتاجون للبحث عن المجموعات المتطرفة الصغيرة للتعبير عن أصوليتهم الدينية ، فقد التحيت النواة الصلبة بالأطراف .

ويقوم الكاهانيون السابقون اليوم بدراسة النصوص واستخدامها سلاحا للأصولية ، وهم يسرون اليوم فى طريق أكثر ارتوذكسية ؛ ولكنهم يستخدمونه للتعبير عن مخاوفهم القديمة . ويملك نير وعمره يقل عن ثلاثين عاما تاريخا سياسيا فقد كان من أتباع الحاخام الأمريكى . وكان يغطى حوائط القدس بالشنائم العنصرية ضد العرب تعبيرا عن أفكاره الفاشية اليهودية . وهو اليوم مستغرق فى الدراسات الدينية ويحيا حياة الاتقياء فى إحدى مستوطنات الضفة ، وعلى الرغم من أن حديثه منضبط أكثر الا أنه مشابه تماما فى الأساس لأقوال كاهانا فى الماضى وتظهر فيه نفس العبارات .. الحق الإلهى ... الارث الذى لا يمكن التنازل عنه ... الوجود الأجنبى غير المحتمل ... وكل ما هنالك أن نير لا يستشهد الآن بأمرىكى يهذى وانما بالتوراة ذاتها .

الحاخام آلان ميشيل ليس من أولئك المتعصبين حتى النهاية مع أنه صهيوني صريح ومتدين تماما ، وهو دكتور في التاريخ وينتمي الى الحركة المحافظة التي تقبل بقدر من التطوير في قوانين الشريعة ؛ ولكنه يتصور هذا التطور كمؤرخ أكثر منه كحاخام . وهو يلاحظ أن عودة اليهود الى أرضهم قد سببت لهم عودة صعبة الى الواقع ، فمنذ مائتي عام قضى خروج اليهود من الجيتو على الاستقلال الذاتى للطائفة وفي نفس الوقت أبعدوا عن الواقع الملموس وأصبحت الحقيقة الوحيدة بالنسبة لهم هى الشعائر الدينية ، حيث اندمجت اليهودية في المجتمع في كل ما لا يمت الى الشعائر ، وتطورت الهوية اليهودية في المجال النظرى الصرف وبالتالي الدينى الكامل ، وكان من المريح عندئذ أن يكون المرء يهوديا فطالب اليسيفا كان يخصص نفسه للبحث في افتراضات صرف ، في حين يقوم آخرون بإدارة شئون المجتمع . وبالهجرة للأرض المقدسة يجد الصهيونى الدينى نفسه في مواجهة المشاكل الملموسة للسياسة والمجتمع وهو تغيير مرهق ولا شك ، ويضطر المؤمن حينئذ الى أن يتخذ قرارا إما بتجاهل هذا البعد تماما — وهؤلاء هم المعادون للصهيونية — وإما بالاعتراف بأن العملية مرتبطة بشكل ما بمجىء المسيح المنتظر — وهؤلاء هم الصهيونيون الدينيون . ولكن في الحالة الأخيرة لا تسير الأمور بالطريقة التى قال بها الأنبياء ، وعلى المؤمن أن يقوم بتغيير الواقع ليتمشى مع النبوءات ؛ لأن النصوص لا يمكن أن تكون خاطئة ولا بد أن الواقع هو الخطأ .

في ديسمبر ١٩٩٥ ترك الحاخام شاول — دافيد بوتشكو القدس ؛ ليقيم اليسيفا في أكشاك سابقة التجهيز في كوهاف يعقوف وهى مستوطنة أقيمت على التلال البيضاء ليهودا . ومنذ نصف ساعة فقط تركت الشوارع المزدحمة للقدس مارا بمنزل رستم على واجهته علم فلسطينى ضخم وها هى المباني الصغيرة ذات السقوف الحمراء للمستعمرة اليهودية الصغيرة ... ويهز سائق التاكسى الاسرائيلى رأسه : « لا أفهم لماذا يعزل هؤلاء الناس أنفسهم هنا » .

وعلى البعد تظهر مئذنة بيضاء ... ومنذ عشر سنوات جاءت بعض العائلات المتدينة الى هذا الموقع ونصبوا خيامهم وبدأت بعدها تبنى

بعض المساكن ، واليوم يعيش حوالى ألف شخص فى هذا المكان الذى حدثت فيه المعركة بين الملك شاول والفلسطينيين .

قال لى الحاخام بوتشكو : « اننا فى قلب التاريخ اليهودى ، ومن قمة التل نرى بقايا معاصر عمرها أكثر من ألفى عام » .

وأشعر بالعاطفة التى تهز مشاعر هذا الرجل الذى جاء جده من وسط أوروبا فى ١٩٢٧ لينشئ مدرسة تلمودية فى سويسرا على ضفاف بحيرة ليمان . ومن جيل الى جيل جلس الطلبة على مقاعد اليشيفوت ليقرءوا ويعيدوا قراءة ويحفظوا ويعلقوا على النصوص التقليدية ، وتحدثوا عن يهوذا كآرض بعيدة مفقودة ، وتذكروا أماكن أسطورية عاشت فى مخيلتهم ، ففى ليتوانيا وبولندا وروسيا وحتى فى سويسرا لم يكونوا يعيشون فى الأماكن الملموسة التى تحيط بهم والتى آوتهم ، وانما فى عالم متخيل ولا يمكن الوصول اليه واليوم يقف ابن هؤلاء الأسلاف ويعلم على هذه التلال التى لم تنس أبدا ، فيأله من طريق ! لقد كان النظم قويا لدرجة أنه أصبح ملموساً ومحسوساً وقاد خطى الحاضر . يقول الحاخام بوتشكو بشئ من الاحباط :

« لقد منحنا القدس فرصة رائعة فى ١٩٦٧ ولكن هل وعيناها فعلا ؟ هل استجبنا لهذه الدعوة العظمى لاستعادة اليهود من المنفى ؟ اننا لم نستمع اليها ، وهذا هو السبب اننا اليوم فى هذا الموقف المأساوى الذى لا حل له ، لو كان ثلاثة او أربعة ملايين يهودى قد عادوا لقيموا فى يهوذا والسامرة ليخلقوا واقعا مفروضا لكان الوضع قد تغير كثيرا ، ولكن هذا لم يحدث اننى أفهم أولئك الذين لا يريدون الاحتفاظ « بالأراضى » فان السيطرة على شعب أجنبى تخلق مشاكل أخلاقية وتجلب لنا عداوة الأمم ، ولكننى أفهم أيضاً أولئك الذين يؤكدون اننا يجب ألا نترك هذه المناطق .

هل أخفى الفلسطينيون فى أى وقت رغبتهم فى أن يمتلكوا يوما ما كل مساجة اسرائيل ؟ إنه لمن الجنون أن نسهل الأمر لعدو مستعد أن يقتضى علينا ! ويجب بالطبع ايجاد حل بالنسبة للسكان غير اليهود ، ولكن

هذا يجب ان يتم على أساس أن هذه أرض يهودية . إذا اعترفنا مثلما فعل بعض الوزراء العماليين من قبل بأن حبرون (الخليل) مدينة عربية، فإن هذا يدفعنا الى عمل نفس المقارنة مع تل أبيب ! أن تل أبيب تسكنها بالتأكيد أغلبية يهودية فهل يعنى هذا أن المدينة أصبحت يهودية بمجرد العدد وليس بالقانون ؟ وبالقيااس لو أصبحت أغلبية سكان الخليل يهودية ، فإن المدينة تصبح يهودية هى أيضاً . . . أن الأمر لم يعد مسألة قانون وإنما توازن قوى ، ولو كان وجودنا فى هذه البلاد مبنياً فقط على توازن القوى ، فإن العرب يصبحون أصحاب الحق .

وعلى بعد بضعة كيلومترات، فى بيت أيل الواقعة على الخط الفاصل بين يهوذا والسامرة ، وفى الموضع الذى تفيد التوراة بشأنه أن الأب الأكبر يعقوب حلم فيه بسلم يمتد من الأرض حتى السماء ، يعيش أربعة آلاف شخص حياة يهودية غميقة الصلة بالأرض ، فجزء كبير من المستوطنة مخصص للمدارس التلمودية وأساتذتها وطلبتها . والمرشد الفكرى للمستوطنة اليمينية الدينية حاخام بلجيكى يدعى شسلومو أفنير ، وهو يوزع تعاليمه على عدد من المدارس التلمودية وقد التقيته أخيراً فى القدس فى طريق حائط المبكى ، حيث يمر فى طريقه من محاضرة لأخرى . واجد صعوبة فى تصديق أن هذا الرجل الضعيف الوجوه المصفر فى لون أحجار الحائط ، هو القائد الذى يشعل مدارس الصهيونية الدينية الأصولية ، وهو يسير ببطء بخطوات محسوبة ولكن ليس لديه الوقت للحديث معى خاصة والأطباء يوصونه بالراحة بعد عملية استبدال جزء من الشريان التاجى . . . وفى الواقع ، فإن الحاخام أفينير يحترس فى الحديث منذ ورد اسمه ضمن قائمة بأسماء ثمانية حاخامات ، أعطوا لقاتل رابين الحق التوراتى فى ارتكاب جريمته . والانتهاك بهذا الشكل المباشر والفج غير صحيح طبعاً ويعتبر تشهيراً ، فالأمر يتعلق بمنظومة كاملة من التعاليم تجعل من الأرض وامتلاكها مبرراً لكل الأعمال المتطرفة . ولقد كان الحاخام أفينير أكثر صراحة فى وقت ما : « لا يمكن قبول الحجة بأن الاستيطان مرفوض لأنه يتعارض مع الاتفاقات الدولية ، فمبدأ الاستيطان فى الأرض المقدسة يأتى قبل أية وصية أخرى من وصايا التوراة ، وعلى ذلك ، فمن البديهي

أن أى قرار من أية سلطة سياسية بإعادة جزء من أرض إسرائيل الى غير اليهود هو قرار مخالف لقوانين الشريعة التى هى دستور الدولة اليهودية وشعبها وأرضها « (١٠) .

وفى بيت ايل يتحدث تلاميذ الحاخام آفينير بحرية أكبر ، ويقول حاييم عوزان مسئول التعليم وجيهه مفتخ بالمسندس ، انه يرفض اعتبار ان الوجود الاسرائيلى فى يهودا والسامرة عقبة فى طريق السلام : « ان المستوطنات لا تعرقل عملية السلام ولكنها توقف انسحاب اسرائيل من أرضها .. » .

وعلاوة على ذلك ، فالحاخام شيمون كلاين مسئول اليشيفا متأكد من أن كل سكان بيت ايل على استعداد للقتال من أجل هذه الأرض ، ويقول : « لقد مرت المستوطنة بظروف صعبة ولكن كل من هم هنا قد جاءوا لأسباب أيديولوجية وهم مطعمون عقليا وجسديا ، وهم مستعدون لتضحيات وآلام من أجل أيام أفضل ... انى على يقين من أن بلاد اسرائيل ستشكرنا فى يوم ما وستعترف بأهمية هذه المستوطنات » .

ويعبر أبراهام دريه الذى يعد نفسه ليصبح حاخام فى فرنسا ، فى بضع عبارات عن أسس تعاليم الصهيونية الدينية : « ان المقيمين فى يهودا والسامرة هم هناك ليؤكدوا الحقيقة ، وهى حقيقة فى نظر كل شعب اسرائيل بما فى ذلك فى الشتات : وهى أن كل أرض اسرائيل دون أى استثناء هى ملك الشعب اليهودى . ولا يهم ان كان الشعب يريد لها أم لا لهذا قرار لا يمس هذه الحقيقة ، فحتى لو قررت الأغلبية الساحقة للشعب اليهودى اعطاء أى جزء من هذه الأرض لأية قوة أجنبية ، فهذا لن يعطى هذا الحل أية قيمة قانونية . ان أرض اسرائيل هى ملك لليهود الماضى ويهود الحاضر ويهود المستقبل ، وأنا لا أستطيع أن اتخذ القرار بالنسبة لجدى الذى حلم فى الماضى بما أحياء أنا الآن ، ولا أستطيع أن اتخذ القرار بالنسبة لابنائى وأحفادى . ان كل الاتفاقيات ليست لها قيمة فى مواجهة الحقيقة المكتوبة فى التوراة ... » .

وهؤلاء الطلبة القوميون الذين يكرسون أنفسهم للمحافظة على ايمان اسرائيل لا يستفيدون مثل الارثوذكس من الاعفاء الدائم من الخدمة العسكرية ، فهم في المقابل متمسكون بأداء الخدمة ولكن دون التخلي عن شعائرهم المتشددة . فقد تم الاتفاق بين المدارس الدينية والجيش الاسرائيلي على ادائهم الخدمة في خمس سنوات — بدلا من ثلاث للآخرين — وبذلك تسمح المدارس الدينية لهم بالخيار المزدوج ، وهو انتهاء دراستهم الدينية والانضمام الى الجيش . وقد تم الوصول الى هذا الاتفاق لارضاء الخاضعات الصهيونيين ، الذين كان يدفعهم لليأس رؤية طلابهم في كثير من الاحيان يفقدون ايمانهم بعد اداء الخدمة العسكرية ويلقبون بالطائفة الدينية الى الرياح ، والوجه الآخر للعملة هو أن المتدينين لم يستطيعوا أبدا أن يندمجوا في الجيش ، فالطلبة — الجنود كانوا دائما على الهامش واستفادوا دائما بفترة تجنيد قصيرة ، ولم يكن ممكنا لهم الوصول الى مراكز ذات مسؤولية .

وابتداء من ١٩٩٢ ، تم الوصول الى نظام جديد يسمح للقوميين الدينيين بالحصول على دورات سابقة على الخدمة العسكرية ، تتضمن دراسة التلمود وفن الحرب في نفس الوقت ، وبعدها يقضون ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية مثل الباقين وانما بصفة مدربين . ويتخرج ثلاثمائة شاب سنويا من هذه الخدمة الخاصة والتي هدفها المعلن هو خلق فئة متميزة دينيا داخل الجيش ، فلم يعودوا يكتفون اليوم بخدمة عسكرية قصيرة لتتمشى مع أيديولوجية يعبرون عنها أولا على مقاعد الدراسة ، وانما يعمل الصهيونيون الدينيون اليوم على التغلغل في داخل النظام بما فيه جيش اسرائيل ؛ حتى يسكنوا كل أولئك الذين يعيشون بعيداً عن أحكام التوراة .

واذا كان الاتجاه الأكثر تشددا هو المسيطر الآن على اليمين بصفة عامة فإنه لازالت هناك بعض الجماعات المتطرفة المنعزلة ، فهناك حركة نشأت في الولايات المتحدة اسمها زوآرتسينو (هذه أرضيا) ، تدعى أنها تسير على خطى مارتن لوثر كينج في العصيان المدني دون اللجوء للعنف ، إلا أن ثلاثة من زعمائها قدموا للمحاكمة في اسرائيل بتهمة

التحريض على العنف ، وقد صرح أحد زعماء الحركة موثيه فيجان : « ان رابين هو « اليهودنرات » الذى وضعنا فى القطارات » . (واليودنرات هى المجالس اليهودية التى انشأها النازيون لتنظيم ترحيل اليهود الى المعتقلات) وفى أغسطس ١٩٩٥ ، قامت حركة زو آرتسينو بالتحريض على بعض المصادمات قرب بيت ايل بقتل إثنائها شخص عربى بإطلاق النار عليه .

وتوجد جماعات أصغر حتى من هذه وتضم حفنة من الاتباع تجمعهم أحيانا أفكار عجيبة ، هامشية دائما ، ولكن يمكن فى الجو المشحون حاليا أن تصبح عود الكبريت الذى يشعل نار العنف .

قابلت دافيد بلحسن فى أحد ستوديوهات القدس حيث يعمل سينارست ؛ ولكنه يعتبر نفسه أساساً زارعاً فى مستوطنة شانى فى التلال جنوب الخليل ، وهو عضو فى جماعة صغيرة تدعى موراشتى (ميراثى) هدفها إعادة تأسيس الحضارة اليهودية القديمة ، حضارة الملك سليمان الذى كانت مملكته تتجاوز تخوم الأردن . وبعد أن أيسد أمام عدسات التليفزيون الأمريكى اغتيال رئيس الوزراء ، بعد أن أكد أن بعض أصدقائه قد قتلوا على يد ارهابيين عرب سلّحهم رابين ، قبض عليه وسجن بتهمة تأييد الاغتيال . وقد أكد لى : « عندما أرى كسابن لاسرائيل شعبى يتعرض لتدمير نفسه فعندئذ أؤيد اغتيال رابين .. » .

ومن وجهة نظر دافيد ، فإن العرب غزاة فهم أحفاد الاستعماريين العرب المسلمين الذين احتلوا هذه الأرض فى القرن السابع ، ومعركته تهدف الى تحرير المنطقة بطرد المحتلين . ولكن إتباع موراشتى ليسوا مستعدين لإطلاق النار على العرب فقط وإنما ينوون كذلك الصراع ضد جزء من المجتمع الاسرائيلى ، يقول :

« نحن نستعد لحرب أيديولوجية ضد السكان اليهود ولكنها قد تتحول الى حرب أهلية صريحة اذا ما وجدنا أن نسبة كبيرة منهم تتعاون مع العدو وتكرر ما حدث منذ ألفى عام ، عندما تعاونت سلطة الحاخامات الفريسيين مع الرومان للقضاء على المتحمسين السيكاريين ، وهكذا اذا فرضت علينا الحكومة الاسرائيلية اخلاء يهوذا والسامرة

تسحارب بكل الوسائل ! ومنذ أن صافح رابين عرفات فقد الجيش الاسرائيلي شرعيته ولم يعد جيش الشعب ؛ وانما أصبح أداة لسياسة تطهير عرقي ضد شعب اسرائيل على أرضه . صحيح أن نتنياهو ليس بالأساس خائفا مثل رابين ولكنه انتهازي للغاية وليس له أية أيديولوجية ، انه يمثل لنا شيئا عفا عليه الزمن ، انه لن يوقف عملية السلام ولكن رغبته في الحفاظ على ماء الوجه ستجعل العرب يفقدون صبرهم وسيكتشفون عن حقيقتهم ، سوف ينزعون القناع الذي يضعونه لأسباب تكتيكية ويظهرون بوجههم الحقيقي كثعبان سام . »

ويعترف دافيد أن ما دفعه باتجاه التطرف كان تلك المصافحة بين رابين وعرفات ، ويسخر من مصير الارهابيين قائلا : « ان عرفات من احط انواع الارهابيين فقد اباد رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا ثم نال جائزة نوبل للسلام ! وهذا ما يطمئننى ... يقال عنى اليوم اننى ارهابى وربما بعد عشرين عاما أمنح جائزة نوبل ، ولو كان هذا هو قدر كل ارهابى فمستقبلى وردى ! » .

ويفرخ الدين جماعات صغيرة أخرى ليس من الواضح ما تهدف اليه ، فعوزى ميشولام يصف نفسه بأنه حاخام وان كانت السلطات الدينية لا تعترف بذلك . وقد خلق هذا اليمنى ذو الخمسة والأربعين عاما والوجه المنتفخ ، والذي يلبس باستمرار الجينز والجاكت الجلد والمسدس فى وسطه ، خلق جماعة حقيقية تقلق السلطات . وفى ٢٣ مارس ١٩٩٤ تحصن هو ومائة وعشرون من أتباعه فى فيلا فى حى يهود بتل أبيب لمدة تزيد عن شهر ضد السلطات التى كانت تريد القبض عليه ، وتبدلت الطلقات أثناء الحصار وقتل أحد أتباعه . وفى ١٠ مايو قبض على ميشولام وأحد عشر من أتباعه وحكم عليه بالسجن لمدة ستة أعوام ونصف بتهمة « التآمر للقيام بعمل إجرامى » .

قال أحد كبار ضباط البوليس : « ان ميشولام لديه كل صفات قائد جماعة ، فهو ذكى وله كاريزما وجنون العظمة ولا حدود لتصرفه ، ان لديه قدرة كبيرة على الاقتناع وأتباعه يسبغون وراءه بلا معارضة » (١١) .

ويشك البوليس في أن الحاخام خطط لزعزعة الدولة بتخريب عدد من الهيئات الحكومية ، ولكن آفياد ليفى المتحدث باسم الجماعة يكذب بشدة هذه الاتهامات التى رددتها الصحافة الاسرائيلية ويؤكد أن هدف الجماعة هو مجرد تعليم التوراة وأعمال الخير .

ويصف لى زعيمه وهو ينظر نظرات سوداء وهو بجاكتته الجلدية قائلا : « ان الحاخام له مقدرة هائلة على الفهم ويضعها تحت تصرف الجميع ، انه رجل عنيق الايمان وايمانه يشع على من حوله حتى لو كانوا من غير المؤمنين ، وهو عالم ليس فقط في أمور الدين وانما في مجالات أخرى كثيرة كالطب والسياسة والأعمال ... وهو يرجع فيها جميعاً للشريعة ، وعديدون يسألون الحاخام النصيحة قبل التوجه للطبيب ، وهو ينصحهم ولكنه يقول ان الرب هو الذى يشفى وليس هو ! » .

ثم يتحدث الى آفياد طويلا عن قضية الأطفال اليمنيين ، وهى قضية تهز المجتمع الاسرائيلى منذ عشرات السنين . ففى أواخر الأربعينيات عندما وصل يهود اليمن الى اسرائيل اختفى عدد من الرضع من بينهم ، نهل ماتوا بسبب نقص الغذاء أثناء المسيرة الطويلة الى عدن نقطة اللقاء قبل العودة للأرض الموعودة ؟ هل تبنتهم سرا عائلات غنية ؟ واللفز لم يحل بعد !! . ويدعى آفياد أن الحاخام ميشولام لديه الأدلة القاطعة على وجود تجارة كان الهدف منها ملء الخزانة الخاوية للدولة الوليدة ، وهو يذكر أرقاما خيالية : أربعة آلاف وخمسمائة طفل من اليمن ولكن كذلك من ايران وسوريا والمغرب بيعوا الواحد مقابل خمسة آلاف دولار الى اديرة او أزواج ليس لديهم أطفال فى العالم أجمع ، ولكن أين هى الأدلة ؟

« ان الحاخام لا يريد اظهار الحقيقة لأنها مؤلمة فليس من السهل الجمع بين الآباء وأطفالهم ... » :

ويدعى ميشولام أن لديه صوراً وملفات وأنه يعرف أسماء الأطفال المخطوفين ، ولكنه يخفى هذه الأدلة بغناية حتى لا يسبب الألم للأطفال بلغوا اليوم الخمسين عاماً ...

وعلى أية حال ، فهذه القضية تسمح لميشولام باستعراض صفوف جنوده والصراع علناً ضد هيئة حاكمة تتبع منها كل الشرور ، وهو مستمر في قيادة أتباعه من داخل السجن عن طريق التليفون . وفي أوائل ١٩٩٦ طلب من مريديه تجهيز جوازات سفرهم والاستعداد لترك البلاد ، وهكذا استعد ألفان وأربعمائة شخص رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً للهجرة غيماً لو أصدر المعلم اليهم الأمر ، وإلى أية أرض موعودة جديدة سيتجهون ؟

يجيب آفياد : « سنفهد إلى أى مكان يحدده الحاخام » .

وهذه الجماعات وغيرها ليست سوى التعبير عن يأس الصهيونيين الدينيين ، ولكن أحياناً ما تتبنى لغتهم المتطرفة شخصيات ليست هامشية بالمرّة ، فالحاخام الأكبر الأشكينازى السابق لإسرائيل شيلوم وجورين الرجل الذى أمر في ١٩٦٧ ، وكان وقتها رئيس حاخامات الجيش الإسرائيلى ، أمر بالنفخ في البوق التاريخى أمام حائط المبكى ، ودعا في ١٩٩٤ الجنود الإسرائيليين إلى عدم اطاعة الأوامر بإخلاء أى موقع يهودى في يهودا والسامرة أو في قطاع غزة ، قائلاً : « حيث إن تعبير الأرض هو أمر الهى وأن تفريغ موقع يهودى هو عصيان لهذا الأمر فعلى الجندى ألا يطيع هذا الأمر » (١٢) .

كان الإسرائيليون يعتقدون لوقت طويل أن العدو الداخلى المحتمل هو الأرثوذكسية المعادية للصهيونية ، فقد رأوا حاخامات يقفون في صف منظمة التحرير الفلسطينية للتعبير عن كراهيتهم لوطن قرر الاستغناء عن جون المسيح المنتظر . ومع ذلك ، فإن هذه الجماعات في مجموعها لا تهتم بالاضطرابات الدبلوماسية أو العسكرية للبلاد ، وقد كشف اغتيال رابين بوضوح أن الخطر لا يأتي من هذه الناحية وإنما من الجناح

الصهيونى للمتدينين ، فهؤلاء يريدون استثمار التاريخ والتأثير على الحكومة والسياسة ، وعندما يصبحون اصوليين فانهم لا ينفلقون على انفسهم داخل جيتو وانما يتسلحون ويرسلون اللعنات على غير المتقين المصابين بالفتور . انهم يمثلون خطورة لانهم فى حالة اليأس يشعرون ان مثلهم الأعلى قد تآكل بفعل الواقع ، وان الحلم القوى الذى كان يحركهم يهرب منهم .

ويعبر البروفيسور ايلى ميرزباخ أستاذ الرياضيات فى جامعة بار ايلان عن هذا التوتر الشديد فى كلا المعسكرين قائلا : « أيام الحكومة السابقة سجن رجل بتهمة التحريض على العنف لأنه قرأ « البولتسا دينورا » ضد شيمون بيريز ، وهذا التعبير الأرامى — الذى يعنى « شرارة النار » — يخفى وراءه دعاء سحريا .. فهل الحكومة تعتقد فى السحر ؟ ان هذا التطرف غير معقول ! وهذه التخططات قد دفعت الشباب المتدين نحو التطرف ، تطرف اليأس ، وهذا شئ خطير لأن هذا اليأس سيؤدي الى العنف » .

ان الخطأ التاريخى للحكومات الاسرائيلية المتعاقبة هو أنها سمحت بل دفعت الى اسكان اليهود فى الاراضى المحتلة ، فوجود مائة واربعين الف مستوطن فى مائة وثلاثة واربعين موقعا لا يساعد على نجاح مفاوضات السلام ، وبنيامين نتياهو بمساعدة وزيره الصقر آريل شارون يدعم وينمى هذه المستوطنات .

ان انشاء القرى اليهودية بدأ ببسطية فى بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ أى من حرب الأيام الستة حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تفكر فى الرحيل الى يهودا والسامرة والاتمامة فيها سوى اقلية صغيرة تدفعها ابيجاب قومية دينية ، او شجعته الحكومة لاهداف استراتيجية ، وبعد ١٩٧٣ ارتفع عدد السكان اليهود فى الاراضى المحتلة من ثلاثة آلاف الى خمسة عشر ألفا ، فقد بدأ الخطاب المشئاوى ، واخذ التعليم الاصولى للحاخامات الصهيونيين يكون جيلا جديدا ، وابتداء من ١٩٨٠ مع وجود حكومة مناحم بييجين اليبينية والكتيبسيت الذى يزخر بالأعضاء الشدينيين ، بدأت وزارة

الاسكان في بناء المنازل في الأراضي المحتلة ، وخلال عشر سنوات اختار ثمانون ألفاً أن يسكنوا في الضفة الغربية ، ولم يكن أغلبهم عندئذ من القوميين الدينيين الذين يريدون احياء الوطن اليهودي القديم ، بل انضم اليهم جمهور غفير ممن اجتذبتهم الايجارات المنخفضة في المستوطنات ، وستون بالمائة من سكان هذه المناطق المتنازع عليها ليسوا من الدينيين ويكونون الأغلبية الصامتة ليهودا والسامرة . واليوم يشعر هؤلاء السكان بعدم الأمان ويحاولون الانتقال بهدوء الى أماكن أكثر أمناً ، وذلك على الرغم من الضغوط والشتائم التي يتعرضون لها من جانب الأكثر تشدداً الذين يصفون المعتدلين بالخونة الهاربين من المعركة ، وبالمقابل ، فإن القوميين الدينيين الذين كانوا مترددين نوعاً ما يسارعون بالحلول محل المنسحبين ، والنتيجة واضحة : فكل يسوم تملىء « الأراضي » بالمتحمسين الذين لن يقبلوا بالرحيل مهما كانت الاتفاقات المعقودة ، وهكذا تنشأ تركيزات جغرافية من قوى الاتجاهات المتطرفة التي يمكن أن تنفجر في أية لحظة .

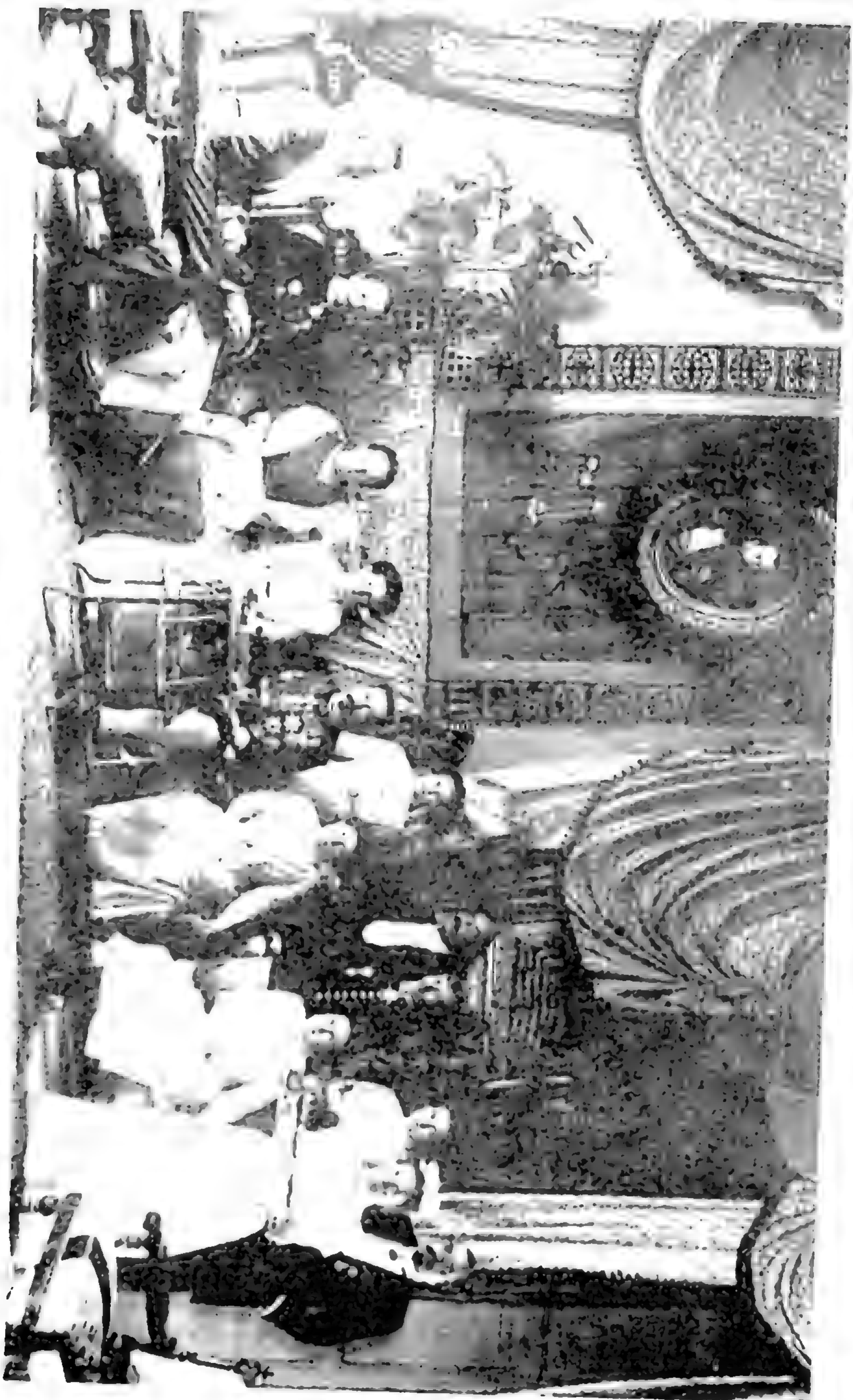
وهؤلاء بدرجة كبيرة هم الذين سنجوا بانتخاب بنيامين نتنياهو ، فمستوطنة مثل كيريات أربع أعطته تسعة وتسعين بالمائة من أصواتها . وعلاوة على ذلك فإذا كان الكنيست في ١٩٩٦ يتضمن عدداً أكبر من الأعضاء الدينيين — ثلاثة وعشرين مقابل ستة عشر في الكنيست السابق — فالفرق لم يأت من الأحزاب الأرثوذكسية المتشددة المعادية للصهيونية ، فهذه الأحزاب الموحدة تحت اسم حزب التوراة الموحسد (تحالف بين أجودات إسرائيل وديجيل هاتورا*) ، احتفظت بأعضائها الأربعة لا أكثر ، وبالمقابل ارتفعت مقاعد الفدال وهو الحزب القومي الديني من ستة الى تسعة ، وارتفعت مقاعد حزب شاس وهو أرثوذكسي ولكن سياسته عملية أكثر من ستة الى عشرة .

(*) ديجيل هتورا : حزب من المتشددين دينياً . تشكل هذا الحزب بزعامة الحاجام أبراهام رافيتس انتخابات الكنيست الثاني عشر في عام ١٩٨٨ . ويعتبر هذا الحزب من أقل الأحزاب الدينية تطرفاً ، فيوافق الحزب على الانسحاب من المناطق المحتلة ، بل وعلى إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح .

لقد تحققت نتائج الانتخابات بفضل التنظيم الدقيق لعملية التصويت، لأن أغلب جماعات الأصولية الصهيونية تتواجد داخل مركز ممتاز التنظيم ويمينى بضراوة وينادى ويناضل من أجل الوحدة الاقليمية وهو جيش ايمونيم ، أى جماعة المؤمنين ، وهى جماعة متعددة الأوجه : فهى مجموعة متطرفة ، وهى منظمة سرية ، وهى جمعية دينية ، وهى جمعية مساعدة متبادلة ، وهى لوبى دفاع عن المصالح . وقد نشأت الجماعة فى ١٩٧٤ فى جو القنوط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولم تلبث أن جمعت كل الاتجاهات اليمينية النقية والصلبة ، فالذين أصابوا همىدى نابلس ورام الله أصابات بالغة ، كانوا ينتمون الى جماعة سرية خرج زعماءها من جيش ايمونيم ، وقد أدت هذه الأعمال العنيفة الى انقسام الجبهة وأثارت اشمئزاز أغلبية السكان الاسرائيليين .

ومنذ ذلك الوقت ، استعادت الجماعة عذريتها فهى لا تطلب اليوم الا الاحتفاظ بالمستوطنات وتدعيمها ، أى بلورة اهداف اليمين فى انتظار تحقيق حلم اسرائيل الكبرى ، ومع ذلك تكشف جيش ايمونيم وجهها الحقيقى عندما نعرف أن قبر باروخ جولدشتاين الذى قتل تسعة وعشرين عربياً فى ساحة الأنبياء فى الخليل قد أصبح مزاراً فى كيريات أربع التى تسيطر عليها الجماعة ، لقد أصبح جولدشتاين الطبيب الأمريكى قاتل العرب بطلا حقيقياً فى نظر الصهاينة المتطرفين ، أكثر من بيجال عامير قاتل راين ؛ لأن هذا الأخير لا يعبر عن التضحية بالنسبة لمن يدعون أنهم طليعة اليهودية القومية الوليدة ، ومع ذلك فالصهيونية الدينية نفسها هى التى أنتجت هذا القاتل .

كانت دانيلا فايس هى السكرتير العام لجيش ايمونيم عندما كانت هياكلها معلنة ، ومنذ مشرين عاما تركت مسكنها فى ضاحية تل أبيب الراقية وانتقلت الى مستوطنة كدوميم فى يهودا والسامرة ، وهى تلبس غطاء للرأس مثل النساء المتدينات وتؤكد على النمو المذهل للشعور الدينى، وتقول : « عندما كنت مدرسة فى مدرسة دينية منذ خمسة وعشرين عاما كان التعليم مختلطاً حتى السن التى يحق للطالب فيها أن يلتحق بمدرسة « اليسيه » الثانوية ، أما اليوم فالصبيان والبنات



يوسف ترمينور (على اليسار) مع مجموعة من الأصقاء.



مجموعة من أعضاء منظمة المشومير، التي كانت تقوم بالاطلاع عن المستوطنات اليهودية.



أحد مؤسسي مستوطنة روش بيناة.



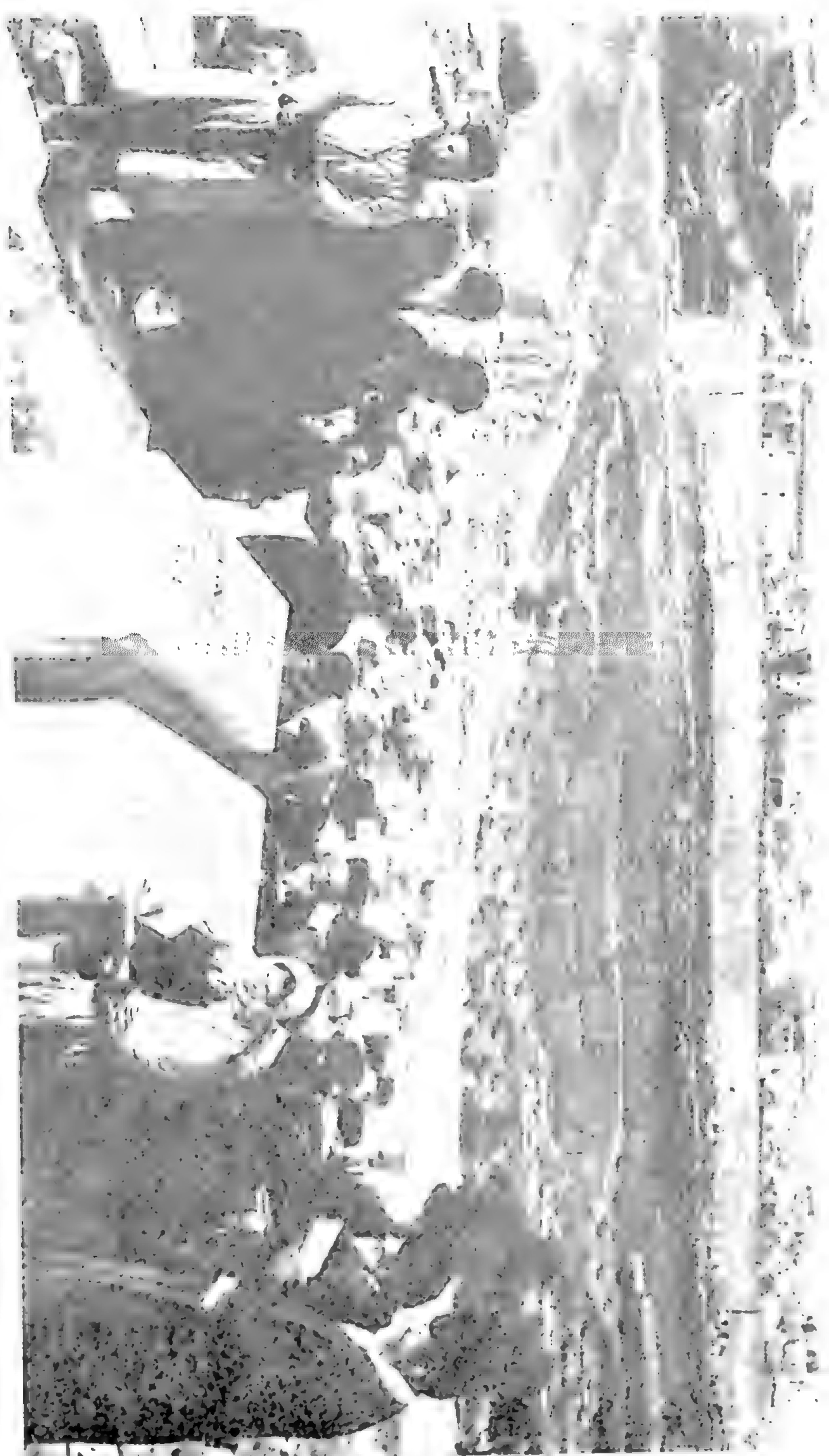
يهود أشكنان.



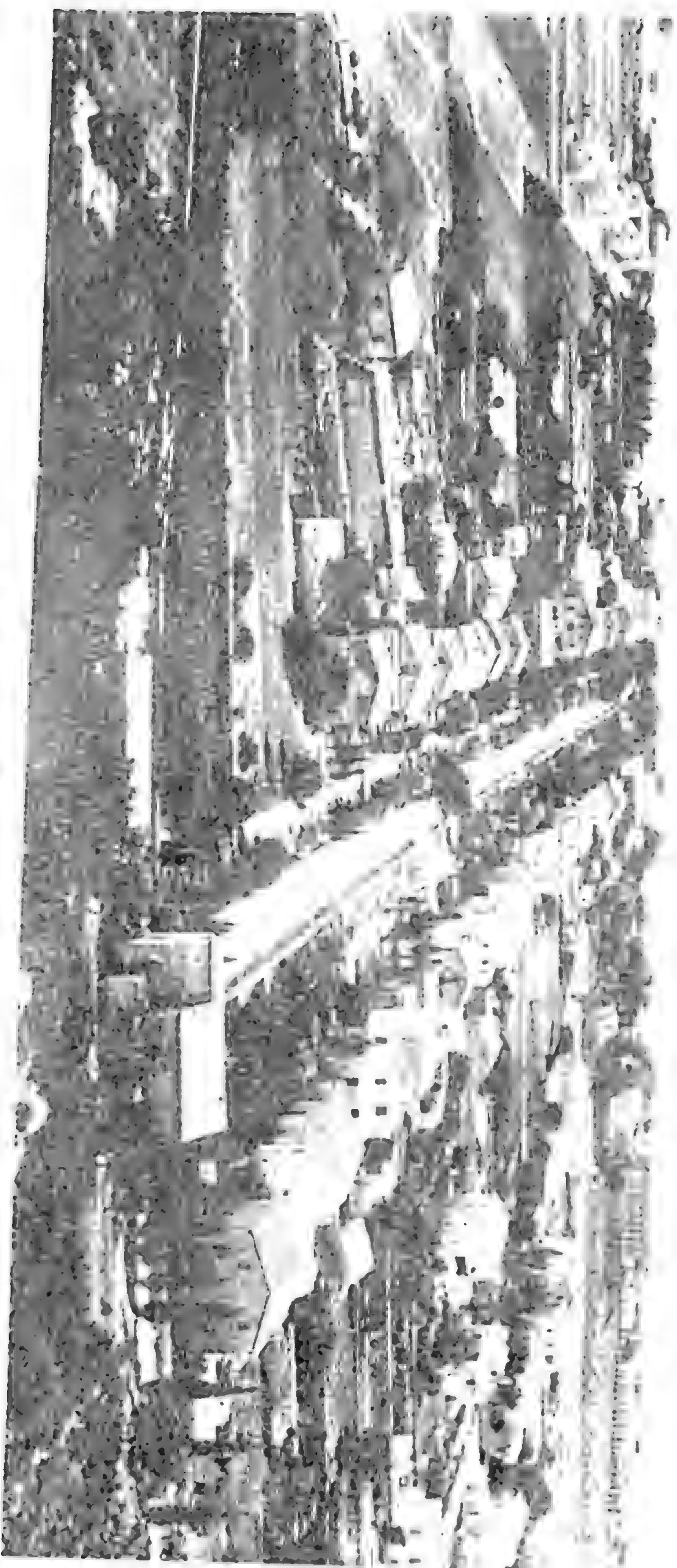
حائط المبكى



صلاة اليهود عند حائط المبكى



صقن الصلاة التذكاري على جبل الزيتون في القدس.



المستعمرة الألمانية في جبلا، التي تأسست في عام ١٨٦٨



قلعة داود



هذا المبنى يمثل قبر راحيل بالقرب من بيت لحم والذي أعيد تحديثه في عام ١٨٤١



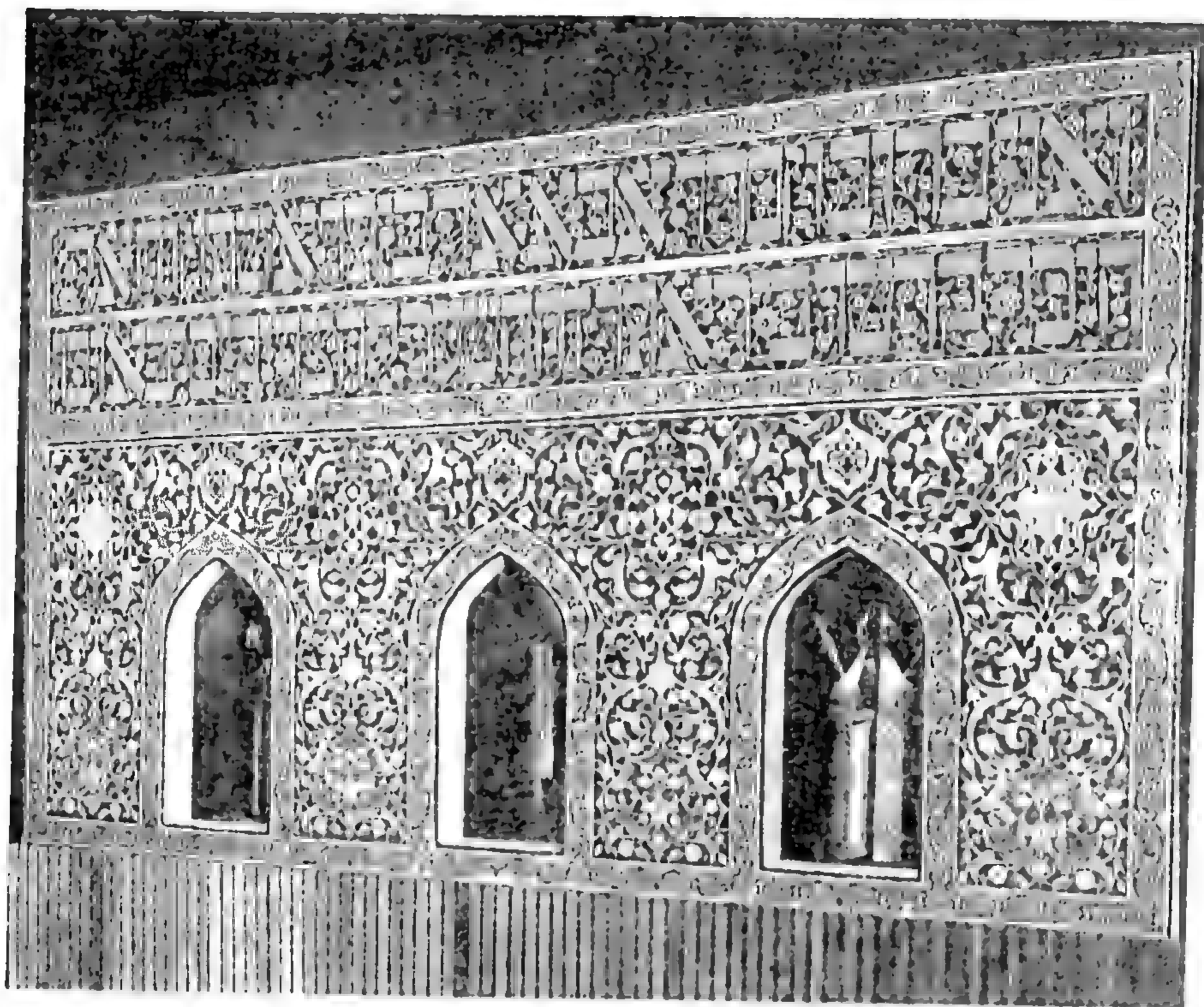
صورة من داخل قبر راحيل



تمثل هذه الصورة طفلاً يهودياً عند دراسته للحروف العبرية من الطائفة الحسيدية.



أكوام من الرماد خارج حدود المدينة القديمة، أي القدس، ويعتقد أنها كانت موقع المذبح.



الجزء العلوى من مدخل أحد المعابد اليهودية الفارسية فى اصفهان.



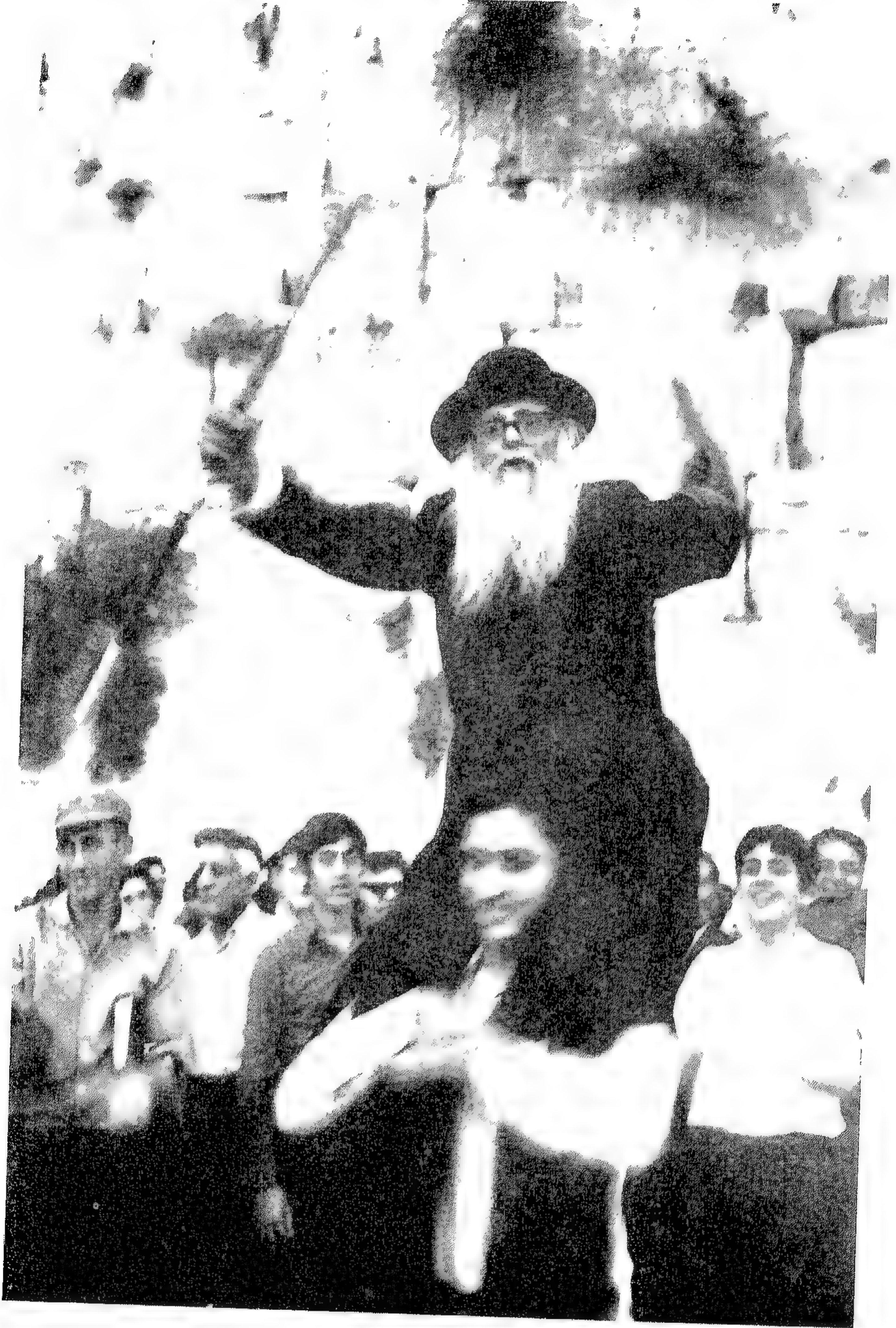
تمثل هذه الصورة احتفال اليهود المغاربة بأحد اعيادهم.



أطفال يهود من بخارى.



فتيات يهوديات من بخارى.



تمثل هذه الصورة احتفال اليهود الأشكناز بعيد «سعادة التوراة»



صورة عائلة يهودية يمنية في القدس ١٩١٣.



صورة بالزيت لفقهاء التلمود (المتحف اليهودي بنيويورك).



الشمعدان اليهودي

معزولون ، لقد تقوت الأرثوذكسية في كل مكان ، وعندما كنت مراةة كنت أصلى مرة في اليوم وبعض زميلاتي المتدينات لم يكن يصلين حتى مرة في اليوم ، أما اليوم فكل النساء المتدينات يصلين ثلاث مرات في اليوم » .

واذا كانت جوش ايمونيم لا تحتفظ اليوم رسميا بمكاتب أو سكرتارية ، فانها موزعة على شكل لجان متفرقة في المستوطنات تقوم على اجراء الاتصالات ببعضها البعض ، واذا كان أعضاء هذا التنظيم قد استراحوا لانتصار اليمين في الانتخابات الأخيرة الا أنهم لا يتخلون عن الحذر على الرغم من ذلك ، تقول دانيلا فايس : « اننا سنقاوم بالقوة أى إجلاء ، واذا ظهر هذا الخطر يمكننا تعبئة خمسين الى ستين ألف شخص خلال أربع وعشرين ساعة .. » .

ويشعر المرء بالرعب عندما يعلم أن هؤلاء المستوطنين جميعهم مسلحون ؛ وأنهم قد تدربوا على اطلاق النار في صفوف الجيش الإسرائيلي .

الفصل السادس

دبابات الايمان

انحراف اللوبيافيتش

يخيم الظلام سريعا على تل ابيب ، وفي مساء السبت ١٦ مارس ١٩٩٦ كان الضباب يخفي معالم المدينة ويحول الأضواء البراقة الى كتلة من الضوء غير الواضح ، وفي الضاحية الشمالية كانت معالم سجن شارون البيضاء تكاد لا تظهر ، رغم الأضواء القوية المسلطة على القضبان والأسلاك الشائكة ، وبمجرد انتهاء السبت أخذت الاتوبيسات تتقف أمام السجن بالئات من الرجال لابسى الأسود ، الذين أخذوا يرقصون الرقصة الحديدية القديمة ، رافعين أدميتهم للرب مستغيثين بالمسيح المنتظر ، نافخين فى الشولار ، وهو البوق المصنوع من قرن الكبش والذي تصاحب أصواته النشاز كل المناسبات اليهودية الجلية ، والى الخلف منهم بمسافة تعبر عن الاحترام تقف جماعة صغيرة من النساء يضرين الطبول بدون توقف . وجاء تفسير احدى السيدات التى تغطى شعرها بباروكة من الشعر الأبيض ، وهى الموضة السائدة بين السيدات الأرثوذكسيات المتزوجات المحافظات على الشريعة ، قائلة : «يقال انه عندما هرب شعب اسرائيل من مصر الفرعونية ، بان مياه البحر الأحمر انفتحت أمام صوت الطبل الحديد من بنات اسرائيل » .

ومع ذلك ، فان أبواب السجن لم تفتح فى تلك الليلة بالسهولة التى انفتحت بها مياه البحر الأحمر على أيام القوراة ، فعلى الرغم

من الأغاني والصلوات والخطب التي القيت عن طريق الميكروفون ، وعلى الرغم من التهديد بتجمعات أخرى والأعلام التي تحمل تاج المسيح الآتى ، لم يتحرك شيء داخل كتلة السجن الصماء .

وهؤلاء المتظاهرون ذوو اللحى الكبيرة والجلابيب السوداء والقبعات السوداء الكبيرة جميعهم من حسيدي اللوبافيتش ، الذين جاءوا لإعلان غضبهم بسبب القاء القبض على أحد رجالهم الذي أخذ من منزله بعرفة قوات الأمن ووضع في السجن بتهمة التحريض على العنف ، والعمل الذي سجن من أجله الحاخام أسحق جنسبرج هو أنه أقام وليمة عامة في ذكرى باروخ جولدشتاين المتطرف ، الذي فتح النار في فبراير ١٩٩٤ على المصلين المسلمين في ساحة الأنبياء في الخليل ؛ فقتل تسعة وعشرين منهم قبل أن يقتل هو نفسه ، وبإلطبع فإن قتل تسعة وعشرين عربيا هو أمر يستحق الفرح والاحتفال في نظر الحاخام جنسبرج !

كتبت صحيفة ידיعوت احرونوت صبيحة القبض عليه : « من المعروف أن الحاخام جنسبرج من أكثر الحاخامات اليمينيين تعصبا » (١) . وفي الواقع أن هذا اليهودي الأمريكي الحاصل على عدة دبلومات من جامعة يشيفا ببوسطن يعلم طلبته فهمه الخاص جدا للنصوص : « ان الدم الاسرائيلي هو المفضل عند الله ، انه اكثر احمرارا من دم الآخرين » . كما يقول ، وهو يدعو الى العنف « لأنه بدون الانتقام يستط الانسان في هوة المرارة واللاتقوى » وهذا الأستاذ ذو اللغة المتفجرة قد أنشأ مدرسته التلمودية في قلب مدينة شخيم القديمة — نابلس اليوم — في المبنى الذي يضم قبر النبي يوسف وحتى اليوم لم تستطع الأخطار ولا الانتفاضة ولا تغيرات السياسة ان تقنعه بالتوقف عن التدريس ، ذي الاهمية الرمزية والمتنازع عليه .

وصباح كل يوم تتوجه حفنة من الطلبة الى هذا المكان المبجل تنقلهم سيارة مصفحة في المساء ، ويفتح لهم الباب جندي فلسطيني يحمل

الكلاشنيكوف على كتفه ، في حين يردد الشبان اليهود صلاة بالعبرية تتكرر فيها كثيرا عبارة « يوسف حى » . ويشعر هؤلاء المتعصبون المتحصنون خلف الأسوار العالية فى قلب « الأراضى » أنهم طليعة يهودية تعيد الارتباط مع تاريخها القديم ، ويؤكد يهودا أحد طلبة اليشيفا « نحن هنا بصفتنا المندوبين للشعب بكل أجياله الماضية والمستقبلية » (٢) .

وأثناء المظاهرة أمام السجن ، عقد أحد أتباع اللوبافيتش أمامى مقارنة مثيرة بين قصة التوراة والواقع الحالى قائلا : « لقد بيع يوسف بمعرفة اخوته ، واليوم يباع مرة أخرى لأيد أجنبية بمعرفة الحكومة الاسرائيلية » .

وهذه اللغة التى تختلط فيها قصص التوراة بالادانة المستمرة للسياسة الاسرائيلية ، تضايق بشكل متزايد السكان الاسرائيليين المعتدلين الذين يفضلون العيش فى سلام عن حالة النشوة السامية بالنصوص المقدسة ، ويحضرنى هنا ما قاله لى روجيه المولود بالمغرب : « لقد مللت من قضاء فترة الخدمة الاحتياطية لى فى حماية هؤلاء الحاليين ، الذين يعرضون انفسهم للخطر وسط الفلسطينيين ، ان لدى ثلاثة أطفال ولا مانع لدى من المخاطرة بحياتى دفاعا عن البلاد ، وليس من أجل السماح لبعض طلبة اليشيفا أن يشبعوا أحلامهم باسرائيل الكبرى » .

وبعد بضعة أيام من القبض على الحاخام جنسبرج ، حضرت سهرة فى كفار هاباد مدينة اللوبافيتش باسرائيل ، وافتتحت السهرة بشكل كلاسيكى بحديث عن الخلاص ونهاية العالم المقاه عالم روسى عجوز ممن تخلوا عن المادية الشيوعية، ثم تلا ذلك عرض شريط فيديو قديم حيث يكرر حاخام اللوبافيتش ، الذى توفى فى ١٩٩٤ والذى لا زال الأستاذ المطلق لجميع هؤلاء الحسيديين ، يكرر توصيته بشأن وحدة أرض اسرائيل ثم يبدأ أغنية تردها معه جماعة صغيرة من المريدين بحرارة ، مع التصفيق بالأيدي والدق بالأرجل وأعينهم معلقة بالشاشة . وبعد ذلك نصل إلى النقطة الحاسمة فى الاجتماع وهى الخطاب السياسى لمناحم جوراي عضو مجلس القرى اليهودية ليهودا والسمامرة ، واليمين الاسرائيلي يستغل ببراعة هؤلاء المؤمنين الذين ينغمسون فى التطرف السياسى ، وهو

يتحالف مع كل الحركات الدينية الممكنة ، ويصور نفسه على أنه يسير بأمانة في طريق التوراة ويقف أمام اليسار الذي يصفه ككتلة واحدة معادية للدين مستعدة لبيع النصوص القديمة مقابل قصاصة ورق عليها توقيع عرفات . وبطاقته المشغولة ولحيته القصيرة لا يشبه السيد « جوراي اللوبافيتش » ، ولكنه يعرف كيف يخرج من هذا الاجتماع بتأييد حقيقى لسياسته في زرع السكان في يهودا والسامرة والاحتفاظ بها ، يقول :

« اننى اناضل من أجل حكومة يهودية تحترم التوراة بطريقة تمنع الفرار من الحاضر ، فحتى القدس أصبحت في خطر ، فقد جاء في الاتفاقات أن مستقبل القدس محل تفاوض ! » .

وأخيراً يقف الحاخام دافيد ليسلباوم — أحد كبار المسئولين اللوبافيتش في إسرائيل — قائلاً : « انه ليس الحاخام جنسبرج هو الذى قبض عليه ، بل انه حاخام اللوبافيتش نفسه ، انها حرب ضد اليهودية ، انه صراع بين النور والظلمة ! » .

وأخيراً يتحدث الحاخام دافيد ليسلباوم أحد كبار المسئولين اللوبافيتش عن أن اليمين الإسرائيلى يمثل الايمان الحقيقى ، وعن ضرورة شن الحرب ضد غير المتدينين ، كما يدعو الى تمجيد المتطرفين المعتقلين .

وقد أفرج عن الحاخام جنسبرج بعد تسعة عشر يوماً ، مما سمح له بالتوجه الى بروكلين ، حيث راح يتبخر أمام مجموعة من الحسيديين محاطاً بهالة البطل والشهيد قائلاً : « لقد تم الافراج عنى بفضل جهود العديد من اليهود الذين احدثوا ضجة هناك ، ولكن العامل المركزى الذى وحد الجهود لكسب هذه المعركة كان حاخام اللوبافيتش » (٢) .

وحتى القبض على اسحق جنسبرج ، كانت حركة اللوبافيتش تعتبر بصفة عامة حركة هادئة ومسالمة ذات اتجاه غيبى ، تعمل ببساطة على كسب الاتباع في العالم اليهودى وتحلم ببراءة بقرب مجىء المسيح المخلص، ولكن سجن حاخام شكيم نابلس —الأصولى دفع أتباع اللوبافيتش

الأكثر حماساً الى كشف القناع ، لأن عملية تعظيم الحاخام جنسبرج لم تكن انحرافاً عن اتجاهات الحركة ، وإنما كانت بالعكس النتيجة المنطقية للتوجه السياسى الذى وضعه من أوائل السبعينيات الحاخام مناحم شتيرسون الزعيم القوى لحسيديى اللوبافيتش .

ودون أن يغادر مسكنه فى نيويورك ، أخذ الحاخام يرسل الوصية تلو الوصية لحكام اسرائيل يدعوهم الى عدم التخلي عن شبر من الأرض المقدسة، وداعياً اليهود الى الاسنيطان فى يهودا والسامرة . ومع ذلك ، فالحماس الشديد للحاخام للتدخل فى لعبة الأحزاب الاسرائيلية ، كان مدعاة لاستغراب أتباع اللوبافيتش الأكثر خضوعاً فمئذ ظهور الصهيونية فى القرن التاسع عشر كانت الحركة الحسيدية تعارض بعنف الرغبة السياسية اليهودية فى الرجوع للأرض المقدسة ، تاركة للرب وللمسيح الذى سيرسله أن يعيد المنفيين الى وطنهم .

وفى باريس ، يحلل الحاخام بنحاس باشتير الذى يدير مركزاً لدراسات اللوبافيتش والمشارك فى تأسيس حركة شباب اللوبافيتش فى فرنسا ، يحلل التشقت بوصفه ظاهرة متعلقة بنهاية العالم تدخل فى اطار التدبير الالهى ، الذى لا تستطيع الإرادة الانسانية أن تؤثر عليه ، ويقول :

« ان المنفى — الجالوت بالعبرية — ليس مجرد ظاهرة جغرافية ، فالمرء لا يكون بالضرورة منفياً لأنه خارج اسرائيل ، كما انه لا يكون بالضرورة غير منفى عندما يكون فى اسرائيل ! ان المنفى فى رأى ورأى من علمونى هو فى الأساس متعلق بالمجال الروحى ، ان المرء يكون منفياً بالنسبة لذاته أو بالنسبة لروحه أو بالنسبة ليهوديته ، ان الله منفى بالنسبة لنا ، أو العالم منفى بالنسبة لله . . . ان حالة المنفى تظهر عندما يكون الجسم والروح ، أو العالم والخالق ليسا فى حالة اتفاق ، اعتقد ان المنفى هو ظاهرة مفروضة من أعلى ، مرحلة علينا أن نمر بها . . . لقد فرض المنفى كعازل من الرصاص فوق الوجود اليهودى ووجود العالم بصفة عامة » .

وسألت الحاخام باشتير اذا كانت التقاليد اليهودية تتحدث عن الهجرة الجماعية للشعب اليهودى الى القدس . . . فأجاب : « لم أسمع

أبدا عن ذلك لا من الحاخام ولا من أى من الحكماء ، انهم لم يتحدثوا أبداً عن هجرة جماعية وانما عن هجرة فردية ، والتقاليد لا تتحدث عن هجرة جماعية إلا فى لحظات محددة من التاريخ ، مثل حالة العودى من بابل مثلا . وبالمطبع وجه هذا السؤال للحاخام فأجاب بأن الإشارة الى الهجرة الى اسرائيل ، وردت فى الفصل الأخير من الكتاب الأخير من الشولحان عاروخ — قانون الشريعة — وهذا يعنى ان المرء يتوجه الى اسرائيل بعد اتهام كل الواجبات ، أى بعد الانتهاء من مدرسة المنفى ، أى أنه بعد اجتياز كل الاختبارات هنا نصل بشكل طبيعى الى اسرائيل . . ولكن لو وضعنا اسرائيل قبل الأولويات الروحية الأخرى ، فاننا نكون يهودا متخلين عن يهوديتهم ، يهودا يستخدمون اسرائيل كحجة للتخلي عن كل شيء آخر ، أو يرفضون التوراة من أجل الهجرة . . وهذا يعنى فقدان الايمان بالهجرة اليهودية ، يعنى فقدان الايمان بالخلاص عن طريق المسيح المنتظر ووضع كل الأمل فى الخلاص السياسى . . وياله من جنون ! » .

يعتبر مويز — كلود جورنو من الشخصيات التقليدية فى شارع دى روزييه ، فمئذ مجيئه من تونس الى باريس وعمره سنة واحدة لم يغادر حتى ماريه اليهودى أبداً ، وهو يملك مطعماً يؤمه السياح الذين يريدون أطعمة ذات طابع يديش وكذلك الأرثوذكس الذين يريدون تناول تلك الأطعمة التى تحلها الشريعة اليهودية ، ومع أنه يلبس طاقية سوداء بدلا من القبعة الكبيرة السوداء للحسيديين ، الا أنه لا يخفى اتجاهات اللوباغيتش ، يقول : « لا شيء يخرج اليهودى اليوم أكثر من دولة اسرائيل ، ان اسرائيل مسمار ينخس فى لحم اليهود ، ان الصهيونيين هم قوم فهموا أخيراً أنه ليس من الممكن اليوم أن يكون لنا دولة . . . » .

وعلى الرغم من حديث الحاخام والخطب ذات الطابع المعادى للصهيونية ، فان الحسيديية لم يكن لها منذ نشأتها دور فى دهاليز السياسة ، ففي أوروبا الشرقية فى القرن الثامن عشر أثار هذا التيار الذى يبشر بالفرح مع حرارة الدين حماس جماهير اليهود ، ولكنه لم

يلبث أن انقسم الى العديد من التيارات الصغيرة يتجمع كل واحد منها حول حاخام وصف بالحكمة والقدرات الخارقة كالقدرة على شفاء المرضى أو التنبؤ بالمستقبل أو التحدث الى الله ، وكل كنيس منها يتمسك بقدرات معلمه وينسج حوله أسطورة مخلصة من المعجزات ، التي بضيف اليها كل جيل مزيدا من اللآلئ ترصع التاج المجيد .

أسس شنيور زالمان من « ليادى » حركة « حيد » الحسيديدي (الحروف الأولى من كلمات الحكمة والذكاء والمعرفة باللغة العبرية) ، واستقر خلفه في مدينة لوبافيتش الصغيرة في روسيا البيضاء والتي بقيت مقراً للحركة طوال قرن كامل . ويشرح جرشوم شوليم المؤرخ الكبير للفكر اليهودي الاضافة التي قدمتها حركة حيد للفلسفة الدينية قائلا : « ان ما يميز كتابات مدرسة حيد هو ذلك الخليط الغريب من التعبد الحماسي لله والتمسك بمذهب ألوهية الكون من جهة ، مع الاهتمام الشديد بالنفس الانسانية واتجاهاتها من جهة أخرى » (٤) ، وهذا معناه أنه من الخطأ الحكم على الطابع الروحي للحيد تاريخياً على أساس اهتماماتها الحالية ، التي تتلخص في المسيانية العالمية وهداية اليهود والتكامل الاقليمي في اسرائيل .

وبعد وفاة أول حاخام لحركة حيد في ١٨١٢ ، انتقلت الزعامة الى ابنه ثم الى ابن الابن وهكذا ظهرت عائلة مالكة فعلية ، وهربا من اضطهادات القيصرية ثم من اضطرابات الحرب العالمية الأولى انتقلت نواة الحيد أولا الى ريجا ثم الى قارسوفيا ، وحدث أن أحد حاخامات الجماعة لم يكن له ابن فكر فزوج ابنته الى ابن أخته مناحم وسماه وريثا له . وفي ١٩٤٠ هرب من بولندا التي احتلها النازي الى بروكلين ، وفي العام التالي طلب من زوج ابنته أن يقطع دراسته في السوربون وينضم اليه ؛ لمساعدته في إعادة بناء الحسيديية ، وبعد وفاة الحاخام في ١٩٥٠ حصل مناحم شنيرسون مكانه . وسرعان ما برز بعمق علمه وقدرته التنظيمية وشخصيته الكاريزمية القادرة على اجتذاب الجماهير ، وجعل من حركته جزءا أساسيا من اليهودية الحديثة ، وحول الملكة الحسيديية الصغيرة الى امبراطورية حقيقية لها صحفها ومدارسها ودار النشر الخاصة بها وفروعها المنتشرة في أنحاء العالم .

وفى الماضى كانت كثرة الحاخامات ذوى الكرامات فى قرى أوروبا الشرقية سببا فى حد ذاتها للحد من تأثيرهم داخل الحلقة الصغيرة فى مدينتهم ، ولكن المركزية التى حلت محل اليهودية الريفية وتركيز جماهير اليهود فى العواصم الكبرى ، وكذلك نمو أدوات الاتصال مثل التسجيلات الصوتية والفيديو وغيرها ، سمحت لحاخام اللوبافيتش أن يمد تأثيره الى جماهير غفيرة .

بدأت المغامرة الفرنسية لحركة حيد (*) بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، فقد نجح أتباع اللوبافيتش الذين نجوا من اضطهاد النازى وستالين فى ترك الاتحاد السوفيتى ، وكانوا يهرون بباريس وان كانوا لا يبقون فيها ، فقد كان لمدينة النور سمعة سيئة لدى العالم الدينى فى تلك الحقبة ، اذ كانوا يعتبرونها بابل العصر الحديث . كان يقال أيامها ان باريس مدينة مقدسة جدا لأن كل اليهود الذين يهرون بها يتركسون قداساتهم فيها ! ولذلك كان الحسيديون يبحثون عن ملجأ آخر اقل تحررا ويذهبون الى الولايات المتحدة أو انجلترا أو اسرائيل ، ولكن الحاخام الجديد الذى كان يعرف باريس جيدا طلب من بعض العائلات أن تستقر فى باريس ؛ لأنه كانت هناك مهمة تنتظرهم وهى إعادة بناء الجماعة فى فرنسا .

ولم تلبث أن انشئت يشيفا فى برونوا فى المنطقة الباريسية ، ولكن هذا المركز الدراسى بقى على هامش المجتمع الفرنسى ، اذ كان طلبته يعيشون فى عالمهم الخاص ويتحدثون فيما بينهم اليديش أو الروسية أو البولونية ...

ومر جيل ، وولد لهذه العائلات أبناء ، وحتى اذا لم يندمجوا شيئا فى المجتمع اليهودى فى باريس الكبرى ، الا أنهم كانوا على الأقل

(*) ترفع هذه الحركة شعارات وحدة اسرائيل ، وضرورة تقريب القلوب بين اليهود ، ووحدة اسم التوراة ، وتقوية التراث اليهودى من أجل وحدة الشعب اليهودى .
 أما على الصعيد السياسى فقد اعتبرت الحركة نفسها حركة يهودية غير حزبية ، غير أنها تدعو الى اتباع سياسة حازمة تجاه العرب ، وهى تؤيد فكرة « أرض اسرائيل الكاملة » .
 (المراجع)

يتحدثون الفرنسية بدرجة ما من الاتقان . وقد طلب الحاخام من واحد منهم كان قد توجه للولايات المتحدة لاتهام دراسته الدينية ، أن يعود الى باريس في ١٩٦٥ ليتولى شئون الشباب اليهودي ، وابتداء من هذا التاريخ اخذت حركة اللوبافيتش في التوسع وفرضت نفسها .

وكانت سنة ١٩٦٥ تمثل مرحلة ذات طبيعة خاصة ، مرحلة تغيرات وتشككات وتمزقات ، فقد كانت مرحلة الهجرة الجماعية ليهود شمال افريقيا السيفارديين ، والكثيرون منهم وجدوا في الحسيدية ذلك النوع من اليهودية المختلط بالغيبية والخرافات والذي كانوا يعرفونه في الجزائر وتونس ومراكش .

وفي الواقع ، فان الحسيدية الروسية — البولندية أقرب ، رغم البعد الجغرافي ، الى السيفارديين منها الى الاشكينازيين الألمان أو الألمان ، الذين يتناولون ايمانهم بطريقة عقلانية ويرفضون الغيبيات بشدة . أما الثقافة السيفاردية بقديسيها صناع المعجزات والتائم السحرية والاخلاص الملى بالفرح فكان طبيعيا أن تلتقى بالحسيدية ، ويهود شمال افريقيا الذين نقدوا الاتجاه في المنفى الجديد لم يجدوا في العاصمة نقط ارتكازهم الطبيعية ، اذ لم يجدوا فيها مجتمعا مغلقا على نفسه ولا حياة دينية يومية ولا حجا الى قبور الاولياء ، فقد وجد اليهودي السيفاردي نفسه نجاة في عالم مفتوح حيث كثيرا ما يكون الدين مجرد اخلاص فائز لايمان الاجداد أو ذكرى من الماضي ، ولذلك تبني الكثير من السيفارديين بارتياح أساليب اللوبافيتش بصفتها اطاراً لأدائهم للشعائر .

يقول حايم نيسنباوم الموظف الكبير في وزارة العمل والمتحدث باسم حركة اللوبافيتش في فرنسا : « مما له مغزى أن أغلبية المنضمين الى حركة اللوبافيتش كانوا من شباب السيفارديين ، فقد ابتعدوا عن جذورهم الثقافية بدرجة تكفي ألا يروا في الحسيدية عادات غريبة واردة من أوروبا الوسطى ، ولكنهم لم يبتعدوا عن التقاليد الدينية بالدرجة التي تجعلهم يرون في اليهودية المحافظة على الشعائر مجموعة من الشعائر التديبة التي لا تهمهم ، لقد قبلوا الحسيدية كما هي بصفتها مدرسة للفكر

منفصلة عن التغيرات التاريخية - الثقافية وتبنوا كل أشكالها حتى الملابس ، وبالطبع لا تعنى البدلة التى نلبسها أى ارتباط ثقافى محدد جغرافيا ، وانما هى رمز روحى فقد ارتدى حكماء ميجلون مثل هذه الملابس

ومن بين المائة ألف لوبافيتش الموزعين فى أنحاء العالم يوجد حوالى عشرين ألفاً منهم فى فرنسا يكونون جماعات مستقلة تماماً تصلها التوجيهات من بروكلين ، على الأقل حتى موت الحاخام ، ومجموعات اللوبافيتش موزعة طبعاً فى المدن الكبرى ولكنها توجد كذلك حتى فى قلب الضواحي ، وفى أحد الأركان الأكثر فقراً فى سين - سان - دينى حيث البطالة والمخدرات تبدو المستقبل الوحيد للشباب ، وفى وسط عمارات الاسكان الشعبى التى لا قلب لها ، تظهر لامتة معلقة بين شبكى بيت لوبافيتش ، فقد حولت عائلة من شمال أفريقيا شقتها الى ملجأ روحى للنفوس التائهة ، وفى ظل أسوأ الظروف يحاول اتباع حركة حيد هؤلاء أن يوجهوا الاطفال اليهود فى هذه الضاحية الى الممارسة الدينية ، على أمل إبعادهم عن الانحراف .

وكان لتأسيس دولة إسرائيل دور رئيسى فى تدويل هذه الحركة ، فبعد الحرب العالمية مباشرة بنيت قرية اللوبافيتش بالكامل فيما كان آنذاك فلسطين للبريطانية ، وتوسع التجمع وهو يضم صفاً من اليتيميات والمدارس تحت صورة الحاخام ، بل انهم أقاموا نموذجاً بالحجم الطبيعى لقر إقامة الحاخام فى نيويورك بأمل حضوره يوماً ما لإسرائيل ، ولكنه حتى النفس الأخير كان يرفض بعناد أن يضع قدمه على أرض إسرائيل خوفاً ولا شك أن يمنح وجوده القداسة لدولة علمانية أكثر مما يجب .

وهذا الاخلاص للتقاليد الحسيدية لم يمنع الحاخام من التدخل فى الصراعات السياسية الإسرائيلية ، وأول مرة تدخل فيها كانت بخصوص مشكلة أثارت ضيق العالم الأرثوذكسى ومضمونها هو السؤال : من هو اليهودى ؟ وفى ٥ يوليو ١٩٥٠ أقر الكنيست قانون العودة وهو المبدأ الأساسى بل المبرر لقيام الدولة اليهودية : « كل يهودى له الحق فى الهجرة

الى الوطن التاريخى لشعب اسرائيل « وبقي أن يتم تعريف اليهودى ، وهنا بدأت المشاكل . فبن جوريون اراد أن يعطى أوسع تعريف ممكن وحدد : « أى شخص يعلن بكل امانة أنه يهودى يجب اعتباره يهوديا ، ولن يطلب منه أى اثبات آخر لهذه الحقيقة » ؛ ولكن هذا لم يرق للأحزاب الدينية فدخلوا مباشرة فى صراع ضد هذا التعريف المتساهل جدا ، والذي يلغى ببساطة المبادئ الصارمة التى تقضى بأن الشخص اليهودى هو المولود لأم يهودية أو الذى اعتنق اليهودية طبقا للشريعة اليهودية . وفى ١٩٧٠ ، وفى محاولة لقفل باب الخلاف أدخلت الحكومة الاسرائيلية تعديلا على قانون العودة كالاتى : « يعتبر يهوديا كل من ولد لأم يهودية أو اعتنق اليهودية ولا ينتمى لأية ديانة أخرى » وهذه القاعدة الجديدة والتى لازالت سارية تثير غضب الأرثوذكس ، فتحت ستار مظهرها المتمشى مع الدين يمكن أن تظهر جميع التيارات الاصلاحية ، فاعتناق اليهودية لا يشترط أى ضمان شعائرى ويمكن لأى حاخام أن يتبع الاجراءات التى تروق له بقدر تقواه الخاصة . ولقاومة هذه الليبرالية وقف حاخام اللوبافيتش على رأس حملة تطلب من المشرعين اضافة ثلاث كلمات : « يعتبر يهوديا كل من ولد لأم يهودية أو اعتنق اليهودية طبقاً لقواعد الشريعة » . وهذه الكلمات الثلاث تستبعد من المجال القانونى كل الجماعات الاصلاحية ، وهى مشكلة لا تؤثر كثيرا فى اسرائيل حيث لا تمثل هذه الجماعات الا اقلية صغيرة جدا ، ولكنها تمس الصراع اليهودى - اليهودى فى الولايات المتحدة ، حيث يمثل الاتجاه الإصلاحي تياراً كبيراً داخل الطائفة . ولكن جهود الحاخام باعت بالفشل ؛ لان أية حكومة اسرائيلية لا تريد أن تتحمل مسئولية انقسام مع جزء كبير من اليهودية الأمريكية .

وخاض الحاخام معركة أخرى بشأن مصير الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، فقد جعل من الوجود اليهودى فى يهودا والسامرة مبدأ وعقيدة ، وفى القدس استمعوا اليه بعض الوقت ، وأخذ بعض وزراء مناخم بيجن واسحق شامير يمرون على رقم ٧٧٠ شارع ايسترن باركواى مركز اللوبافيتش . وفى كل مرة يكرر الحاخام تعاليمه بنظرته الأبوية وصوته الهادىء وصورته المدعاة كأستاذ اليهودية العالمية والمستشار السرى لدولة اسرائيل ، فيأمر ويطلب . ومن بروكلين كان الحاخام على استعداد

للقتال حتى آخر إسرائيلى : « انهم يتحدثون عن برنامج لمدة خمس سنوات لتحقيق ما يسمونه الحكم الذاتى ، ولكن ليس مهما التسمية ففى الواقع تتعارض هذه المشروعات مع الوصية الصريحة للتوراة التى تقول : « لا تقطع لهم (لغير اليهود) عهداً ولا تشفق عليهم » . وعلى ذلك فمن المحذور اعادة أية قطعة ولو صغيرة من ارض اسرائيل » .

وهنا ايضاً ضاع صوت استاذ حركة حبد فى البرية ، فعلى الرغم من الخطب المتكررة والالاحاح على التأكيد على رفض اعادة أى جزء ، بما فى ذلك سيناء ، فقد وقع مناحم بيجن - الذى كان يحب أن يظهر على أنه قريب من فكر اللوبافيتش - فى ١٩٧٩ مع انور السادات على الاتفاقية التى أعاد بمقتضاها سيناء الى مصر .

وقد وجد الحاخام نفسه فى تناقض بين رغبته فى التأثير على السياسة الاسرائيلية مع التمسك بالتقاليد الحسيدية المعادية للصهيونية ، وللخروج من المأزق حرق القضية بادعاء أن ضرورة الاحتفاظ بالأراضى المحتلة لا تنبع من أى شكل من التأييد لدولة بعيدة عن طريق التوراة ، وانما من مجرد الرغبة فى الحفاظ على الحياة الانسانية ، ففى رأى الحاخام ، يؤدى ارجاع هذه الأراضى الى تعريض شعب اسرائيل الى خطر يفوق خطر الاحتفاظ بها ، وأعلن لكل من يهمه الأمر أنه أخذ رأى كوكبة من القادة العسكريين وأنهم جميعاً أيدوا هذا الرأى . وبناء على هذه النظرية قام بحملة انتخابية نشطة فى ١٩٨٨ تأييدا لحركة أجودات اسرائيل الدينية ، ودفع مليون دولار لخزينة هذا الحزب وأعطى تعهداً كتابياً بمنح بركته لكل من يعطى صوته له ! ونتيجة لهذه الاجراءات ارتفع عدد نواب حزب أجودات اسرائيل بشكل مفرح ، ليؤسس حزبا جديداً هو ديجيل هاتوراه . والخلاف بين شنيرسون وشاخ لا ينبع من التناقض التقليدى بين المدرستين الحسيدية والليتوانية فقط ، وانما كذلك بسبب الصراع على الاعتمادات التى تخصصها دولة اسرائيل للهيئات الدينية . وفى ١٩٩٠ تدخل الحاخام مرة أخرى لمنع الأحزاب الدينية من تكوين اغلبيه تساند حكومة يسارية ، وفى ١٩٩٦ اختارت حركة حيد ، رسمياً ، معسكر بنيامين نتنياهو وقامت بحملة انتخابية

لمصلحة المرشح الوحيد « الصالح لليهود » وهو شعار استهجنه جزء كبير من الرأى العام ؛ لأنه استبعد من مجموع المواطنين اليسار وكذلك كل عرب اسرائيل .

ومع الانخراط فى السياسة ، اخذت حركة اللوبافيتش اتجاهاً يشير بعودة المسيح المنتظر القريبة ، وفى ظل الاعلان عن قرب نهاية العالم والخلص العام ، اعطى الحاخام نفسه الحق فى الاشتراك فى كل الحملات الانتخابية فى اسرائيل ، فقد أصبحت القضية الأساسية هى اعلان قرب مجيء المسيح المنتظر واعداد الأرض اليهودية لاستقبال « مسيح الرب » . ولتحقيق هذه النبوءة أصبح من الضرورى الاهتمام بشئون الانسانية البائسة وهدايتها الى طريق الحقيقة ، وبمرور الأعوام غطت هذه الرؤية على كل ما عداها .

وحيث انهم اعلنوا عن قرب مجيء المسيح المنتظر ، فقد أصبح اتباع اللوبافيتش جنود جيش المسيح المنتظر العظيم فى جميع انحاء العالم وكل جهودهم تعمل على الاسراع بمجىء مخلص الانسانية ، وانطلق الرجال لابسو السواد فى نيويورك ولندن وباريس وكذلك فى مدريد وجنيف يفزون احياء اليهود ويدفعون الناس الى العودة الى الدين ، مما سيسرع بلحظة الرؤيا السامية .

ومن مقره فى بروكلين أخذ الحاخام يوجه جنوده ويلهمهم ، وحضر اتباعه من كل انحاء العالم طلبا لارشاداته ، والبعض منهم يطلب الاذن بالزواج من آنسة معينة ويعطى الحاخام قراره بالقبول أو الرفض دون اية معرفة بالآنسة المعينة . وتلتف امواج من التبععات السوداء حول الحاخام الذى أصبح شخصية أسطورية والكل يحاول ان يقترب منه او يحادثه بكلمتين أو ان ينال نظرة أو كلمة ربما . . . والقوم يغنون ويرقصون تحت نظراته المشجعة واشاراته الموجهة ، والكل يطلب حمايته ويوزعون بركاته حول العالم على شكل زجاجة نبيذ أو قطعة جاتوه باركها الحاخام ، وكل نقطة نبيذ تضاف الى زجاجة أخرى ، أو قطعة من الجاتوه توضع فى كمكة جديدة تضاعف بركات الحاخام الى ما لا نهاية .

وسرعان ما انتشرت القصص العجيبة والتي تشير جميعها الى
 اصبع الرب فوق الحاخام ، فعندما كان عمره خمسة أعوام همى مناحم
 الصغير الجماعة اليهودية في نيكولايف في روسيا القيصرية من مذبحه
 كبرى ، فقد هذا بحديثه اللطيف ومحبه بكاء طفل عمره ثلاث سنوات
 كان صراخه سيجتذب جنود القوزاق ٠٠٠ وله معرفة ، عبقرية ، بالعلوم
 والرياضيات وقد حصل على عدة « شهادات دكتوراه » من السوربيون . .
 وهذه المعرفة العميقة — حقيقية كانت او مفترضة — سمحت للحاخام
 أن يعلن ببساطة أن دراساته العلمية تؤكد أن العالم قد خلق فعلا منذ
 خمسة آلاف وسبعمائة سنة كما تقول التقاليد اليهودية ، وعندما سأله أحد
 أتباعه عن مغزى الحفريات أجاب مناحم شنيرسون :

« يمكننا أن نتقبل فكرة أن الله خلق الحفريات بحالتها الراهنة ،
 ولا نعرف لماذا خلق الله الحفريات كما لا نعرف لماذا خلق الذرات » (٦) .

ويمنظره المهيب ولحيته البيضاء ظهر لجندى اسرائيلى أسره
 المصريون في سيناء في أوائل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وطمانه بأنه سيعود قريباً
 الى بيته وقال له : « إذا لزم الأمر فسأحضر بنفسى لانقاذك » . وهو يتنبأ
 بالمستقبل ويتحدث برسائل يجب انتظار مرور الزمن لفهمها ، وفي إحدى
 المرات نطق أمام إحدى الزائرات بالآتى : « لا تقلقى بشأن ابنتك ، . . .
 وبعد بضعة أيام كانت الابنة المذكورة وهى طالبة تدرس في اسرائيل
 في موقع القيت فيه قبلة ارهابية ، وطبقاً لنبوذة الحاخام لم تصب
 الا باصابات طفيفة » .

ان تاريخ الحسيدية ملئ بالتحايلات صنع المعجزات ويعتبر تاريخ
 حياة مناحم شنيرسون الخيالى هذا جزءاً من هذه التقاليد الدينية ،
 ولكن الأمور بدأت تتسارع وتعتقد ابتداء من أوائل التسعينيات ، اذ لم
 يعد يكفى انتظار مسيح منتظر حسب احلامهم ، بل بدعوا يعطونه شكلاً
 واسماً وهو الحاخام . وفي أول الأمر ترك أتباعه ينظرون اليه على أنه المسيح
 المنتظر المتجسد وذلك دون مقاومة منه لكبر سنه ، الا أنه لم يلبث أن أخذ
 يشجعهم في هذا الخطاب بل ويشارك فيه ، وبعد قليل أصيب بفقدان

النطق بعد جلطة دماغية ، وفقد القدرة على القاء تعاليمه أو قيادة أتباعه؛
مما سمح بكل أنواع التوقعات .

وهذه النزعة المسيانية أخافت بقية الحركات الأرثوذكسية ، ويحكى
ان أحد الطلبة سأل يوما الحاخام شاخ عن أقرب الديانات الى اليهودية،
فاجابه بغير قليل من السخرية : « انها حركة حيد ! » .

ويشرح الحاخام باشقر هذا الاتجاه لحركة اللوبافيتش قائلا :
« لقد كان الحاخام دوما رجلا متزنا يعتنى بكل كلمة ويقدر التخريجات
والتفسيرات الممكنة ، وقبل ١٩٩٠ لم يسمح أبدا بالحديث عن شخصية
المسيح المنتظر ، وفجأة انفتحت كل البوابات ولم يكتف بالسماح بتسميته
المسيح المنتظر ، وانما شجع ذلك الخطاب ، مؤكدا أنه يمثل الجيل السابع
بعد مؤسس حركة حيد . ومعروف أن الجيل السابع كان دائما مفضلا في
تاريخ اليهودية ، فموسى جاء بعد سبعة أجيال من ابراهيم . . كذلك قال
الحاخام انه قد جاء ليعيد وجود الله على الأرض بصفة نهائية ويحقق
الخلاص ، وهى كلمات خطيرة ، وقد مرت سنتان ونصف على هذا
الوضع والحاخام يتحدث كل سبت بخلاف أيام الأعياد ، ولا يمكن
والحال كذلك أن يقال ان الحسيديين قد امتلأت رؤوسهم بالحديث عن
المسيح المنتظر من تلقاء ذواتهم أو انهم اخترعوا هذا الخطاب ! » .

ولبضعة أعوام انتظر عالم اللوبافيتش اعلان شخصية ذلك الذى
اطلق عليه اسم الملك - المسيح المنتظر . وفى يوليو ١٩٩٤ دفعت
وفاة الحاخام بالحسيديين الى الرعب واليأس ، وتصور البعض أنه
سيقوم من الموت ويظهر على العالم بلباسه الأبيض ، وفى مدافن
كوين حيث كانوا يستعدون لدفنه وقف بغض الأتباع يصرخون : لقد
جاءت ساعة الخلاص ، ان نهاية العالم اليوم . . . ولكن شيئا لم يحدث
وغطى التراب النعش .

ومنذ ذلك اليوم المشؤم لم يعرف المقر رقم ٧٧٠ شارع ايسترن
باركواى النشاط القديم ، ولم تعد طائرات الشارتر تأتي الى نيويورك
حاملة نهر الأتباع من كل انحاء العالم ، وعلى بعد خطوات من

مقر الأستاذ أغلق الفندق الذى كان يستقبل الزوار لابسى السواد أبوابه ، وبدأت صورة الحاخام المرسومة على سقف صالة الاستقبال تتقشر ، والصور المرسومة على الجدران يعلوها القراب ، والغرف الخالية من الزبائن أخذت تتدهور فى حالة من نهاية للعالم مصفرة على مستوى كراون هايتس الحى فى بروكلين الذى يسكنه اللوبافيتش * ولكن فى الشوارع لازال الأمل موجودا ، فصورة الحاخام باقية فى نوافذ المحلات وفى المغسلة كما فى المكتبة ، وبائعة الخبز التى شعرها الأشقر بلون خبز القرعة الذى تبيعه ، تحكى قصص المعجزات التى صنعها المعلم ، وتعترف بأنها تذهب الى قبره تستمد منه العون عندما تتأزم الأحوال .

وقد ظهر تياران فى داخل الحركة التى فقدت سلطتها العليا وهما : تيار انتظار المسيح المنتظر وهو ينتظر قيامة الحاخام من الموت قريبا ، وتيار واقعى يتحدث لغة أكثر اتزاناً . ويحاول حايم نيسنباوم أن يضع اختفاء الحاخام فى إطار منظور أوسع .

« ان وفاة الحاخام كانت حدثا شديداً وقع ولكنها لا تؤثر على انتظار مجيء المسيح المنتظر ، وهذا الانتظار هو أحد أسس اليهودية وكان موجودا قبل ظهور حركة اللوبافيتش ولا زال موجودا اليوم ، وفضلا عن ذلك فقد أكد الحاخام كثيراً على قرب مجيء المسيح المنتظر وهذه رسالة ذات مغزى ، فقد أكد قرب مجيء المسيح المنتظر ثم اختفى ، فلماذا نتعرض لهذه التجربة المزدوجة ؟ اننا نعتقد أنه اذا كان الحاخام قد الح على اعلان مجيء المسيح المنتظر وطلب منا الاستعداد لذلك المجيء ، وبذل مجهود اضافى لتقريب هذا الهدف ، فإن هذا معناه أنه لم يبق الكثير على تحقيقه . لقد ساد فى السنوات الأخيرة الفكر القائل : اطلبوا المسيح المنتظر باخلاص وهو سيستجيب لكم ويجيء ، والتلمود يؤكد أن كل عمل ايجابى وكل وصية تنفذ تقرب من وقت مجيء المسيح المنتظر . لقد اعتقد الكثيرون أن الحاخام نفسه هو المسيح المنتظر ولكن حركة اللوبافيتش لم تؤيد مطلقاً هذه الفكرة . لقد حدد ابن ميمون (*) المفسر

(*) ابن ميمون : يعد موسى بن ميمون واحداً من أهم فلاسفة اليهود فى العصور الوسطى . وشغل ابن ميمون هذه المكانة ليس لغزارة انتاجه الذى شمل كافة مجالات المعرفة وانما لأن أعماله تمثل حلقة الوصل الأولى بين الشريعة والفلسفة . ويعد كتاب دلالة الحائرين الذى أصدره فى عام ١١٩٠ من أهم أعماله . وقد تأثر فى هذا العمل بفلسفة كل من الفارابى وابن سينا وابن رشد - (المراجع) .

الكبير في القرن الثاني عشر بدقة الصفات التي يجب أن تتوفر في شخصية المسيح المنتظر ، وفي الوائع توفرت بعض هذه الصفات في الحاخام فقد كان من نسل الملك داود ، وقد كرس حياته من أجل اليهودية ودفع الناس الى التمسك بتعاليم التوراة ، وقد خاض حروبا روحية من أجل الله وحقق انتصارات . . . ولكن ابن ميمون أكد أنه حتى لو حقق احدهم كل هذه الصفات ، فإنه لا يمكن التأكد من أنه المسيح المنتظر الا عند انتهاء العملية ، أى عندما يجمع كل الشعب اليهودي في اسرائيل ويعيد بناء الهيكل الثالث ومع الأسف لم تتحقق هذه المرحلة الأخيرة . . . » .

أما الحاخام باشتر فهو أقل حرصاً ويقول مثل أغلب أتباع اللوبافيتش، ان الحركة قد انقسمت الى تيارين : أولئك الذين ينتظرون قيامة الحاخام من الموت قريباً ، وأولئك الذين ينتظرونه ولكن لا يعلنون ذلك خوفاً من الاتهام بالتعصب الأعمى ! « بعد وفاة الحاخام قال البعض ان عملية مجيء المسيح المنتظر قد بدأت وان الحاخام قد يظهر ثانية في أى وقت ، وآخرون صمتوا وأحنوا رؤوسهم بل ويؤكدون ان الحاخام لم يدع في أى وقت أنه المسيح المنتظر . . انى أعرفهم جيداً ويمكننى أن أؤكد لك أن هؤلاء لهم نفس الاعتقاد مثل الأولين ولكنهم يخجلون من الاعتراف بذلك ، ويخشون أن يؤدي ذلك الى عدم الاستماع اليهم بشأن أى موضوعات أخرى ، أما أنا ، فوائق مائة بالمائة من تحقق ما قاله الحاخام ان العملية في طريقها وعندى ثقة تامة بذلك ، اعتبرنى مجنوناً فأنا أطالب بذلك ، أما القوم العقلاء فلا أهمية لهم في نظرى ! » .

وتعبر (بيت ماشيح) وهى مجلة جمعية العمل من أجل مجيء المسيح المنتظر في عدد أبريل ١٩٩٥ عن نفس الثقة العمياء ، وقد نشرت على الغلاف عنواناً عن الاحتفال بعيد الميلاد الثالث والتسعين للحاخام الذى توفي قبلها بعام ، فكتبت تقول : « لقد بدأت عملية الخلاص منذ ثلاث سنوات عندما أعلن الحاخام توقعات صريحة ، وفى الوقت الحالى نجد أنفسنا فى منطقة اضطراب او فى حالة تناقض من نوع ما ، ولذلك فاختفاء الحاخام يجعلنا نشعر بتراجع خطير ، ولكننا فى الواقع على وشك حضور الرؤيا النهائية تلك التى انتظرتها الأجيال السابقة لنا كثيراً » .

قال لى أحد يهود شمال أفريقيا والذي استقر فى إسرائيل وهو واقف أما صورة للهاخام : « لن نعرف ان كان هو المسيح المنتظر الا يوم الرؤيا الا انه أعطانا صورة وهذا هو الشيء المهم » .

وهو حديث قد يدفع أكثر الهاخامات اعتدالا الى الصراخ ، فتقاليد اليهودية كانت ترفض دائما تقديس الصور بصفتها الخطوة الاولى نحو عبادة الأوثان . والهاخام الياهو عوزان ذو الاتجاه الليتوانى المعادى للوبافيتش ينتظر هو الآخر مجيء المسيح المنتظر ولكنه يرغب تسميته ، ويقول : « لقد وضع اللوبافيتش كل أملهم فى الهاخام ، انهم لا ينتظرون مجيء المسيح المنتظر وانما مجيء الهاخام ! ان هذه تمثل نقطة خلاف خطيرة بين اللوبافيتش وبين بقية الأرثوذكس فهم لازالوا يتصورون ان الهاخام حى ، انهم يعتقدون بقيامه من الأموات .. نحن لا نقبل هذا » .

واللوبافيتش يعتبرون كل حدث دليلا على قرب مجيء المسيح المنتظر فقضية الدماء الملوثة وسقوط الشيوعية تشهد باقتراب اليوم الموعود ، وكذلك تبين عودة الكثير من الشباب الى الدين واستيعابهم فى الطائفة اليهودية بأعداد كبيرة قرب مجيء المسيح المنتظر .. وكثيراً ما قيل لى : « ان التلمود يصف ما سيحدث فى مرحلة مجيء المسيح المنتظر وهى تتحدث عن الركود الاقتصادى وانتشار الوقاحة وانتصار الكذابين والفساشين ... وهى أشياء نعيشها كل يوم » .

ويعتمد الحسيديون الذين يعترفون صراحة بانتظار قيامة الهاخام من الأموات ، على تقليد غيبى يقول إن كبار الحكماء لا يموتون حقيقة ، وانه حتى بعد دفنهم ، فان أجسادهم لا تتحلل وتستمر فى الحياة بشكل ما . وجاء فى مجلد كتوفىوت من التلمود ان الهاخام هاكادوخ ، كان طوال سنوات طويلة بعد دفنه ، يقوم من قبره مساء كل يوم جمعة ويتوجه الى عائلته ، حيث يبارك الخبز والنبىذ الذى يفتتحون به يوم السبت المقدس ، وكان يشارك زوجته وأولاده الطعام وهو بملابس العيد ثم يعود الى قبره . يتناقش المفسرون بكل جدية بشأن هذا النص ؛ ولكنهم لا يشككون فى قيام الهاخام هاكادوخ من قبره كل اسبوع ، وانما يختلفون حول ما اذا كانت صلاة رجل ميت ذات فائدة لأقاربه الأحياء أم لا .

والحاخام نفسه أثار عدة مرات موضوع امكانية القيامة من الأموات لبعض الحكماء الكبار وبذلك أجاب مقدماً على المتشككين اذ قال : « على الرغم من أن ترتيب الأمور هو على النحو التالي : مجيء المسيح المنتظر ثم إعادة بناء الهيكل ثم جمع اليهود من المنفى ثم قيامة الأموات ، فإن هذا لا ينفي أن قيامة بعض الأشخاص غير العاديين قد حدثت في الماضي وستحدث قبل عملية الخلاص » .

وفي الماضي ، اتخذ تبشير اللوبافيتش في أوساط اليهود اشكالا متعددة ، فكانوا يطرقون ابواب العائلات ذات الأسماء التي يبدو أنها يهودية ليدعوهم للتمسك بتنفيذ الوصايا ، كما كانوا يستخدمون سيارات نصف نقل صغيرة يسمونها دبابات الايمان تحمل كتباً دينية وأدوات إقامة الشعائر الى الأحياء التي يعيش فيها اليهود البعيدون عن طريق الدين . واليوم لم يعودوا يتصرفون بهذه الدرجة من العدوانية ؛ ولكنهم يستخدمون بالأحرى لغة التهديد والوعيد .

ويعترف حايم نسنباوم قائلاً : « لقد كان الحاخام هو الذي يضمن وحدة الحركة فقد كانت إحدى مهامه دفع الأمور باستمرار واليوم توقفت هذه القوة الدافعة ... ولدينا تعاليمه وتوجيهاته بشأن النشاط على المدى الطويل ولكن لم تعد هناك أفكار جديدة ولا تشجيع ، وعلينا أن نكتشف طريقة جديدة للعمل . وقد نشأت في نيويورك هيئة إدارية صرف لإدارة الحركة وهيئاتها وأموالها ، وفي الواقع ، أدى غياب التوجيه المركزي الى اتجاه متزايد نحو استقلالية الفروع المختلفة ، بما الحل النهائي ؟ نتمنى مجيء المسيح المنتظر ... » .

وسيتعارض الاتجاهان الموجودان في عالم اللوبافيتش في المستقبل أكثر وأكثر ، لأنه لا توجد سلطة يمكن أن تحكم بين دعاة مجيء المسيح المنتظر والبراجماتيين ، وإذا كانوا منقسمين ظاهرياً حول المسيح المنتظر ، فإنهم مختلفون أيضاً - وربما بشكل أكبر - حول السياسة الواجب اتباعها، لدعاة مجيء المسيح يؤيدون بكل قوة الاتجاهات الأشد يمينية في إسرائيل وهم على استعداد للجوء للعنف ، أما البراجماتيون فيكتفون بالصلاة

والرقص حسب التقاليد الحسيدية ولا يتدخلون في تعرجات السياسة الاسرائيلية ، حتى عندما يسجن حاخام لوبافيتش في تل أبيب . ولهذا يرفض حايم نسنباوم ، الذى يمثل تماما التيار البراجماتى فى الأصولية ، قائلا :

« عندما نتحدث عن الأصولية يتبادر الى الذهن فوراً ايران الخمينى اى الرغبة فى الوصول الى الحكم بكل الوسائل وباسم الدين ، ولكن هذه الاستراتيجية لم تكن أبداً من أهداف حركة اللوبافيتش ، فنحن لا نهدف الى الوصول للسلطة فى أى مكان حتى ولا فى اسرائيل ، واليوم يوصف بالأصولية اناس يمارسون الشعائر الدينية ... فهل هذه تهمة ؟ ان حركة اللوبافيتش ليست حركة أصولية ولكنى أدعوها حركة تكاملية فنحن نريد تكامل وصايا التوراة ولكن هذا هو هدف كل يهودى متدين . وبأى مقياس يعتبر الحاخام الأكبر لفرنسا أقل أصولية منا ؟ انه هو أيضاً يلبس قبعة ويربى لحية ... أو هل يعتبر هذا أمراً مقبولاً من حاخام على أنه نوع من مقتضيات الوظيفة ، فى حين أنه يعتبر بالنسبة لليهودى من القاعدة دليلاً على الأصولية ! لا ، ان الأصولية بصفاتها طريقة لاستخدام العنف أو الرغبة فى استخدام الدين لتحقيق أهداف سياسية لا تتماشى مع اليهودية ، ولم يستخدم اللوبافيتش هذه اللغة أبداً ، »

وهو رأى لا يقبله اسمار شورش عميد معهد اللاهوت اليهودى ، الذى أدان أثناء اجتماع فى نيويورك انحرافات المنادين بمجىء المسيح المنتظر ، قائلا :

« ان السبب العميق لاغتيال رابين لا يرجع للخطاب الدينى ولا للارثوذكسية وإنما للمناداة بمجىء المسيح المنتظر ، فهى التى انتشرت بعد حرب الأيام الستة على شكل صيحة النصر على يد حركتى اللوبافيتش وجوش ايمنيم . ان الزحف نحو الخلاص على يد المسيح المنتظر مع التثبيت المرضى بقدسية الأرض يؤدى الى تحريم اعاتها بشكل مطلق ، وهنا تصبح للشريعة اليهودية مكانة أكثر سمواً من مكانة حقوق الإنسان ، كما أن اليهودية تصبح متعارضة مع الديمقراطية » (٧) .

ويتجاهل المنادون بمجىء المسيح المنتظر من أتباع حركة اللويافيتش هذا الهجوم ، ويستمررون في نشر رسالتهم العنيفة ويؤيدون الانجاهات المتطرفة في اليهودية لأنه من الواجب تغيير العالم. وبعد اغتيال رابين بقليل نشر الحاخام باشرت اعلانا مدفوعا على صفحة من مجلة اکتواليته جوف (٨) يحلل فيه عملية الاغتيال ونتائجها جاء فيه :

« وفورا وجه الاتهام الى أحزاب اليمين وبالأخص الدينية حتى ينصب عليها سخط الراى العام ، فخلال أسبوعين أو ثلاثة كانت وسائل الاتصال العالمية تتحدث عن مؤامرة دينية يمينية دبّرت داخل مدارس الحاخامات ... وجو الارهاب هذا يسمح لخليفته شمعون بيريز بالحصول على أغلبية مريحة تسمح بالتعجيل فى خطة التنازلات ، وبذلك يتم التنازل عن « الأراضي » بسرعة غير مسبقة ، وعلى ذلك فمن المستفيد من الجريمة ؟ » .

وبنفس المنطق يعتبر الحاخام باشرت باروخ جولدشتاين من أبطال اليهودية ، وهو يدعى انه يعرف حقيقة قصة القاتل المجنون فى ساحة الأنبياء : فقد كانت هناك مؤامرة من متطرفين عرب لقتل أربعمئة وخمسين يهوديا من المنطقة ٠٠٠ وعندما علم جولدشتاين بهذه المذبحة جرى الى اقرب مركز بوليس ، فأبلغوه أنهم لا يستطيعون التصرف ، وضحك أحدهم قائلا : « أنت بصفتك طبيبا يمكنك العناية بالجرحى ! » .

وهنا اخذ جولدشتاين بنقدية وذهب الى الجامع بالخليل وأطلق النار على المصلين « لينقذ اخوته ! » .

وبالطبع ، فان الأصوات المتعصبة هى التى يعلو صوتها، ولكن حركة اللويافيتش التى فقت قيادتها منذ أكثر من سنتين لا بد أن تزداد انحرافا فى اتجاه التطرف ، فبقدر ما يمر الوقت دون اختيار حاخام جديد تأكد اقتناع الجناح المنادى بمجىء المسيح المنتظر ، بصحة توقعهم لقيامه الحاخام من الموت ، وكلما مر الوقت ، أصبح أكثر صعوبة على الجناح البراجماتى أن يؤكد رسميا موت الحاخام بعملية تكريس رئيس جديد . ومن الصعب

التغلب على هذه المشكلة بسبب أن تقاليد الحسيديين تقتضى بأن ابن الحاخام هو الذى يحل محل آبيه المتوفى ، أو يسمى الحاخام قبل موته من سيحل محله ٠٠٠ ولكن مناحم شنيرسون لم يكن له أبناء ولم يسم خليفته الروحى .

وفى كفار هاباد اخذت هيلينا تردد بلا انقطاع : « ان الحاخام لم يمت ، وكل ما فى الأمر انه اختفى من أمام أعيننا التى لا تستطيع أن تراه ، لا ، لا ، ان الحاخام لم يمت .. » وكلما كررت تأكيداتهما ازدادت انتشاء .

وزيادة فى اقتناعى ، حكى لى القصة التالية التى تتردد فى أوساط الأوبافيتش لبث الراحة فى نفوسهم : فى الليلة التى اختفى فيها المعلم عن عيوننا ، توجه رجل الى قبر والد الحاخام فى مكان ما فى أقاصى روسيا وطلب من الحارس أن يفتح له باب القبر وأخذ يصل على الحائط البارد ٠٠٠ وفى اليوم التالى ذهب الحسيديون الذين أزعجهم خبر وفاة الحاخام الى نفس المكان القصى فى سهوب روسيا ، وطلبوا هم أيضا الدخول الى المقبرة وأوضحوا أنهم يريدون زيارة قبر والد معلمهم ، وقدموا صورة الحاخام لتأكيد قولهم ، ولكن حارس المقبرة صاح قائلاً : « اننى أعرف هذا الرجل ، فقد جاء هنا البارحة واستمر يصلى لعدة ساعات ثم انصرف دون أن ينطق بكلمة ٠٠٠ » .

الفصل السابع

الكلاشنيكوف ونير الرب

او المتطرفون الأمريكيون

يتدرب الشباب وهم يلبسون أقمصّة مرسوم عليها مسدس في وسط نجمة داود وبيريهات زرقاء ، على سباق اختراق الضاحية في ريف نيويورك ، وتسمع طلقات نارية من مجموعة تتدرب على إطلاق النار ، في حين تنصت مجموعة أخرى الى مدرب الكاراتيه ، ويواظب اعضاء منظمة الدفاع اليهودية على هذه التدريبات في نهاية كل أسبوع وهدفهم اثارة رعب «السكينةيز» (ذوى الرؤوس الحليقة) والاسلاميين الملتهين . وقد ابدوا شجاعة ملحوظة في الوقوف موقف النّد من العنصريين البيض في بعض الأحيان ، غفى فبراير ١٩٩٦ نجحوا بمساعدة بعض جماعات السود في تعطيل اجتماع لجماعة الكوكلوكس كلان العنصرية في فلوريدا .

ويشرح موردخاي ليفى ، زعيم المنظمة ، الموقف بالقول بأنه قد مل من جبن زعماء الطائفة الذين يتحدثون بعبارات مهذبة ومدروسة ، مع ان الزمن في رأيه لا يسمح بالتأجيل وانها باللجوء الى القوة لأن العالم يتجه نحو كارثة ، فالفازية الجديدة تشمل الولايات المتحدة في ظل عدم المبالاة العامة ، فضلا عن أن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة تصفى بدرجات مختلفة من الصراحة الأراضي اليهودية وتتنازل عنها للعرب ...

وتعتبر منظمة الدفاع اليهودية بتركيزها المرن على الدفاع الذاتي، وخطابها الصهيوني المتطرف عن اسرائيل الكبرى ، الوريث المباشر لعصبة الدفاع اليهودية التي أنشأها الحاخام مائير كاهانا في ١٩٦٨ . لقد كانت تلك هي المرحلة التي تعرف فيها المتطرفون السود على هويتهم خلال الاتجاهات الراديكالية لليهود السود ، والتي لجأ اثنائها زعماء هذه الحركات أحيانا الى العنف ضد السامية ، وكان رد كاهانا هو رد الضربة بضربة ، فقد نجح شباب من عائلات كثير منها من الناجين من الكارثة النازية وراء الشعار « لن تتكرر ! » ؛ مما كان يعنى التواصل التاريخي وفي نفس الوقت الانفصال عن الخطط القديمة . ولكن الجماعة لم تكن لتكتسب شهرتها العظيمة لو كانت قد بقيت مجرد جماعة ، تستخدم ذراعها القوية في الرد على اعتداءات السود ، فقد وجد مائير كاهانا سريعا قضية أخرى تخدم جماعته وهي قضية الدفاع عن يهود الاتحاد السوفيتي ، فقد حرك الشباب المتحمس ليجعلوها قضية اليهودية في أعوام السبعينيات . وقد رفض كاهانا وجماعته باحتقار الاجتماعات والمظاهرات وأشكال النضال المتحفظة للتنظيمات الأخرى ، وأخذوا بدلا من ذلك يشوشون على كل العروض الفنية السوفيتية على الأراضي الأمريكية ، واستخدموا سياسة ارهابية منظمة تتلخص في : التشويش على العروض الآتية من الشرق ، والقاء القنابل الحارقة على سيارات الدبلوماسيين ، وتخريب الأماكن ، واحتلال المكاتب ، والدعوة الى المقاطعة . وقد صاحبت بعض هذه الأعمال الاستفزازية أحداث مأساوية : فقد ألقى القبض على شاب في الواحدة والعشرين من العمر ، بعد القائه قنبلة مسيلة للدموع على أوبرا المتروبوليتان أثناء عرض لفرقة مويسيف للرقص ، وبدلا من انتظار الحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاما انتحر قبل بدء المحاكمة .

والى جانب قضية تحرير اليهود السوفيت ، تبنى كاهانا العمل على اقامة حكومة دينية في القدس ، ودفعته صهيونيته الى ترك الولايات المتحدة والتوجه الى اسرائيل في ١٩٧١ ، حيث أنشأ عصبة دفاع يهودية محلية ثم حزبا سياسيا ، ولكنه لم ينتخب في الكنيست الا بعد تسعة عشر عاما .

وفي الولايات المتحدة ، كانت تعاليم الحاخام مرتبطة بالتقاء عدة ظواهر عميقة الارتباط بالمجتمع ، ففى مواجهة العلاقات الصعبة والمتعارضة بين اليهود والسود والبرتوريكيين قدم فكرة الدفء عن النفس ، وفى قلب أحياء مثل بروكلين حيث تتجاور الجماعات العرقية ، نجح فى فرض احترام اليهود . وبعد ذلك اكتشفت اليهودية الأمريكية الكارثة النازية ، التى كانت قد أهملت طويلا وصاحب ذلك شعور بالذنب ، فمع الكشف عن فظائع النازية شعر الشباب بأن الطائفية وأعيانها قد صمتوا طويلا دون مبالاة ، وأحس الجيل الجديد أن التكفير عن ذلك يكون بالوقوف بالقوة ضد كل أنواع معاداة السامية ، وكان الشعار « لن نتكرر ! » مناسبة تماما لهذا التفكير . وأخيرا ، وهذه نقطة هامة لتفسير استمرار التعاليم الكاهانية فى أمريكا ، فإن الهوس العنصرى الكاهانى ضد العرب لم يبدأ فى نيويورك وإنما بدأ فى إسرائيل من ١٩٨٠ فقط ، وعليه فالناس لا يتذكرون فى أمريكا إلا المعلم الجذاب الذى بث فى الشباب حب اليهودية .

وقد أنهارت حركة كاهانا التى كانت قد ضعفت بعد رحيله الى إسرائيل لتحقيق طموحاته السياسية ، بعد اغتياله فى ١٩٩٠ ، فقد انتقل الكثيرون للكفاح فى جهات أخرى وأراد البعض الاستمرار فى الحركة ، فى حين انضم آخرون الى ابنه بنيامين كاهانا فى حركة (كاهانا حى) .

ومن بين الجماعات الصغيرة كانت جماعة (كاهانا حى) هى أشدها عنفا وتشددا ، وفى ليلة ٢٦ فبراير ١٩٩٢ انفجرت قنبلة قرب مقر البعثة السورية فى الأمم المتحدة مسببة أضرارا مادية ، فى حين أبطل مفعول قنبلة أخرى وضعت فى صندوق بريد جنوب مانهاتان ، ووجد المحققون رسالة تقول « حرروا اليهود السوريين » ، وقد أنكر بنيامين كاهانا أية مسئولية عن أعمال العنف هذه ؛ ولكنه صرح فى اليوم التالى لجريدة النيويورك تايمز :

« نحن نأمل أن هذه الحادثة تجعل السوريين والارهابيين الذين تدعمهم سوريا يفهمون أن يد الانتقام اليهودية تستطيع أن تصل اليهم ... » .

ولتكوين العناصر المتميزة في حركتها نظمت جماعة (كاهانا حي) دراسات شبه عسكرية ، كان على أفرادها بعد ذلك تجنيد قوات جديدة من كل أنحاء أمريكا وحتى إسرائيل ، ووصفت جريدة معارف الاسرائيلية (١) أحد معسكرات التدريب هذه في تلال كانسكيل في منطقة نيويورك على النحو التالي : « كان المعسكر يضم مائة وعشرين صبيا جاءوا من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، واشتركوا في تدريبات اطلاق النار بالكلاشنيكوف وحرب العصابات في المدن ومواجهة الارهاب واستخدام المتفجرات ، والى جانب ذلك محاضرات ايديولوجية ودروس في اللغة العبرية » .

وقد أعلن ميخائيل جوزفسكى ، الزعيم الأمريكى لـ (كاهانا حي) بفخر للصحفي الاسرائيلي أن جماعته تحظى بتأييد ثمانية آلاف يهودى في الولايات المتحدة ! وهو رقم خيالى بالطبع فالسلطات الرسمية تقدر اتباع (كاهانا حي) بما لا يزيد عن مائة وخمسين شخصا وهو تقدير يتجاهل عدد المتعاطفين ، ففى جولة استغرقت ثلاثة أسابيع فقط في الولايات المتحدة جمع بنيامين كاهانا مائتين وخمسين ألف دولار ، وصحيح أن من أعطوا نقودهم لكاهانا لا يؤيدون جميعهم فلسفته العدوانية ، وانما هم يمنحون تأييدهم السياسى لسياسة الاستيطان في يهوذا والسامرة ، وبصفة خاصة لمدرسة الحاخام مئير ، وهى مدرسة تلمودية أنشئت في مستوطنة تابوا في ذكرى الحاخام المقتول .

وقد تغيرت أهداف الكاهانيين ، حيث لم تعد هناك جماعات يهودية مضطهدة وانتقلت أهدافهم الأساسية الى إسرائيل ، والأهداف الموجهة اليها بنادق هؤلاء المتعصبين الآن هى انصار عملية السلام سواء أكانوا يهودا أم عربا ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٩٣ قبض على الحاخام ابراهام توليدانو ، وهو كاهانى معروف ، عند وصوله الى مطار تل أبيب ، وقد وجد بحوزته عند مجيئه من نيويورك مستودع أسلحة : كاتبات صوت وتليسكوبات ومواد لصنع قذائف البنادق وكتب لشرح كيفية التعامل مع المتفجرات .

وحتى في أمريكا يتعرض الدبلوماسيون الاسرائيليون للخطر ، ففى أحد معابد واشنطن ألقى ناشطوا (كاهانا حى) القبض على السفير الاسرائيلى ايتامار رابنوفتش وحاولوا الاعتداء عليه ، أما قنصل اسرائيل العام فى نيويورك كوليت آفيتال فقد هددوها بالقول : « سنقتلك يا داعرة ! » .

وفى ٥ يناير ١٩٩٤ امكن ابطال مفعول قنبلة وضعت فى مبنى بنيويورك توجد به عدة منظمات يهودية يسارية ، ولكن قنبلة أخرى وضعت بالقرب من صندوق اسرائيل الجديد — وهو هيئة تجمع التبرعات لصالح اسرائيل — انفجرت دون خسائر بشرية لحسن الحظ ، ووجدت فى الموقع منشورات تهدد « بحرب أهلية اسرائيلية » قادمة ، « وينشر الدم فى اسرائيل » فى الوقت المناسب . ولم تعترف منظمة (كاهانا حى) بهذه الأعمال الارهابية ، الا أن جوزوفسكى أيدھا قائلاً : « نحن لا ندين أولئك الذين يستهدفون المجموعات اليهودية التى تسببت فى قتل العديد من اليهود على أيدي الارهابيين العرب ... واذا لزم استخدام العنف لمنع تدمير الدولة اليهودية فليكن » (٣) .

وبعدها بقليل كرر جوزوفسكى فى حديث تلفزيونى عبارات المنشور الذى ترك فى مكان الحادث وقال مهددا : « ان اسرائيل فى خطر واليهود سيحاربون ، اننى أتحدث عن حرب أهلية دموية ... » .

وبعدها وضعت منظمة (كاهانا حى) على قائمة المنظمات الارهابية المحظورة بمعرفة ادارة كلينتون ، ولكن هل يكفى الحظر الرسمى لالغاء تهديداتهم « بحرب أهلية يهودية » ؟ ألن يشجع الاختفاء تحت الأرض هؤلاء الناشطين على أعمال عنف جديدة ؟

وفى الوقت الحاضر ، تنكرت الحركة اليهودية الأمريكية المنظمة لتلك الجماعات ذات التوجه العدوانى ، وهى : جماعة (كاهانا حى) وكذلك عصابة الدفاع اليهودية والمنظمة اليهودية للدفاع . وحتى الجمعيات التى تقترب سياسيا من تلك الحركات المتطرفة ، لا تتحرج من أن تطلب من قوات البوليس أن تبعد هذه الحركات عن المظاهرات التى تنظمها .

وكل ما يستطيع هؤلاء الشباب المتحمسون القيام به بعد تهمة تهميشهم ، هو الظهور أمام وسائل الاعلام بأقمصتهم الصفراء المرسوم عليها نجمة اسرائيل وبداخلها قبضة اليد ، وهى شعار أتباع الحاخام كاهانا . ومع ذلك ، فما زال صوت الكاهانيين مسموعا ، من خلال مجلة اسمها ذا جويش فويس (الصوت اليهودى) والانترنت ومنظمة جديدة تسمى كارد (وهو اختصار الأحرف الأولى للجنة ضد العنصرية والتمييز) ، وجميعها تسمح لهؤلاء الناشطين بالتعبير بقوة عن العيوب التى ينسبون لها للاتفاقيات التى وقعتها اسرائيل مع السلطة الفلسطينية، وعن طريق وسائل الاعلام هذه يزجون المديح للمتدينين المتطرفين المعتقلين بالسجون الاسرائيلية .

وتوجد الروح الكاهانية حيث لا ينتظرها المرء دائما : وذلك فى بعض اليشيفوت فى بروكلين ، ففى عهد حكومة رابين رأى حاخام أحد المعابد الأرثوذكسية أن من المناسب أن يضيف الى الصلاة اليومية فقرة ، يدعو فيها الله أن يحبط مؤامرات « أولئك المخربين الذين يريدون تمزيق بلدنا الموروث » . وبعدها أعلن الحاخام ابراهام هيخت أن القانون الدينى يسمح باغتيال رئيس الوزراء رابين ؛ لأن سياسته السلامية تعرض للخطر اليهود الآخرين (٤) . وأمام الضجة التى اثارها هذه التصريحات المجنونة حتى فى الأوساط الأرثوذكسية ، تراجع الحاخام عن هذه التصريحات وأرسل خطاب اعتذار الى اسحاق رابين ... وبعدها بشهر سقط رئيس الوزراء الاسرائيلى قتيلاً برصاصات أحد المتعصبين .

تعرف جانيت تويزر الحاخام كاهانا جيدا ، حيث حاربت لسنوات طويلة الى جانبه وهى تشعر اليوم بىأس شديد وتقول : « ماذا نستطيع أن نفعل اذا كان شعبنا نفسه لا يريدنا ، رغم الأخطار الجسيمة التى تعرضنا لها ؟ كل ما نستطيعه هو تكرار تحذيراتنا ولكن اليهود الأمريكان مصممون ألا يصفوا الينا ، فلم يعد هناك تنظيم لأى شئ ، لا للكفاح ضد معاداة السامية ولا لحماية اليهود فهذا يحتاج الى اموال والى مقر وتليفون والى كمبيوتر ... ويتصل بنا الناس عندما يحتاجون الى مساعدة أو يتعرضون للتمييز ؛ ولكنهم ليسوا على استعداد لتأييدنا

ولا تذهب التبرعات إلا للمؤسسة الرسمية ! ومع ذلك ، فكل هذه المؤسسات الرسمية لا تعمل شيئاً من أجل القضية اليهودية . الجميع يرفضوننا على الرغم من أننا لسنا متعصبين وعلى عكس ما يقال ، فإن الحاخام ليس وثناً نعبد ، انه كان مثلما كان موسى أيام الخروج من مصر ... لقد استنرنا كثيراً بكتبه وطريقته في التفكير والاستدلال على فهم أحداث الحرب العالمية الثانية ونحن الآن على حذر دائم ، لقد علمنا الحاخام إلا نثق بأحد ؛ ولكن يهود الولايات المتحدة يشعرون بثقة لا حد لها ويظنون انه ليس من الممكن ان يتعرضوا إلى أى حدث مأساوى ... ومع ذلك ، فالخطر ماثل دوما ! لقد شاهدت في الجامعة التي أعمل بها سوداً يلقون خطبا معادية صراحة للسامية على مستمعين يزيدون عن الألف طالب .

وتشعر جانيت باليأس لا لأن أغلبية اليهود الأمريكيين لا يشعرون بخطر معاداة السامية فحسب ، وانما لأنهم يقبلون كذلك ببساطة تبديد الأرض اليهودية واعطاءها للفلسطينيين وتقول :

« لقد كان رابين خائناً ، فقد باع بلاد اسرائيل مع الشعب والأرض والتوراة ... وانتخاب نتنياهو لا يغير شيئاً فهو لم يقصد أبداً الدخول في معارضة حقيقية مع عملية السلام ، وربما قد يؤخرها قليلا وهذا كل شيء ، وكل ما يهمه مثل الآخرين هو أن يقبله العالم وأن يستقبل بدوره في البيت الأبيض ... لقد قال كاهانا انه سيأتى اليوم الذى يتعين فيه الاختيار بينه ، أى بين الحاخام وبين عرفات ! وقد اختار اليهود عرفات فهم يفضلون الارهابيين على صوت نبي . لقد أخذ العرب فعلا أكثر من نصف اسرائيل وهو ما يسمى بالأردن ! ولكن أن تخرع حكومة اسرائيل دولة عربية جديدة فهذا أكثر مما قد يحتمله العقل ! » .

والدكتور فريجير لا يتحدث عن كاهانا ولا عن الشباب المتحمس لعصبة الدفاع اليهودية ، فهو يريد الظهور بصورة الشخص المحترم الشاعر بالمسؤولية ، ولكنه مثل الكثيرين من نشطاء اليمين الدينى الصهيونى سبق أن كانت له علاقة بالعصبة ، وبعد اغتيال الحاخام كتب هذه السطور الحماسية في تمجيد القائد الذى اختفى : « لقد كنت رجلا رقيقا ذا معتقدات قوية وقلب شجاع ، لقد كنت أحسن

اليهود ، وسيبقى تأثيرك على مصيرنا أقوى من تأثير كل رؤساء الوزراء وأعضاء الكنيست الذين طردوك . ان تعاليمك ستصبح نبوءات » .

وهكذا ، فالحاخام كاهانا لا زال موجودا بوضوح — وان كان في الأغلب بشكل غير معلن — في قسم كابل من الطائفة اليهودية الأمريكية ، فقد ازداد النشاط السابقون سنا وهم يعبرون عن نفس مخاوفهم القديمة ، ولكن بشكل أكثر انضباطا ليكتسبوا اعترافا واحتراما من جهات أخرى ، ومن الناحية الأخرى فان أحد التغييرات الواضحة لليهودية الأمريكية هو الضعف الواضح للكهانية المعلنة : فقد جفت الموارد المالية للعصبة وتحولت المدارس التي ربت جيلا يعبر عن يهودية متشددة في مواجهة المدينة ، الى معاهد أرثوذكسية لا يهتم طلبتها كثيرا بالسياسة . وفي نفس الوقت ، أخذت الجماعة الدينية التي تنمو بسرعة مصيرها بين يديها ، وقد ازدادت عددياً وهي تحمي نفسها اليوم اما عن طريق جمعيات للحراسة او بتنظيم نفسها ، والتسلح في اطار ما يسمح به التعديل الثاني للدستور الأمريكي وهو الشكل الأغلب .

وفي حى كراون هايتس في بروكلين ، توجد لافتات كتبت باللون الأحمر على الحوائط والأشجار في المناطق التي يسكنها اليهود ، تنبه المار سيء النية الى أن الطائفة تحت اشراف مجموعة للحماية ، وهو تنبيه لا يخلو من الفائدة فالكمل هنا يتذكر الاضطرابات العنيفة المعادية للسامية في صيف ١٩٩١ . ففي أغسطس من ذلك العام فقد أحد الحسيديين السيطرة على سيارته وصدّم طفلا أسود عمره سبع سنوات صدمة عنيفة قتلتته ، وأيقظت هذه الحادثة المساوية حقاً السود ضد جيرانهم فتجمع جمهور غاضب من الشوارع القريبة على استعداد لقتل السائق الأرم . . . وقد وصلت سيارة اسعاف تابعة للطائفة اليهودية الى موقع الحادث في نفس الوقت الذي وصلت فيه سيارة الاسعاف التابعة للبلدية ، وحمل رجال البوليس جثة الطفل وطلبوا من سيارة اسعاف الطائفة أن تبعد السائق بسرعة حتى تحميه من الجمهور الغاضب ، وبسرعة انتشرت الشائعة بأن اليهود لم يهتموا بانقاذ الأسود وانهم فضلوا انقاذ زميلهم في الدين !

وانفجر الحى ، ولدة أربعة أيام حدثت فى كراون هايتس أعمال عنف لم يسع بمثلها ، فغى أمريكا نهاية القرن حدث ما يذكر بمذابح اليهود القديمة وبمواجهة قوات بوليسية عاجزة . وكان السود يصيحون « الموت لليهود ! » وأحرقت منازل واعتدى على المارة ، وقتلت احدى الناجيات من معسكرات الموت نفسها بالقفز من نافذة شقتها رعبا من عودة زمن الكراهية ؛ وهاجم حوالى العشرين من السود شابا يهوديا فقتلوه بطعنات الخناجر ...

م

وبعدها افقت الطائفة اليهودية من الدوار المؤقت الذى أصابها ، وعاب الكثيرون على أعيان الطائفة موقفهم السلبي وصمتهم ، وتذكر بيت جيلينسكى المتزعمة للثورة من أجل القضية اليهودية ما حدث قائلة :

« لقد أثارنى ما حدث ! فخلال أيام الاضطرابات الأربعة ، لم يتدخل لا البوليس ولا الطائفة اليهودية لمساعدة يهود بروكلين ، وعادت الى ذكريات الطفولة حيث حكى لى كيف تم اغتيال اليهود فى أوروبا ، دون ان تتحرك الطائفة اليهودية الأمريكية ... وبدا كما لو كان الأمر سيبدأ من جديد ، فقد اعتدى على اليهود فى اراضينا دون أن يتحرك أحد ! » .

وكما حدث فى اسرائيل حدث فى أمريكا ، فقد بدأت الحركات المتطرفة تفقد وظيفتها حيث حلت محلها جماعات أكثر قبولا ، فقد أسس الحاخام دافيد ألجاز فى ١٩٩٤ مؤتمر القيادة من أجل اسرائيل لتجميع تيارات اليمين الصهيونى ، وهو يفسر النجاح الاعلامى لحفنة من الكاهانيين قائلًا :

« ان الصحفيين ليس لديهم الوقت للاستماع لمحاضرة تستغرق ساعة ، ومن الأسهل لهم تصيد العبارات العنيفة لأعضاء لجنة الدفاع اليهودى ، أما نحن فقد قررنا استبعادهم ، وأنا أحبهم طبعاً كيهود وأعلم أنهم يحبون أرض اسرائيل ولكن ينقصهم النضج والتميز ، ومن المؤسف أن يجرى التعبير عن كل هذا الحب بهذا القدر من الكراهية » .

وعلى الرغم من الحلة جميلة التفصيل التى يلبسها ومن لحيته التى بلون الملح والفلفل ، فان الحاخام الجاز يتحدث بنفس اللغة السياسية التى يتحدث بها الشباب ذوو القمصان الصفراء ويقول :

« ان نتناهو سيؤخر قليلا من سرعة التصرفات المجنونة للحكومة السابقة وذلك دون احداث انقلابات كبيرة ، فان جزءا من الشعب الاسرائيلى لا زال ينظر الى المكاسب الاقليمية على انها كانت خطأ وهم لا يقدرّون العلاقة بين الشعب اليهودى وارضه ! ان الفرد البعيد عن التقاليد لا تتوافر لديه المصادر الثقافية أو الروحية أو النفسية أو العاطفية، التى تسمح له ان يفهم الأسباب التى تجعل من الأرض المقدسة ملكية لنا . ان اليسار لديه الرغبة فى انكار التاريخ وانكار الدين وحتى انكار ذاته . . . انه يبحث عن مثل أعلى للعدالة ويعتقد انه يتمثل فى اعطاء دولة للعرب ! ان اليسار يشعر بالاغتراب الكامل والانفصال عن المثل الأعلى اليهودى ، وهو يحلم بالعيش فى اتحاد مثل البتيلووكس بلا حدود ولا تقاليد . . . » .

ويستنكر الحاخام الجاز ، وهو أرجنتينى مقيم فى نيويورك ، موقف الاسرائيليين المقيمين خارج اسرائيل قائلا :

« يحزننى ان كثيراً من الاسرائيليين يفضلون اليوم الاقامة فى نيويورك. (٥) . والمكسيكيون على سبيل المثال عندهم من المشاكل مثل الاسرائيليين بل وأشد بكثير وهم مع ذلك لا يريدون ترك بلادهم ، انهم يعتزون بأصولهم ، ولكن الاسرائيليين اليساريين مع الأسف ليس لديهم هذا الشعور . . . انها مشكلة اغتراب ، انهم لا يفهمون العلاقة بين الشعب اليهودى وأرضه ، وهذا النفى للتاريخ قد خلق « اللوفتمنش » (٦) كما يقولون بالألمانية ، أى الرجل فى الهواء أو الفرد بلا جذور . وبالتأكيد فان الكثيرين من اليهود فى اسرائيل ، لا يختلفون عن اليهود الأوروبيين قبل الحرب فان لديهم عقلية المنفى أو الاندماج ، لقد قيل لهم ان اسرائيل هى اليهودية بين الأمم ، ففقدوا الرغبة فى الاستمرار كيهود . . . » .

يدير الدكتور جوزيف فريجير جمعية لاعادة القدس ، وهو يؤمن بحماس بدوره كحارس للتقاليد ومنقذ للمدينة المقدسة ، وهو يكثر من الاجتماعات ويشترك في كل المظاهرات في نيويورك ضد اتفاقيات السلام ، ويطلق بصوته الوقور وفيه ملتصق بالميكروفون اللعنات ضد التخلي عن أية قطعة من الاراضى المقدسة ليهودا والسامرة ، وينهى حديثه بالصلاة حتى تستمع السماء نفسها لأقواله ، وهو يشرح لى السبب فى أنه جعل من القدس محور نشاطه :

« ان القدس هى مركز الكون وكل الأشياء تشع من القدس ، والقدس هى أيضاً القلب منا ونحن نريد انقاذ القلب ، أى انقاذ كل اسرائيل سياسياً بدءاً من القدس ! » .

وتحت تأثير الصدمة ، أسست بيت « جويش أكشن اليانيس » (اتحاد العمل اليهودى) والتي تتمثل مهمة أعضائها المعدودين على الأصابع فى تحديد ما لا يريد الآخرون ، فى رأى رئيستهم ، رؤيته ألا وهو نمو معاداة السامية . وقد كان هذا العداء محصوراً حتى الآن داخل بعض النوادى المغلقة ؛ ولكنه بدأ يتخذ أبعاداً أوسع . وان التصريحات الأخيرة لمارلون براندو بأن سينما هوليوود يسيطر عليها اليهود ، ليست الا الجزء الظاهر من حركة كبيرة تهز المجتمع الأمريكى بأسره وخاصة المجتمع الأسود .

والرجل الذى يثير خوف اليهود الأمريكيين يدعى لويس فاراخان ، وهو يكرر ان اليهودية هى دين (المجارى) « وأن اسرائيل دولة « خارجة على القانون » ، ومع انه يكره البيض جميعاً إلا أنه يستثنى هتلر الذى يعتبره « رجلاً عظيماً » ! وجميع البيض يتآمرون على الشعب الأسود واليهود فى قلب هذه المؤامرة التى ترمى ، باستخدام الايدز والمخدرات والفقر ، الى اباداة السود من على وجه الأرض . . . وتنظيمه أمة الاسلام يعيد الى الحياة أشباح أيام مالكولم اكس وينادى بالخلاص عن طريق العنف والفصل بين الأجناس ، وتثير خطبه الثائرة السود فى أحيائهم الفقيرة ، وتكشف مجلة تايم فى عدد فبراير ١٩٩٥ أن ثلاثة وستين بالمائة من السود يعتقدون أن فاراخان على حق .

ولا تتردد بيت جيلينسكى فى الوقوف أمام غاراخان وأتباعه ، فقد أعلن فى الصحافة فى يناير ١٩٩٤ عن اجتماع ضخم سيعقد فى أحد الأبنية العامة فى هارليم للرجال السود ، وكان واضحا من الاعلان أن هناك خرقاً للقانون ضد التمييز العنصرى ، ولذلك قررت بيت جيلينسكى بصفتها امرأة بيضاء أن تمارس حقها الدستورى بحضور الاجتماع . . . بعد أن أبلغت الصحف بنيتها تلك ، وهكذا وجدت نفسها فى تلك الليلة النيويوركية قارسة البرد وسط جمع من ستة عشر ألف أسود ، وطبعاً منعت من دخول القاعة تحت أضواء كاميرات الصحفيين الذين تعرضوا هم أيضاً للمضايقات .

تقول بيت جيلينسكى : « وبفضل هذا العمل ، لم يعد غاراخان يستطيع عقد اجتماعاته فى المباني العامة وهذا مهم جداً ؛ لأنه لا توجد أبنية خاصة كثيرة تسع جماهير غفيرة ، كذلك كشفت مدى نفاق الزعيم الأسود عندما يدعى أنه يدافع عن الحريات » . وفى واقعة أخرى ، اتصل أحد طلبة جامعة لونغ ايلاند باتحاد العمل اليهودى ؛ ليبلغهم بحضور بعض الخطباء من رجال غاراخان الى حرم الجامعة . . . وكان موعد وصولهم بعد أربع وعشرين ساعة من المكالمات فكيف يكون الرد ؟ واتصلت بيت بحاخامات وبيعض الشخصيات ولكن أحدا منهم لم يتحرك ، وحاولت الطالبة أن تنبه الأساتذة او المنظمات ولكن أحدا لم يتضامن معها ! وتتهدد بيت جيلينسكى قائلة :

« ومع ذلك ، فاليهودية الرسمية لديها ملايين الدولارات وتضم تنظيمات مليئة بالأسماء الرنانة ولكن شيئاً لا يحدث ، أما نحن بمكتبنا الصغير فنستطيع أن نفعل شيئاً ! فقد توجهت الى الجامعة ومعنى حوالى الخمسة عشر ناشطاً وعبأنا الصحافة المحلية والصحافة اليهودية . وعندما بدأت الخطب المعادية للسامية ، ارتفع صوتنا بالاحتجاج الصاخب . . . وفى النهاية طردنا . وفى هذه الحالة تظهر أهمية نشاطنا ، فقد شعر الطلبة اليهود فى هذه الجامعة أن هناك من يساندتهم ، وأثبتنا أننا لا نخشى التواجد الجسمانى عندما يكون ذلك ضرورياً وكذلك عرف رجال أمة الاسلام أن هناك شهوداً على أقوالهم . وما يثير القلق

بالنسبة للمستقبل أن جمهور المستمعين ، وجميعهم سيصبحون من رجال القانون ، كانوا يستمعون بحماس للعبارات العنصرية للمتحدثين ، وكلما اتخذت التصريحات طابعاً أكثر معاداة للسامية ، زاد تصفيق الطلبة السود ! » .

وترى بيث جيلينسكى أن الطائفة اليهودية الأمريكية تتأرجح بين نقيضين ، فمن جهة هناك من تسميهم « الدينوصورات » ، وهم المسؤولون الجالسون على مقاعد ثابتة ويديرون أجهزة ثقيلة للغاية وينقصهم الحماس لتحقيق أى مشروعات كبيرة ، ويعتبر النشاط الطائفى بالنسبة لهم اما عمل موظفين روتينياً ، واما فرصة للحصول على سمعة رنانة ، وفى المقابل يوجد الناشطون من المجموعات الصغيرة للصهيونية المتطرفة مثل عصابة الدفاع اليهودى ، ولكن بيث تشك فى فائدة هؤلاء المتحمسين لليهودية اذ تقول :

« لو أرسلنا أشخاصا فى الشارع يحملون لافتات مكتوباً عليها « الموت لكل العرب » ، فأننا نكون قد سلمنا أعدائنا حججاً على طبق من الفضة ونغرق قضيتنا ! وعلينا إذن أن نجد وسائل أخرى للتعريف بأنفسنا . ولكن ما يقوله الناس فى تلك المجموعات الصغيرة لا يخلو من فائدة فلديهم بالتأكيد الكثير من الأفكار المفيدة ... ودورى هو تطهير كل تلك الرسائل وتجديدها وخلق قيادة جديدة متحمسة وخلقة وشاعرة بالمسؤولية ، اننى مقتنعة تماماً بفكرة الدفاع الذاتى ، والدستور يسمح للمواطنين بحمل السلاح فلماذا لا يتمتع اليهود بالحقوق التى يتمتع بها بقية الأمريكيين ؟ وطبعاً ليس من المستحب الوصول الى العنف ولكن لو كانت المنظمات اليهودية قامت بعملها بشكل جيد ، لما كنا نناقش هذه الأمور الآن . ان جماعتى يطلق عليها عادة اسم « عصابة الدفاع اليهودية ذات المخ » ! فإذا كان المقصود بذلك أن لدينا الطاقة والعزيمة اللتين كانتا لدى عصابة الدفاع اليهودية ، فان هذا يرضينى » .

والحماس الذى تبديه بيث جيلينسكى فى محاربة معاداة السامية ، تطهره كذلك فى الدفاع عن وحدة أراضى اسرائيل ، ولأقل بادرة تأخذ جيشها الصغير للتظاهر أمام قنصلية اسرائيل أو أمام الأمم المتحدة ، وهى تقول :

« لقد سجن يهود في اسرائيل بسبب ما يعتقدونه أو ما تعتقد الحكومة أنهم يعتقدونه ! لقد اشترك ممثلنا في اسرائيل وهو رجل مسالم في مظاهرة بعد محاولة اعتداء فضربه البوليس بوحشية : ان اسرائيل يجب ان تكون منارة الامم ، يجب ان تكون بلد الديمقراطية التي تقسود بقية بلاد المنطقة الى الديمقراطية ، ولا يجب ان تتحول اسرائيل لأنها تقع جغرافيا وسط دكتاتوريات الى دكتاتورية هي الأخرى ! » .

وفي الواقع، فإن الانقسام بين اليهود يحدث مرة أخرى بسبب السياسة الاسرائيلية . ففي ١٩٤٨ كانت الأسلحة والذخائر تجمع في مبنى رمادي مستطيل في ظل ناطحات السحاب في الشارع الخامس لترسل الى دولة اسرائيل الوليدة ، واليوم فإن مقر المجلس الوطني لاسرائيل الفتاة هو مركز المعارضة لعملية السلام ، ولاية محاولة للانفتاح تقوم بها أية حكومة اسرائيلية . والمجلس الذي ضم خمسة وعشرين ألف عضو ينتهون الى مائة وخمسين جماعة ارثوذكسية في الولايات المتحدة وكندا ، له تأثير قوى على الطائفة اليهودية في مجموعها . ويدافع الحاخام ببساخ ليرنر الرئيس الوطني للتنظيم عن الشرعية الدينية لنشاطه السياسي قائلاً :

« ان اسرائيل تحتل مكانا مركزيا في حياة الأرثوذكس الذين أمثلهم : من الذي سيدرس في يشيفوت اسرائيل ؟ ومن سيسكن في يهوذا والسامرة أو في مرتفعات الجولان ؟ انهم نحن الأرثوذكس ! فنحن وثيقو الصلة باسرائيل ؛ ولذلك لا يمكننا للحظة ان نتصور اعادة يهودا والسامرة ، ومن يعرف النصوص ومتشبع بها لا يمكنه تصور اعادة أماكن مثل الخليل شخيم (نابلس) ، وبالمقابل ، فإن من ينظر الى اسرائيل كما لو كانت هونج كونج أو أي مركز مالي ، يمكنه أن يقبل أي شيء وأن يفعل ما يريد ... نحن نعرف ما هو جيد بالنسبة لاسرائيل واكثر من كل اليهود اليساريين المنفصلين تماما عن الواقع ، فهم لا يعرفون الا يهودية ثقافية بدون صلوات ولا طقوس . ومن حسن الحظ أن بنيامين نتنياهو قد ابطأ من سرعة عملية السلام ، حيث يطالب عرفات بمزيد من الضمانات ومزيد من الأمن ، ولكن الشيء الذي يجب أن يأخذ

الألوية هو تدعيم الهوية اليهودية في اسرائيل وليس بناء هوية اسرائيلية ... » .

إن حركة يونج اسرائيل (اسرائيل الفتاة) التى تفخر بارتباطها باليمين السياسى عند نقطة التقاطع بين الدينى والزمنى ، تعبر عن الثقة العميقة لليهود الأمريكىين المقتنعين بأهميتهم الأساسية بالنسبة لمصير اسرائيل ، وهم يعتقدون أن ما يحدث فى الكواليس المبطنة للبيت الأبيض أو الكابيتول ، أو فى شوارع مانهاتان أو مكاتب هيئات الطائفة ، أهم بكثير بالنسبة لمستقبل الشعب اليهودى مما يحدث فى القدس ذاتها .

ويصل الأمر الى أن جماعة تسمى نفسها « أميركانز فور ايه سيف ازرايل » (الأمريكىون من أجل اسرائيل آمنة) ، توجه كل نشاطها منذ خمس وعشرين سنة نحو صانعى الراى العام وأعضاء الكونجرس ، وهدفها هو اقناع كل الأمريكىين المهتمين بحيوية دور اسرائيل فى الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة ، ولكن منذ توقيع اتفاقيات أوسلو من ثلاث سنوات ، تركز كل نشاط هذه الحركة الصهيونية على محاربة عملية السلام . ويصف دافيد ايزاك أحد مسئولى هذه الحركة الاهداف الجديدة قائلا :

« صحيح أن نغنيهاو غير الوضع قليلا ولكنه لا يمس الأسباب الحقيقية للمشكلة ، فهو مهتم أكثر من اللازم بأن يظهر كشخص معتدل ووسطى . وفى الماضى عندما كان أحد أعضاء الكونجرس يؤيد اسرائيل ، فإن هذا كان يعنى أنه ببساطة يؤيد دعمها ماليا ... واليوم لم يعد يكفى تأييد اسرائيل باعطاء صوت فى الكونجرس ، فنحن نريد أن يتم دعم اسرائيل على المستوى الاستراتيجى وكذلك على المستوى الأخلاقى والتوراتى ، ولو استطعنا افهام أعضاء الكونجرس انهم لا يدافعون عن مجرد اعانات مالية وانما عن حقوق دولة ، فإن ارتباطهم سيصبح أكثر عمقا ويرتبطون بقضية اسرائيل قلبا وقلبا ، وهذه الفكرة تجد تجاوبا بين أعضاء الكونجرس المسيحيين المتدينين ، وهى فى نفس الوقت احدى الوسائل التى نستخدمها لتشجيع الناس على البقاء فى الأرضى » .

وهذه الرغبة في تعميق العلاقة بين اسرائيل واليهودية بأكملها وبين الولايات المتحدة دون غيرها ، ربما كانت محاولة لتقوية الطائفة اليهودية الأمريكية التي تجد نفسها في وضع غير مريح ، فالطائفة التي يبلغ عددها الآن ستة ملايين ونصفاً ستخفّض الى أقل من المليون عند عام ٢٠٧٦ ، أى عندما تحتفل الولايات المتحدة بعيد استقلالها الثلاثمائة ، أو هذه على الأقل تنبؤات الياهو برجمان مساعد مدير مركز هارغارد لدراسات السكان (٨) — وان كانت تنبؤات متشائمة أكثر من اللازم — وفى الواقع ، فان انخفاض عدد المواليد وارتفاع نسبة من يتخلون من اليهود عن تقاليدهم الدينية ، يسهمان بطبيعة الحال فى تضائل عدد الطائفة اليهودية الأمريكية .

وحتى سنوات الخمسينات ، كان معدل الزيجات من خارج الطائفة ثابتاً ومنخفضاً بشكل مدهش ، فلم يكن يتجاوز اربعة الى ستة بالمائة ، ثم ارتفعت نسبة الزواج من خارج الطائفة أربع مرات حتى عام ١٩٧٠ ، الى أن انفجرت فى الأعوام التالية ، ويقدر البعض حالياً أن ثلثى الشباب اليهودى فى الولايات المتحدة يتخون أزواجا من غير اليهود ، وان كانت هذه تقديرات جزافية غير مبنية على دراسات علمية ، حيث ان اجراء هذه الدراسات أمر متعذر من جهة ؛ لأنها تقتضى عمل بطاقات حصر لكل اليهود ، الى جانب صعوبة تحديد معايير الدراسة مثل تعريف الشخص اليهودى وأماكن تواجدهم جغرافيا . وقد أعلن آفراهام بيرج رئيس الوكالة اليهودية ، وهى الهيئة الاسرائيلية المسؤولة عن العلاقات مع الدياسبورا ، صيحة تحذير قائلا : « ان اثنين وخمسين بالمائة من الزيجات بين يهود الولايات المتحدة هى زيجات من خارج الطائفة » (٩) . ولما كان الزواج بين اليهود يمس شخصين فى حين أن الزواج من خارج الطائفة يمس شخصا يهوديا واحدا فقط ، فان هذا يعنى أن ثلثى اليهود يتزوجون فى داخل الطائفة وهذا بعكس الاتجاه المنوه عنه سابقا ! وهذا يوضح مقدار غياب الدقة فى هذه الاحصاءات .

ويتنبأ مركز ميلتون الدراسات العبرانية بأن تسعة من كل عشرة أطفال ممن ينتجون عن الزيجات المختلطة حالياً ، لا يعتبرون أنفسهم

يهودا ، ولوقف هذا النزيف يتصور البعض يهودية أكثر قبولا لاعتناقها، فيقول ايجون ماير مدير مركز الدراسات اليهودية في جامعة سيتي في نيويورك : « يستطيع اليهود الذين ابتعدوا عن أصولهم أن يعودوا اليها بسرعة لو أمكن تنشيط دوائر تضم المليونين من الزوجات والأزواج غير اليهود والأطفال المولودين للزيجات المختلطة ، فبالسماح لأعضاء العائلة غير اليهود بالاشتراك في الأنشطة الطائفية ، سينضمون في نهاية المطاف الى حياة الشعب اليهودي وثقافته ، الشيء الذي سيدعم الشعب اليهودي ويعيده الى النمو » .

ولعل هذه وسيلة لانتفاضة ذات تاريخ طويل ، وكان أول يهودي قد وصل الى جزيرة مانهاتان في ١٦٥٤ ، ثم تبعته أربع موجات كبيرة من الهجرة اليهودية الى أمريكا ، وكانت الموجة الاولى تضم يهودا أغنياء من البرتغال وهولندا وانجلترا جاءوا للتجارة مع جزر الهند الغربية وأفريقيا وأوروبا ، وبعدهم — حوالي ١٨٣٠ — جاءت مجموعة من التجار المتجولين وصغار أصحاب الحوانيت من ألمانيا ؛ ليحققوا الحلم الأمريكي وغالبا ما نجحوا في تنمية تجارة مزدهرة حول المدن الكبيرة على الساحل الشرقي . وابتداء من ١٨٨٠ نزل في نيويورك يهود أوروبا الشرقية الهاربون من المذابح والبؤس ، وكانوا فقراء وغريباء تماما بالنسبة للحضارة الأمريكية الجديدة التي لم يكونوا يعرفون عنها شيئا وقد تأقلموا معها بصعوبة ، وفي الثلاثينيات وبعد الحرب العالمية الثانية جاءت الموجة الرابعة تبحث عن الثروة والأمان في « الجولدين مدينا » (أو بلاد الذهب باليديش) ، وقد أحضر هؤلاء اليهود شديدا الاختلاف معهم فهمم المختلف للدين ، فضلا عن المناقشات التي كانت تثير الطائفية في بلدانهم الأصلية .

وينعكس هذا التنوع على اليهودية الأمريكية اليوم ، فالمؤمنون ينقسمون الى ثلاث حركات كبيرة ، أكبرها تضم المحافظين ويمثلون اثنين وأربعين بالمائة من السكان اليهود ، ويمثل هؤلاء أبناء الذين ولدوا في ألمانيا في القرن الماضي وفلسفتهم « الوضعية التاريخية » والتي تميل الى التطوير الهادى للتقاليد . أما الاصلاحيون — ويمثلون ثلاثة وثلاثين

بالمائة — فهم ورثة اليهود الليبراليين الأوروبيين ، الذين تأثروا بالحركات الفكرية التي راجت في القرن التاسع عشر ونادوا بيهودية متأثرة بالحدائث والمسيحية ، وهذا معناه التخلي عن الطائفة اليهودية والاكتفاء بترديد الصلوات بالانجليزية وأخذ الاجازة الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من السبت . ووجدت هذه الأفكار المجددة رواجاً في أمريكا ؛ لأن هذه اليهودية الجديدة انزلت بنعومة في أوساط الأغلبية البروتستانتية ، ففي بلد يكون فيه الدين جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية ، وحيث يعنى الإيمان في أغلب الأحيان الاندماج في جماعة محددة والانصهار في إطار أكبر ، فقد أدت الحركة الإصلاحية هذا الدور بكفاءة ولم يكن مطلوباً منها أكثر من ذلك ، وفي طبيعة هذه البرالية يوجد عدد صغير من المتطرفين الذين يريدون قلب القوانين الدينية القديمة رأساً على عقب .

وينتمى أحد عشر بالمائة فقط من اليهود الأمريكيين الى الجناح الأرثوذكسى ومع ذلك ، ففي نيويورك — حيث يعيش مليون وسبعمائة ألف يهودى — فان ربع الطائفة يعلنون انتماءهم لهذا الاتجاه الدينى ، ولكن هذا التيار ليس متجانساً ويضم رؤى متباينة . وعلى سبيل المثال ، فان هوة كبيرة تفصل بين الحاخام الصهيونى بيساخ ليرنر المسئول الروحى لحركة إسرائيل الفتاة ، والحاخام موشيه تايتلباوم معلم حسيدي ساتمار والمتحدث بصوت معاداة الصهيونية المطلق ، ولا ينحصر الخلاف بين التيارين في موضوع إسرائيل ، فبينما تسعى حركة إسرائيل الفتاة الى جذب الشباب التائه الى الدين ، فإن الساتمار يتوقعون في قلعته ويرفضون أى تبشير واهتمامهم الوحيد هو المحافظة على سلامة قلعة الأرثوذكسية المتطرفة . ولكن بصفة عامة في حين تفتت الأجزاء الأخرى من اليهودية الأمريكية بشكل مستمر ، فان قلاع الدين المتشددة تتقوى .

ويقارن الحاخام آفى شافران رئيس تحرير مجلة « كواليشن » ، التى تعبر عن حزب « آجودات إسرائيل » في أمريكا ، الشعب اليهودى بجسم الانسان فكل عضو له وظيفته ؛ ولكنها جميعاً تتشارك في قلب واحد ومصير واحد ويجب أن تجتمع معاً لتضمن للمجموع حياته وتفرد ،

ونشأ الحاخام شافران لتمزق هذا الجسم الواحد ، وهو اليهودية ، الى كنائس مختلفة ذات اتجاهات متعارضة قائلًا : « ان التعددية الدينية لليهود هي من اعراض مرض عميق هو انفجار الشعب اليهودي الى انواع مختلفة من اليهود أو أنواع مختلفة من اليهودية » (١٠) .

والشباب الذين تجذبهم الروحانيات يعودون بطبيعة الحال الى ما يظنون انه القلب الحقيقي لهذا الجسم الممزق ، ويفسر جرثون جاكوبسون مدير اسبوعية « الجيمائيرجورنال » التي تصدر بالانجليزية واليديشي هذه العودة نحو الارثوذكسية بتطور الاجيال منذ نهاية القرن الماضي ، فعندما هاجرت طائفة كبيرة من اليهود الى الولايات المتحدة منذ مائة عام ، كان هدف أغلب هؤلاء المهاجرين هو بناء حياة أفضل ولم تكن لهم أية اهتمامات روحية ، وقد حقق ابناؤهم هذا الهدف بنجاح وصاروا اطباء ومحامين ومثقفين ولكنهم فقدوا الشعور بهويتهم اليهودية ، ونشأ الجيل الثالث في ظل الثروة والراحة والتعليم العلماني واندمجوا تمامًا في الأمة الأمريكية . وأخذ هذا الجيل يبحث أحيانًا عن أصوله ، ودفعتهم الكارثة النازية الى البحث في الكتب والتعمق في الدراسة واكتشاف ثقافتهم الخاصة .

ويقول جرثون جاكوبسون : « لقد اكتشف هؤلاء الشباب أن اليهود لهم روح ، وكانوا قبل يظنون أن اليهود ليس لهم الا « جيفيلت فيش ! » في اشارة ساخرة الى طبق السمك التقليدي لمساء الجمعة .

ولا يدرك آباء وأجداد جيل العودة هذا مبررات ارتباط أبنائهم بالمصادر اليهودية ، فبينما حاولوا أن يتخلوا عن كل بقايا الماضي فإن أبنائهم يسعون اليوم لاستبدال البريق بالبحث عن الجذور القديمة . ويتنضم أغلبية الشباب الذين يعودون الى اليهودية الى معسكر الارثوذكسية ، ويرفضون الحلول الوسط ويلبسون الطاقية اليهودية ويأكلون الأطعمة التي تحلها الشريعة اليهودية ، لقد كبروا في مجتمع علمهم الحرية وليس لديهم أية عقيدة ، انهم لا يخفون مظهرهم ولا ممارساتهم ولا معتقداتهم ، وهكذا فحوالي أربعين بالمائة من اليهود المنتمين الى التيار الارثوذكسي نشأوا في أوساط غير دينية .

ويشرح الحاخام ببساح ليرنر هذا الاقبال الجديد من جانب الشباب على ديانة أصولية بقوله :

« في الستينيات ، كان الحصول على كل الأشياء سهلاً كالثروة والجنس ؛ ولكن الناس تبحث اليوم عن أشياء أكثر عمقا وأقرب الى الروحية ، وشكراً لله فديننا فيه ما يجتذب شبابنا ، وبدلاً من البحث في أماكن أخرى فانهم يحاولون العثور على الروحية في داخل اليهودية . لقد تجاوز الاصلحيون ودعاة إعادة البناء الحدود ، فقد باركوا الزواج بين الشواذ جنسيا وحاولوا تحطيم كل شيء ؛ ولهذا السبب ترك البعض الاتجاهات المحافظة أو الاصلحية واتجهوا الى الديانة الحقيقية » .

تعتبر مدينة ليكوود الهادئة الفارقة في مساحات نيوجيرسي الخضراء مركزاً نابضاً لليهودية الارثوذكسية ، ويأتى اليها الطلبة من بعيد لدراسة التوراة . وتشبه ليكوود بشوارعها المستقيمة ومنازلها المستقلة ذات الواجهات الخشبية المدهونة وعماراتها من الطوب الأحمر الغامق وحدائقها الصغيرة المترية ، كل تلك المدن المخططة بدقة والتي تتكرر بشكل ممل في عمق أمريكا ، وينقسم سكانها الأربعة ألاف الى عدة جماعات عرقية يفصل بينها نظام فصل عنصري غير مرئى ، فالسود والبروتوريكيون والبروتستانت البيض من أصل أنجلو ساكسونى ، واليهود يتقاطعون دون أن يتعارفوا ويتجاهل كل منهم الآخر .

وتذكر اليشيفوت القديمة التى بنيت منذ نصف قرن بمبانيها الثقيلة ذات الشبابيك الضيقة المرتفعة ، بمدارس بولونيا قبل الحرب ولكن لا يوجد بها حالياً سوى مكاتب الادارة ؛ ولكن الأكاديمية التلمودية قد تطورت ويتلقى طلبتها الألف والخمسمائة دروسهم في مبان حديثة بعضها من النوع سابق التجهيز . وبعدد سكانها الخمسة عشر ألفاً من اليهود ، تعتبر ليكوود عاصمة صغيرة للعالم الدينى .

واحد طلبة الأكاديمية يدعى اسحق وعمره خمسة وعشرون عاماً وأب لطفلين صغيرين ، وقد درس لمدة خمسة أعوام في يشيفا في بينى يراك في اسرائيل ؛ ولكنه أراد أن يجرب « شيئاً آخر » ، يقول : « كنت

أبحث عن مجتمع متطور كإسرائيل ولكن من نوع آخر أقل تطرفا سياسيا، ففي إسرائيل ينتمى كل شخص بالضرورة الى حزب ما ، ويفصل حائط من انعدام التسامح بين التنظيمات المختلفة ... اما ليكوود فأكثر انفتاحا، اذ يتقابل بها طلبة من كل الاتجاهات الدينية ، وحتى من وجهة النظر الدينية فالواقف أقل تشددا . في إسرائيل تنظر الأوساط الأرثوذكسية نظرة سيئة لمن يغادر اليشيفا للعمل لكسب عيشه ، أما هنا فأجد طلبة منتظمين في الدراسة ولكنهم يعملون بعض الوقت لاعالة عائلاتهم » .

وحتى يشع ضوء الايمان من ليكوود على الطائفة اليهودية بأكملها ، فإن كثيرا من الطلبة يغادرونها مرة في الأسبوع لينقلوا الرسالة الطيبة الى جماعات المناطق المجاورة ، ويتوجه اسحق مساء كل أربعاء الى برنستون حيث يدرس مع عالم شاب استيقظ ايمانه ، يقول : « هذه البرامج مخصصة عادة للتائبين عن الذنوب أو حتى لمن لم يصلوا بعد لمرحلة التوبة ، انها مبرر للاقتراب من غير المتدينين » .

لقد أصبحت ليكوود بجماعات طلابها ومبشرها الأسبوعيين أحصد مراكز الأرثوذكسية المتكاملة ، كما ان «بوروبارك» في قلب بروكلين تعتبر اقطاعية دينية هي الأخرى ، فالطائفة تعيش هنا كما في الأحياء اليهودية الأخرى في حالة اكتفاء ذاتي بمتاجرها ومدارسها وصحفها والأتوبيسات التي تربط بين الأماكن اليهودية المختلفة . وكثيرا ما يجرى الفصل بين الرجال والنساء في هذه المواصلات العامة ، بل ان بعضها كانت به ستائر تحجب الجنسين واحدا عن الآخر ، الى أن تنبه أحدهم الى أن ذلك مخالف للقوانين الفيدرالية ، وتقدم بشكوى وصدر حكم بمنع وضع هذه الستائر غير القانونية .

وعندما يتجول المرء في شوارع « بوروبارك » أمام المتاجر الصغيرة المليئة بالمخللات والخبز بالبصل والسجق والأطعمة الحلال ، وعندما يرى المارة من الحاخامات كبار السن بلحاهم الصغيرة الرمادية، والطلبة بالقبعات الكبيرة من القطيفة السوداء ، وكذلك الفتيات الصغيرات بالفساتين الطويلة المقفلة بياقات صغيرة بيضاء ، وسيدات يدفعن عربات الأطفال الصغار ، يشعر المرء كما لو كان الزمن قد توقف وأنه عاد الى العالم

اليهودى الذى ساد فى الأزمان الغابرة حيث كانت تزدهر الحياة اليهودية . ومع ذلك ، فخلف هذا المنظر المألوف نجد أن أرثوذكسية القرن العشرين قد أصابها تغير عميق . كتب الحاخام حاييم سولوفيتشيك الأستاذ بجامعة اليشيفا فى نيويورك ذات الاتجاه الأرثوذكسى الجديد ، والتى تحبذ دينا متسامحا ومنفتحا :

« فى محاولة المحافظة على يهودية تقليدية ، يحاول اليهود المتدينون أن يجدوا الجذور لروحانيتهم الوليدة فى علاقة مع ارادة الرب بدلا من العلاقة مع ذاته التى يجدونها مستحيلة ، وفى سبيل ذلك يفرقون حياتهم اليومية فى متطلبات معقدة ، وحيث انهم فقدوا الاتصال مع الرب ذاته فانهم يبحثون ثقل نيره فحسب » (١١) .

وعلى الرغم من التشابه الظاهرى بين اليهودية الدينية اليوم وبين الحياة التقليدية فى الماضى ، فقد غيرت الأرثوذكسية من طبيعتها ، فابتعاد الأجيال التى هاجرت الى الولايات المتحدة فى القرن الماضى . وكذلك القضاء المنظم على يهودية وسط أوروبا على يد النازية قد أحدث انقطاعا فى السلسلة . والشريعة بصفتها نظاما للحياة اليومية يشمل كل مناحى الوجود لا الصلاة فقط ، وانما كذلك الطعام والشراب والملبس والعلاقات الجنسية وأسلوب العمل والراحة ، فليس من الممكن الاكتفاء بأن تلقن وانما يجب أن تستوعب ، ويؤكد الحاخام سولوفيتشيك أن استمرارها كان يتم فى الماضى ، عن طريق التقليد وأداء الطقوس والعادات داخل العائلة وفى الطريق وفى المعبد والمدرسة ، ويكتب : « لو طلب منى أن أحدد فى عبارة واحدة التغير الذى طرأ على اليهودية الدينية فى الجيل الأخير ، لقلت انه الدور المؤثر الجديد الذى يلعبه النص فى الحياة الدينية » .

وهذه هى السمة الرئيسية للأرثوذكسية الحديثة ألا وهى التلطق المرضى بالنص ، اذ يأخذ التشدد الدينى الجديد شكل زيادة ملحوظة فى عدد الدراسات المتعلقة بطبيعة الممارسات الدينية والصلوات والأعياد الدينية ، فنشرت خلال جيل واحد كتابات كثيرة أبرز فيها الباحثون المدققون فى التوراة مبادئ جديدة أو أحيوا عادات قديمة مهملة ، وهكذا يمسد النظر فى الممارسات الدينية فى ضوء تمسك بالطقوس لم يعرف من قبل .

وبزغ هذا النوع من اليهودية في الولايات المتحدة غير أنه ينتشر كذلك في إسرائيل واندلترا وفرنسا ، وتلعب الشيعة والمدرسة دوراً حيوياً في الترويج لهذا الضرب من اليهودية ، ففى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت هناك بالولايات المتحدة ثلاثون مدرسة يهودية تضم خمسة آلاف وثمانمائة طالب فقط وكانت اليشيفوت أقل من ذلك ، واليوم تضم ستمائة مدرسة يهودية أكثر من مائة وستين ألف طالب ، أى أن العدد تضاعف ثلاثين مرة خلال خمسين سنة !

وفى الماضى ، كانت الهوية اليهودية تبدو ثابتة تماماً ، وكان الاهتمام الأول للمهاجرين هو أن يمنحوا أبناءهم التعليم الذى يمكنهم من الاندماج فى وطنهم الجديد ؛ ولذلك لم تكن المدرسة اليهودية محل اهتمام الطائفة اليهودية التى لم تكن تقصّر أن أرثها الثقافى يمكن أن يضعف ، ولكن هذه الهوية لم تلبث أن تهلكت وأصبح من الضرورى تكليف الأساتذة التلموديين بمهمة نقل التعاليم اليهودية التى فقدت بريقها إلى داخل العائلات اليهودية . وهكذا تحولت اليشيفوت إلى مؤسسة جماهيرية مهتمة تكوين غالبية القوات الأرثوذكسية ، فاليهودية التى تلقن عن طريق الحياة لم يعد لها وجود وحل محلها تجميع النص ، وهذا الالتجاء إلى حرفية الشريعة هو من أعراض تشدد الدين الذى شعر بخطر الحداثة والذى يعتبر وظيفته الوحيدة الباقية هى المحافظة على الإرث سليماً ، ومن هذا المنظور وجد أساتذة الأرثوذكسية من واجبهم تدعيم تجانس الجماعة ، وتقوية الروابط التى تضمها وتمنعها من الانفجار .

وفى ليكوود — أو يوروبارك — ينكب الطلبة طوال اليوم على الكتب ، ويكل تدقيق محصون الشريعة الالهية التى تنظم حياتهم ، ويصل بهم هذا التدقيق إلى نهاية النهاية من النص ؛ بما يدفعهم فى النهاية إلى تساؤلات جوهرية ، مثل ما إذا كان حلالاً أكل بيضة باضتها الدجاجة يوم السبت ، أو تناول طبق من السلطة قد تختفى بين أوراقه بعض ديدان الأرض الحقيقة والتى لا تنطبق عليها شروط الطعام الحلال بطبيعة الحال !! .

الفصل الثامن

فى أعقاب المسيح المنتظر أو التعصب المعادى للصهيونية

يمتلك ميخويل ايريرا متجرا فى ليكوود لبيع الأدوات المستخدمة فى الطقوس اليهودية ، وقد قدم الى هذه المدينة الصغيرة فى نيوجيرسى بعد دراسة التلمود لمدة سنتين فى اسرائيل ، وتزدهر تجارته الصغيرة بفضل المدرسة الدينية اليهودية المحلية الواقعة فى المدينة . ويؤمن ميخويل بأن لحظة خلاص العالم قد حانت وأن موعد مجيء المسيح المنتظر يقترب ، غير أن وجود دولة إسرائيل يحول دون مجيء المخلص المنتظر ، وغيبية تفكير ميخويل تجعله يقشعر من فكرة قيام حركة يهودية للتحرر القومى ويقول :

« أى عمل مخالف لإرادة الله يؤخر مجيء المسيح المنتظر ، وقيام الدولة ليس من ضمن علامات المرحلة السابقة للمجىء التى نعيشها بل لها تعطيل لحظة التنوير ، وكل أولئك الذين يعرفون التوراة متفتحين على أن إقامة دولة بالقوة الذاتية مخالف لشريعة الله فالدولة تقف ضد التوراة ضد الله . ولكنه مكتوب أيضا أن المسيح المنتظر سيجىء مهما كان الأمر ، وأن موعد مجيئه محدد مقدما فى السماء . . . وسيكون من سوء حظ من لم يتوبوا مجيئه قبل توبتهم ، وسيكون الوضع جيدا لمن تابوا قبل ساعة الخلاص وبعدها سيكون وقت الندم قد فات » .

وقد جاء في مجلد « كثوفوت » من التلمود : ان الله طلب من العبرانيين عند ذهابهم الى المنفى بعد هدم الهيكل الثانى أن يقسموا على ثلاثة اشياء وهى : الا يعودوا بالقوة ، والا يثوروا ضد الأمم ، والا يحاولوا التعجيل بنهاية الزمان . وعلى اساس هذه التعاليم يعتبر ميخويل أن دولة اسرائيل نوع من الهرطقة ، وعندما يتحدث عن الأرض المقدسة يستخدم التعبير يريتز يزرويل (أرض اسرائيل) بتأكيد واضح على الاسم بلفظة اليديش ؛ حتى لا يقترب من التعبيرات المحدثه لليهود غير الأتقياء الذين يتحدثون السماء ، ويعتبر ميخويل دولة اسرائيل بمدنها ومشاكلها وجيشها غريبة بالنسبة له كأي بلد أجنبى قائلا : « اننى لا أهتم بما يحدث فى الصين ، وبالمثل لا أهتم بما يحدث فى اسرائيل » .

ولكنه فعلا قضى سنتين يدرس فى القدس لا فى بكين ...

« نعم ، ولكن ذلك ليس بسبب أن الشيغا توجد فى اسرائيل ، فالى حد ما فان الصهيونية لم تدنس تماما قداسة يريتز يزرويل ، وبالطبع عندما لم يكن فى يريتز يزرويل كل هؤلاء السكان المعادين للتوراة كانت الأرض أكثر قداسة ... » .

أى عندما لم يكن بها يهود ؟

« لقد كان بها بعض اليهود ، حفنة من الأرثوذكس ولكنهم لم يتلفوا شيئا . ان يريتز يزرويل تعتبر كقصر للملك وعندما يكون القصر خاليا وليس به سوى بعض الخدم ، فان ذلك يكون أمرا محزنا بالطبع ولكنهم على الأقل ينفذون أوامر الملك ، ولكن عندما يمتلئ القصر بجماهير ، همها مخالفة ارادة الملك فالوضع يكون أسوأ بكثير ! » .

ومن هذا المنظور ، فان تدهور الأرض المقدسة انما هو تعبير عن انحطاط عام ، ويذكر ميخويل قصة يهودية تقول ان تطور الانسانية عبر تاريخها يشبه جسم الانسان ، فالأجيال الأولى تشبه الرأس وتتسم بالرقى الروحى ، وكلما تقدم الزمان ظهرت أجيال أقل رقى ، ونحسن الآن قرب عقب هذا الجسم وهى الفترة التى تسبق مجيء المسيح المنتظر ؛ ولكنها أيضا فترة تعانى فيها الانسانية من ضعف الحواس ، يقول :

« كانت الأجيال السابقة تجد من السهل أن تفتح عيونها وأن ترى وتشعر بالله ، أما نحن فلم تعد لدينا القدرة أن نرى وأن نشعر بما كانوا يرون ويشعرون به قديماً .. بل وحتى لم يعد لدينا ذلك النوع من الحاخامات الذين كانوا موجودين منذ خمسين عاماً بل وحتى منذ ثلاثين عاماً . »

ويرثي ميخويل القريب من حسيدي ساتمار وفاة الحاخام يوثيل تاييتلباوم في ١٩٨١ ، وكان أستاذ هذا التيار ومن كبار مناهضي الصهيونية، ويرى أنه منذ اختفاء الأستاذ فان «تدهور الأجيال» يزداد سوءاً ، ويقول :
« لقد كان حاخام ساتمار يرفض العنف دائماً ومع ذلك ، فقد رأى البعض أن يقدفوا باسمه قنصلية إسرائيل في نيويورك بالبيض ، ولكنه لم يكن ليفعل ذلك أبداً . »

كان يوثيل تاييتلباوم يعتبر نفسه الوريث الأكثر تشدداً للحسيدية ، وقد عبأ حوله في مدينة ساتمار أشد أعداء الصهيونية ، في حين كانت بقية الطائفة تتقبل الأفكار الجديدة ، ولكن من سخرية الأقدار أنه عندما كانت مدينة ساتمار في ١٩٤٤ تحت أقدام أدولف أيخمان بصفتها جزءاً من المجر ، كان الصهيونيون هم الذين أنقذوا الحاخام تاييتلباوم من الموت .

ومنذ بداية الملاحقات المعادية للصهيونية ، أسس بعض الصهيونيين في بودابست لجنة سرية اسمها بإعادت عزراه فتهتسلاه (لجنة المساعدة والانتقاذ) ، ومكنت هذه الحركة اليهود المطاردين من البلدان المجاورة من الالتجاء إلى المجر التي كانت لا تزال تحتفظ ببعض الاستقلال ومنها يسافرون إلى فلسطين للمشاركة في البناء . وبعد أن اجتاحت القوات الألمانية المجر في ١٩٤٤ ، حاول أحد مسؤولي هذه اللجنة وهو ريسو كاستنر أجزاء مفاوضات مخبونة مع النازيين لشراء حياة المعتقلين ؛ ولكن أيخمان هزأ من هؤلاء القوم الذين يريدون مبادلة « يهود لا قيمة لهم ببضائع قيمة » ، ولكن الرايخ كان قد نزف كثيراً وكان بحاجة إلى عملات وإلى نيكل والومنيوم وكاميونات وجرارات ، وبدأت المفاوضات بين كورت بيخير

رئيس الادارة الاقتصادية لهيملر والسويسرى سالى ماير ممثل
ال (اميريكان جوينت ديستريبيوشن كوميتى) ، وهى منظمة يهودية امريكية
للمساعدة .

وقد اقترح ايخمان فى اول الامر مبادلة مليون يهودى بعشرة آلاف
كاميون (شاحنة) ، الا ان المفاوضات تراخت بعد ذلك ، فقد كان الحلفاء يخشون
من دعم المجهود الحربى الالمانى ، فقد اوضح روزويل ماكلياند من السفارة
الامريكية فى برن بكل صراحة ، موقف حكومته فى خطاب موجه الى مجلس
لاجئى الحرب فى واشنطن : « من المستحيل أن نبدا فى برنامج لشراء
اليهود من النازى ، خاصة اذا كان المطلوب مبادلتهم بسلع يمكن أن
تساعد العدو على اطلالة الحرب » (١) . وعندما اخطرت سويسرا
للاستعداد لاستقبال الهاربين ، رفضت اعطاء تأشيراتها الثمينة ولم تقبل
فى اول الامر الا من لهم اقارب فى البلاد ، وحتى اللجنة الدولية للصليب
الاحمر رفضت الاشتراك فى محاولة الانقاذ واجابت بترفع أنها لا يمكن
بأية حال « أن تتعامل مع اناس يستخدمون وسائل غير قانونية لانقاذ
اليهود » (٢) . ومن جهته ، عاد ايخمان بعد أن قطع على نفسه عهدا
لم يكن يتوى ابدا تنفيذا الى مهمته الاصلية وهى اباداة اليهود ، ولم يعد
يهتم الا بابتزاز اكبر مبالغ مالية من المنظمات اليهودية مقابل أقل عدد من
الأرواح . اما المجرىون النازيون ، فكان همهم هو الاستيلاء لحسابهم
الخاص على ثروات الضحايا ، ويشهد كاستنر بذلك قائلا : « لقد صمم
المجرىون على منع حلفائهم الالمان من الاستيلاء على هذه الأموال اليهودية ،
وقامت جماعات من البوليس السرى ومكافحة الجاسوسية المجرية بحملات
على مكاتب « الوادا » ، حيث استولوا على أموال ونفائس المتواجدين بها
والذين سلموها وهم يرتعشون ، وكانت تلك عملية حساسة . . » (٣) .

وسمحت هذه المساومات المقررة واليائسة فى نهاية المطاف لآلاف
وثلاثمائة وثمانية وستين يهودياً كانوا فى معتقل بيرجن — بيلسن بالدخول
الى سويسرا فى عشية عيد الميلاد فى ١٩٤٤ ، وكان من بين هؤلاء
المحظوظين — الذين باعهم النازى بسعر ألف دولار للواحد — أطفال
وشخصيات صهيونية نشيطة وكاستنر نفسه مع عائلته وبعض الحاخامات

الارثوذكس . وهكذا امكن للحاخام يوثيل تايتلباوم الذى نجا من الجحيم أن يتنفس هواء الحرية ، ولكنهم لم يستمتعوا طويلا بهدوء وسلام الاتحاد السويسرى ، فقد كانت حكومة برن متزمتة جدا بشأن سياسة الهجرة وسافر الحاخام مع اقلية الناجين الى فلسطين ، ولكنه لم يبق بها طويلا ، ففى ١٩٤٧ اسرع يوثيل تايتلباوم بترك الارض الموعودة قبل قليل من تحولها الى دولة يهودية ذات سيادة ، واستقر نهائيا فى بروكلين حيث عاود حملته ضد الصهيونية بضراوة اكبر .

وهناك الكثير مما يمكن أن يقال عن علاقة الحب — الكراهية بين الضحية والمنقذ ، ويمكن للتحليل النفسى مساعدتنا على فهم حالة معاداة الصهيونية الجنونية لحاخام ساتمار ، فقد علمنا سيجموند فرويد أن الكراهية تنبع من نبضات الابقاء على الذات فى صراع الأنا من أجل البقاء وتأكيد الذات . ويبدو نكران الجميل كعاطفة عميقة فى الانسان للدرجة التى جعلت مؤلفا مسرحيا هو يوجين لايبش ، يبرز فى مسرحيته الشهيرة (رحلة المسبو بيريشون) بشكل كوميدى « ذلك العبد القاصم الذى يسمونه الاعتراف بالجميل » .

ان الناجين من الخطر لا يحبون تذكر منقذهم ، فكرم الآخر يذكرهم بلحظة ضعفهم عندما كانوا تحت رحمة القدر ، والاعتراف بالجميل يفرض عليهم أن يتقبلوا ويتصوروا — ويعترفوا — بهوقف يلير رعبهم ، ويضاف الى ذلك بالنسبة للناجين من معسكرات الموت ، الشعور بالذنب غير المنطقى بأنهم نجوا فى حين اختفى ملايين غيرهم ابتلعهم غرف الغاز .

لقد استطاع يوثيل تايتلباوم أن يصل باخفاء الاعتراف بالجميل الى حده الأقصى ؛ ولكننا نجد هذه الظاهرة عند آخرين بدرجات متفاوتة من العلنية ، وهكذا نجد ان الآلاف من الاطفال والبالغين اليهود الذين أنقذهم ، خلال السنوات السوداء ، السكان البروتستانت من قرية شامبون سير لينيون ، قد سارعوا فور التحرير بمفادرة هذه الأرض التى أنقذتهم ، بلا عودة ، مما سبب خيبة أمل لسكان هذه القرية فى « السيفين » الذين بذلوا جهدا واعيا للالتقاء بأهل الكتاب وتعرضوا لمخاطر

كبيرة . لقد كانت شجاعة اهل شامبون في نظر الناجين من الكارثة النازية،
هى الصورة العكسية لبؤسهم وخوفهم وهربهم هم ... قال لى أحد هؤلاء
الفلاحين بحزن : « لقد تناثروا واختفوا كمجموعة من العصافير » .

ولقد مر اربعون عاما قبل ان يقبل الأطفال الذين اختبأوا في شامبون
فى نهاية المطاف ، أن يتذكروا وأن يعودوا ليكرموا أولئك الذين أنقذوهم
فى الماضى .

وفى حى ويليامسبرج فى بروكلين ، انشأ الحاخام تايتلباوم المركز الجديد
لحسدية ساتمار ، ولم يتوقف عن الهجوم على دولة اسرائيل بصفتها
من عمل الشيطان وكتب يقول : « لقد تسبب الصهيونيون بأعمالهم السيئة
وانشطتهم السياسية الخاطئة والمحرمة فى جميع التجارب والآلام لشعبنا ؛
حتى يستغلوا بعد ذلك المظاهر ويدعوا دور منقذى أمتنا ، ولقد نجحوا
فى هذه المزايدة » (٥) .

أعمال سيئة ... مظهر المنقذين .. المزايدة .. لقد أدان الحاخام
تايتلباوم دون هوادى أولئك الذين أنقذوا حياته ، بل أسوأ من ذلك لقد
اتهم الصهيونيين بأنهم كانوا فى قلب مؤامرة كبيرة الغرض منها إثارة
الهتلرية ؛ حتى يثبت عنفها الوحشى لجماهير اليهود ضرورة إيجاد وطن
مستقل ، لقد قلب الحاخام الوضع رأساً على عقب ليؤكد رأيه وليحول
الاتصالات التى جرت بين الصهيونيين والنازى لانقاذ يهود المجر الى
مؤامرة مكياجيلية .

ويشرح لى هيرشل فريدمان الصحفى بمجلة ذير بيد التى تصدر
بالبديش لماذا يتمسك الحسيديون من هذا الاتجاه بالعداء المطلق لدولة
اسرائيل ، قائلا :

« نحن ضد وجود دولة يهودية قبل مجيء المسيح المنتظر سواء
أكانت حكومتها دينية أم لا ، أن الساتمار لا يمكنهم قبول هذا الأمر
الواقيع الذى يخالف كل ما تعلمه لنا التوراة . ان احدى
الوصايا اليهودية التى يقدر عددها بستمائة وثلاث عشرة
تفرض علينا الايمان بالآتى : « أنا أو من بجىء المسيح » .
فلو كنا نؤمن بخلاصه فان هذا يقتضى أن ننتظر الحدث مهما تأخر ، فماذا

فعل الصهيونيون ؟ لقد قالوا إنهم لا يؤمنون بمجيء المسيح المنتظر ، ولذلك عليهم إقامة الدولة بأيديهم ! وهذا لا يؤدي فقط الى عدم استعجال مجيء المسيح المنتظر وانما يؤخر الخلاص ، ولكي يمكن أن يظهر المسيح المنتظر يجب أن تختفى اسرائيل ، وعلى أية حال ، فكل ما بناه الصهيونيون سيدمر اننا لسنا ضد اسرائيل لأسباب سياسية مثل الفلسطينيين ؛ ولكننا نعارض هذه الدولة على أساس من التوراة فقط ، فلو آمننا بأن التوراة كتاب مقدس وأنه صادق لاستحال علينا الموافقة على قيام دولة اسرائيل . عندما أصلى كل يوم أدعو لمجيء المسيح المنتظر ومن أجل العدالة . فان صلاتي تدعو ضمنا لهدم دولة اسرائيل ولكن دون اهدار دم يهودي ، فكيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ نحن لن نقول لله أو للمسيح كيف يتصرف فالله يعرف كيف يرتب مثل هذه الأشياء . ولو كان أحد قال لنا منذ بضع سنوات ان امبراطورية عظيمة مثل الاتحاد السوفيتي ستسقط دون اطلاق رصاصة واحدة ، لما صدقناه ولكن هذا هو ما حدث فعلا . . . » .

وقد ظل هذا الخطاب هامشيا لبعض الوقت ، الا أنه أخذ ينتشر بين الجماعات الدينية خاصة بسبب المعارضة السياسية للاتفاقيات بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فحيث ان الدولة بمتابعتها لعملية السلام ستصل عاجلا ام آجلا الى تصفية بعض الاراضي اليهودية في يهودا والسامرة فانها تفقد شرعيتها الدينية ، وهكذا تنشر الأرثوذكسية المتطرفة آراء الحاخام تايئلباوم خارج اوساط الساتمار .

يدرس بيريل المواد اليهودية في لندن ، وقد فقد إحساسه بالاستقرار بسبب عملية السلام ويتساءل اليوم عن امكانية استمرار اسرائيل أصلا ،
قضايا :

« ان مؤسسي دولة اسرائيل لم يستندوا الى أسس دينية وفي الواقع لم تستحق اسرائيل لنا بهذه الطريقة ، وكان الواجب ان يجري اسكان البلاد بطريقة مختلفة ، وأعتقد أن الله سيجبرنا على ترك ما هو من حقنا وحصلنا عليه بحق الفتح وكلفنا غالبا جداً ؛ وذلك حتى يمكن لنا الحصول عليه في وقت لاحق وانما على أسس أحسن أي المسيح المنتظر . ان الساتمار لا يوافقون على حق اسرائيل في الوجود ؛ لأنه لا يجب فرض ارادتنا على

الله وانما يجب انتظار التدخل الالهى دون ضغط على التاريخ ، ويبدو أن الاحداث ستثبت صحة وجهة نظرهم . . ان استحقاق الخلاص لا يمكن أن يأتى عن طريق أعداء الدين وأولئك الذين ادعوا في ١٩٤٨ أن من حقنا العودة الى أرضنا ، والذين رأوا في ذلك بداية للخلاص قد كانوا مخطئين ، وكلما ازداد وضع دولة اسرائيل سوءا ، كان ذلك علامة على قرب مجيء المسيح . ان ما بنى دون هدف دينى يجب هدمه ليعاد بناؤه من جديد ، إن ما بنى على أساس غير سليم لا بد وأن يسقط . . » .

وهكذا ، فعداء الساتمار للصهيونية لا يضعف وانما تقويه الأحداث ، وقد زار الحاخام الحالى موشيه تايئلباوم أتباعه في اسرائيل في يونيو ١٩٩٤ ، ولكنه رفض أن يستخدم طائرة الطيران الاسرائيلية ، وكرر ادانته للدولة التى « هدمت الدياسبورا اليهودية وأحدثت مواجهة مع الاسلام » (٦) .

يقول هيرشل فريدمان ان جماعة الساتمار واحدة من أكثر جماعات اليهود الأرثوذكسى عدداً وان كانوا يبدون أقلية ، ويمكن سبب ذلك في عزوفهم عن التبشير بأفكارهم ، ولا يستهويهم النشاط التبشيري لحسيديى اللوبافيتش ويقول :

« نحن نعتبر أن هناك خطورة في ارسال الشباب الى الشارع لكسب الأتباع ، فهذا عمل فيه خطورة على شباب قضا وقتهم كله يدرسون في اليشيفا ولا يعرفون شيئا عن العالم الخارجى فنحن لنا موقف مختلف تماما ، اننا نريد أن نكون نورا يجتذب أولئك التائهين في الظلمة . نحن نعتقد أننا بقدر ما نكون صادقين في ايماننا وأقوياء في ممارساتنا وسائرنا بوضوح في طريق الحق والاستقامة ، فاننا سنكون كالمناارة ترسل ضوءها وينجذب اليها اليهود الينا . طائفة الساتمار أقامت حولها جدراناً لتحميها من العالم الخارجى وحتى لا تمتصنا الحداثة ، ولكن هذه الجدران ليست صماء لدرجة منع ضوءنا من الاشعاع للخارج ، وهذا الموقف لا ينبغي أن يصدم أحدا ، فكل الطوائف اليهودية لا تسهل لغير اليهود أن ينضموا اليها . والأمر مشابه بالنسبة لنا فعندما يريد يهود أن يصبحوا من الساتمار فاننا ننبههم : « ان الأمر سيكون صعبا » .

وهذا الانغلاق داخل الجيتو الذى يصل الى كونه عقيدة يحيط
الساتمار باطار، ليس روحيا فحسب ، وانما مادى وجغرافى كذلك ، غنى
ويليامسبرج تستخدم العبرية فى الدراسة والصلاة فقط ، أما الأتباع
السوداء التى تتمشى بين مبانى الطوب العتيقة فتحدث باليديش ، وكذلك
فى الحوارى المتربة فى الحى الأرثوذكسى فى القدس — كما فى مبانى عصر
الباروك فى آنفريس — يتجمع نفس الناس الذين يعتبرون أنفسهم ممثلين
لخلاصة اليهودية الكاملة . لخص لى أحد شباب الساتمار مبداه فى بضع
كلمات قائلا : « نحن حراس أرثوذكسية النص دون تشويبه أو
تفسيره » .

ومنذ سقوط الأنظمة الشيوعية ، اكتشف الساتمار لأنفسهم وظيفة
جديدة ألا وهى إعادة الروس اللاجئين الى الولايات المتحدة الى الدين ،
فقد تخلوا عن اليهود الأمريكىين غير المتقبلين لتعاليمهم ووجدوا فريسة
أسهل فى هذه العائلات التى يجعلها المنفى فى وضع هش ، غنى بروكلين
انضم مئات من الطلبة لحدى مدارسهم ، وهم بذلك يكونون العجينة السهلة
التي سيتكون منها جيش الساتمار فى المستقبل . وتشغل هذه المهمة
المقدسة جزءا كبيرا من طاقات طائفة الساتمار ويجوب رسلهم الاتحاد
السوفيتى السابق؛ ليقتنعوا اليهود بعدم الاتجاه الى أرض الميعاد ويقربونهم
الى طريق أمريكا ، حيث يجد أطفالهم مدارس مستعدة لقيادتهم الى حظيرة
اليهودية الصحيحة ، ويمتد نشاط هداية النفوس هذا الى بلاد أخرى ،
فقد نجحت منظمات الساتمار فى نقل بعض يهود ايران الى فيينا ، حيث
توجد مدرسة كبيرة تستوعب أطفالهم الصغار قبل هجرتهم النهائية
لامريكا ، وهم نشطون كذلك فى اليمن حيث يوفر لليهود الباقين فى
تلك البلاد المطبوعات المعانية للصهيونية؛ لاقتناعهم بعدم التوجه لاسرائيل .

وهكذا نرى أن الساتمار يوجهون تعصبهم الدينى نحو الأصغر سنا ،
فهم لا يهتمون باقناع بعض البالغين الذين أتلقتهم الحياة والذين ستكون
عودتهم الى الدين ذات طبيعة فاترة ، انهم يفضلون تشكيل نفوس
طازجة .

وهم على استعداد في صراعهم الدائم ضد أعداء التوراة أن يواجهوا كل سلطات العالم فماذا تساوى عدالة الانسان أمام العدالة الالهية ؟ وقد قامت دوائر الساتمار أكثر من مرة باخفاء أطفال انتزعوا من آبائهم الذين اعتبروا غير صالحين . وكانت أول وأشهر حادثة اختطاف من هذا النوع هى اختطاف الطفل يوسيلى شوشماخر والذي استغرق البحث عنه سنتين من العمل المصنى للمخابرات الاسرائيلية والأمريكية ، حتى أمكن تحديد مكانه في بروكلين ، بعد أن أخفى في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة .

وكانت بطلة هذه القصة الحزينة هى روث بلاو ، وهى فرنسية اعتنقت اليهودية وتزوجت الحاخام عهرام بلاو ، وهو رئيس جماعة « الناتوراي كارتا » المعادية للصهيونية في القدس والقريبة أيديولوجيا من الساتمار . ونظرا لأن جد الطفل يوسيلى لأمه لم يكن راضيا عن تمسك والديه بقواعد الدين بالجدية الكافية ، حيث كانا مهاجرين من الاتحاد السوفيتى ، فقد قامت روث بلاو بجر الطفل وقد البسته ملابس طفلة الى أوروبا ثم أمريكا؛ وكل ذلك حتى تضمن أن ينشأ الطفل حسب التعاليم الدقيقة للتوراة .

وقد أثار الحادث الخوف في العالم اليهودى ، فلم يكن أحد يظن أن يصل التعصب الدينى الى حد فصل طفل عن أمه ، وقد حاولت روث بلاو عبر بيان دفاعى طويل (٧) أن تصف عملية الخطف الخسيسة هذه بأنها كانت عملا بطوليا وتضحية ، ولكن لم يؤيدها الا مقال واحد ظهر في « الجويش هيرالد » في جوهانسبرج ونقل عن حاخام المدينة ويدعى كوسوفسكى قوله : « اذا كان الهدف هو انقاذ الطفل حتى يبقى يهوديا ، فان تصرف ناخمان ستراكس (جد الطفل) يعتبر سليما فمن واجب الطائفة أن تسهر على منح الطفل تعليما مناسباً » . وسأل الصحفي الحاخام كوسوفسكى ما اذا كان تصرف الجد مخالفاً لوصية الله « أكرم أباك وأمك » وهى أهم الوصايا فأجاب حاخام جنوب أفريقيا : « فى هذه الحالة هناك وصية أكثر أهمية وهى طاعة الله » ، وبعدها احتلت حادثة خطف أطفال أخرى مكان الصدارة فى الأخبار ، وانقضت ست سنوات هذه المرة قبل أن تجد المخابرات الأمريكية أطفال سيدة بلجيكية غدير

يهودية أودعهم أبوهم اليهودى عند طائفة من الساتمار فى الولايات المتحدة، بعد أن استيقظ ايمانه اليهودى فجأة ليعتنق أشد اشكال اليهودية أصولية .

والأصولية اليهودية فى القدس لها تاريخ طويل يزيد عن القرن ، وفى ١٨٧٤ كانت المدينة المقدسة مجرد مدينة فى ولاية عثمانية ، وخلف الأحجار البيضاء لأسوار السلطان سليمان القانونى العالية ، كان السكان المختلطون، يتحركون فى الشوارع الضيقة المعتمدة للسوق حيث تنتشر روائح التوابل . وبالقرب من باب دمشق ارتفعت لافتة بالفرنسية على مبنى جديد جاء بها « أو جوردان بون فان بون تابل » (عند الأردن نبيذ جيد ، طعام جيد) ، فقد افتتح فندق صغير فى هذه الأرض المقدسة لخدمة الأوروبيين الذين أخذوا يفدون على فلسطين فى السنوات الأخيرة ، فقد أخذت السفن تصل الى ميناء يافا كل أسبوع تقريباً وتنزل فى ظل قلعتها جماعات من الأغنياء الذين يمتلكون الثروة ، وقد حضروا ليعيشوا مغامرة الحياة فى الشرق . وتنقلهم العربات فى أقل من أربع ساعات الى القدس ، حيث يتابعون بالقبعات الكولونيات للرجال والقبعات العريضة للسيدات ، من حارة الى حارة مسيرة الصليب فى طريق الآلام المسقوف والسذى تنيره الفتحات القليلة .

وازداد عدد الطائفة اليهودية وأغلبها من الأرثوذكس فى القدس ، وبدأت العائلات الكثيرة تجد صعوبة فى العثور على مأوى ، ولذلك قامت جماعة صغيرة من المؤمنين بشراء قطعة أرض صحراوية شمال غرب جبل الهيكل على التلال القاحلة التى تحيط بالمدينة ، ووضع حجر الأساس وأطلقوا عليها ميثا شعاريم أى المائة باب وهى عبارة اقتبسوها من قراءة التوراة يوم السبت السابق : « وزرع اسحق فى تلك الأرض فأصاب فى تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب » (٨) . مئة ضعف .. وتعبر (ميثا شعاريم) بالعبرية عن الثقة بالمستقبل وكانت المائة باب هى أبواب المعابد التى ستبنى قريباً فى هذا الموقع الصحراوى .

وبعد سنة، كان قد تم بناء سبعة منازل وأصبح للجماعة الأرثوذكسية الصغيرة أسطورتها ، وفى أول ليلة قضاها هؤلاء الاتقياء فى منازلهم الجديدة لدغ عقرب أحد الأطفال فى أصبعه ... وفى تلك الساعة

المتأخرة كانت أبواب المدينة قد أغلقت ولم يكن ممكناً استدعاء طبيب ، ولكن الحاخام زلمان بهران معلم هذه الجماعة الصغيرة ومهندس المشروع ، اعتنى بالطفل وبقى الى جوار سريرته حتى شفى بعد بضعة ايام .

وفي عام ١٩٠٠ كانت (ميثا شعاريم) تضم مائة وعشرين مبنى ودارين لدراسة والعبادة ويثرين وسبعة منازل لاستقبال الغرباء ، وفي نفس الوقت بدأ يسكن في فلسطين يهود اوروبيون ذوو تصرفات غريبة ، اذ كانوا يسكرون ورؤوسهم عارية ولا يتناولون الطعام الحلال ، ويتحدثون عن انشاء وطن قومي على الاراضي المقدسة ! وانزعج سكان (ميثا شعاريم) بملابسهم السوداء واحترامهم المطلق للتوراة وترقبهم مجيء المسيح المنتظر من هؤلاء اليهود ذوي الاتجاهات الحديثة ، وتحول حيهم الى مركز الصراع ضد الصهيونية وقلب المعارضة للتأثيرات العثمانية .

وفي عام ١٩٢٥ ، نشأت في ميثا شعاريم تحت لواء الحاخام عهرايم بلاو جماعة الناتورى كارتا او حراس المدينة بالارامية ، وهى اشد الجماعات عداء للصهيونية ، وقد استمدوا اسمهم هذا من قصة تعليمية وردت في التلمود (كتاب حجيجه) ، وجاء فيها أن الحاخام يهودا الأمير أرسل بعض الحاخامات إلى فلسطين لتنشيط تعليم التوراة ، وفي احد المواقع لم يجدوا مدرسين للتوراة فسألوا عن حراس المدينة فأحضروا لهم رجال الشرطة فقالوا :

« أهؤلاء حراس المدينة ؟ انهم مدمروها !

— فمن هم حراسها اذن ؟

— انهم اساتذة التوراة . . . » .

وحراس المدينة على الطراز الحديث يعتبرون الصراع ضد الصهيونية هو مبرر وجودهم ، ويؤكد نشيدهم الرسمى عدم شرعية الدولة اليهودية اذ يقول :

الله ملكنا

ونحن خدمته

والتوراة شريعتنا

ولها نخضع

وحكومة الملحين لا نعترف بها

أما حكومة المسيح المنتظر

التي ستتبع التوراة فهي التي نعترف بها .

ولا تخدعنا سذاجة هذه العبارات ، غالتورى كارتا هم المعبرون عن أشد أعداء الصهيونية اليهود تعصبا ، وقد ازدادت هذه الحفنة من المتطرفين الخمسمائة أو الستمائة تطرفا منذ وفاة عمرام بلاو فى ١٩٧٤ ، اذ أصبحوا بلا رئيس حيث لم يفجح أورى بن عمرام فى السيطرة على هذه القوات غير المنضبطة والمتناثرة والتي تعمل دون أى تنسيق حقيقى ، ووصل تعصبهم المرضى الى حد قيام بعض أفرادهم بتدنيس قبور بعض الشخصيات الصهيونية .

ودون الوصول الى هذه الحدود ، فان الغالتورى كارتا يجمعون على القيام بأعمال رمزية تعبر عن الرفض ، ففما مضى طلبوا ضم حيههم الى الأردن ، كما طلبوا من حكومة النمسا منحهم الجنسية النمساوية بحجة أن امبراطور النمسا كان فى الماضى يسمى دوق القدس ! واليوم لا يشاركون فى أى انتخابات ولا يدفعون الضرائب ويرفضون الجنسية الاسرائيلية ، ويعتبرون عيد استقلال اسرائيل يوم حداد فيصومون ويرفعون الرايات السوداء على منازلهم ، فى الوقت الذى تحتفل فيه بقية البلاد . وحيث أنهم يؤمنون بضرورة تدمير دولة اسرائيل قبل مجئ المسيح المنتظر ، فانهم وصلوا منطقيا الى تأييد أشد مواقف منظمة التحرير الفلسطينية تشددا ، ويؤكدون شرعية الهجمات الارهابية بوصفها عقوبة عادلة للصهيونيين ، ويحطم حراس المدينة وهم متوقعون فى الجيتسو الخاص بهم فى القدس بصوت عال بالدولة الفلسطينية ، التي ستخلصهم من الأمة اليهودية .

وفى يوليو ١٩٩٤ استقبل أحد الغالتورى كارتا ، وهو الحاخام موشيه

هيرش ، ياسر عرفات فى أريحا بحرارة ...

وقد ابلغنى ابراهيم سليمان مدير وكالة الانباء الفلسطينية وفنا :
« ان الحاخام هيرش والرئيس عرفات يتقابلان بانتظام ، وتوجد بينهما
اتصالات منذ مدة وقبل بدء عملية السلام » .

ويقوم موشيه هيرش الى حد ما بدور مستشار عرفات فى « الشئون
اليهودية » ، وحيث ان حاخام ميئا شعاريم يؤيد اى اتفاق يخفف من
قبضة السلطة اليهودية على الارض المقدسة ، فانه لا يعتبر متطرفا من
وجهة نظر السلطة الفلسطينية ، وهكذا تقفل الدائرة : فمعاداة
الصهيونية الاشد تطرفا تلتقى مع يسار الابهاء المؤسسين للدولة ، وفى
انتظار مجيء المسيح المنتظر ليضع حدا للفوضى الانسانية .

خاتمة

المستقبل من منظور الماضي

منذ أربعة قرون تقريبا ، كان الحاخام يهوذا ليف مهارال براغ يقوم بدراسة تحليلية عن الخبز العظيم ، وهو الفطير الذى يأكله اليهود خلال أيام عيد الفصح الثمانية ، وفي تفسيره وصل الأستاذ الى أن هذا الخبز مصنوع من دقيق غير مخلوط بأى شئ آخر ... وهذا الطعام الذى يرمز للنقاء يذكر المؤمن بأن أساس الخلاص هو فى رفض الخلط أى احترام الوحدةانية . ومنحبح أن الاهتمام المرضى بالنقاء الدينى لا يعذب الا اقلية من بين الثلاثة عشر مليون يهودى فى أنحاء العالم ، ولكن هذا الطرف الصغير هو الجزء الأكثر ظهورا من اليهودية والأعلى صوتا كذلك . حيث إنه بعيدا عن هذه النواة تمتد الأرض المنبسطة من عدم الاكتراث .

يقول حاييم موزيكانت مدير المجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا أن العودة للإيمان المتكامل ، لا يمس الا وسطا محدودا دون أن يصل الى المحيط الخارجى :

« على الرغم من هذه العودة الى الممارسة وهذا البروز للعالم المتدين ، فإنه يكفى النظر الى عدد اليهود المتغمسين بشكل أو بآخر فى الجماعة ، فى المدارس أو حركات الشباب أو المنظمات ، لكى نلاحظ أنه لم يحدث انفجار فى أعداد المشاركين ، وهذا معناه أن تحديد هوية

اليهود عن طريق الكيانات المنظمة لم يزد ، وفي النهاية لم ينجح أحد في تجاوز دائرة معينة ، وهذا يعتبر فشلا عاما للجماعة .

وفي الواقع ، فإن الاندماج السريع قد يحول اليهود الى « جنس على وشك الاختفاء » حسب تعبير آفي بيكر مؤلف تقرير عن الديموجرافية اليهودية (١) . وفي جو التحلل هذا تعى الأرثوذكسية أنها تعتبر الخندق الأخير أمام خطر انحلال الشعب اليهودي .

وحيث أن المستقبل مخوف بالآخطار يجرى التخندق في الماضي ، وتمجيد الذكريات الأسطورية التي يتم على ضوءها تفهم المستقبل . ان التعايش مع الحاضر يقتضى قبول التغيرات التي تدفعها حركة نشطة متجهة للأمام ، ولكن البعض يفضلون الدخول الى المستقبل من منظور الماضي ، وتكتشف اليهودية الثنائية التي لا مشروع لها معتقداتها المريحة في نموذج التوقع الآتي من الماضي السحيق .

ومع نهاية هذا القرن حيث تزول الغشاوة عن العيون ، يصبح موت الأيديولوجيات أخطر في نتائجه من موت الاله الذي أعلن فيما مضى ، وفي عصر أصبح الشك فيه قيمة في حد ذاته تكون العودة الى نظام الحقيقة المطلقة ذات صدى جذابا لشباب تعوزه الحقائق ، ويحدث التوقع والانفصال تحت شعار عقائد مطمئنة لا تشتمل الا على اجسادات ، ولا يحتاج الأمر الى الاختراع او البحث فكل شيء جاهز وسهل ومباشر ، ولا مانع من الخضوع لآلف واجب طقسى في سبيل الحصول على راحة البال للفكر الموجه . وتدعى الأرثوذكسية المتطرفة أنها الفصيل النقي المستعد لخضاع حياته للتعقيدات اللانهائية للنير الالهى ، في حين يختار العلمانيون بدوافعهم الانسانية الطريق السهل . قال لى أحسد الأرثوذكس :

« عندما أكون في القدس فأتى أخقار السكن في حى يفلق يسوم السبت ؛ لآتى لا اطبق رؤية أخى اليهودى مستعبدا لشهواته وغير قادر على الانفصال عن العالم كما يقضى القانون » .

وعندما يستمع المرء للخطاب الدينى الاصولى المشوب بالخوف ، يدرك بسهولة مدى الراحة فى اتباع الشريعة بدقة ، فلم تعد هناك حاجة لتغيير أى شىء أو تعديله على يد الانسان فالعناية الالهية وحدها هى التى ستعدل مسار التاريخ ، وفى انتظار أن تفعل ، يكفى تنفيذاً الوصايا .

وبنفس الطريقة تردد الأرثوذكسية أنه لولاها لكان الشعب اليهودى قد اختفى منذ زمن طويل ، بعد أن ابتلعه الاندماج واغراءات الأيديولوجيات الكثيرة ، ولكن لعله بالعكس فإن اليهودى يؤدى دوره خارج الجيتو ، واذ يتحرر من عالمه المستقل فإنه يضيف الى العالم قليلاً من حكمته وقليلاً من ثقافته . واذ تحول الشعب اليهودى الى مجرد مجموعة غريبة الشأن من الناس الرافضين لكل الحركات الفكرية على مر العصور ، فإنه لم يستمر باقياً الا بفضل الانغلاق وعداء الأغيار ، واذا كان قد استطاع البقاء رغم انقلابات الحضارات وازدحام حبرا الى البناء الشامخ للانسانية ، فإن ذلك تم بفضل تجاوزه للفراغ الاثيرى للايمان .

وعلىنا ان نقرر هنا أنه حتى فى الاكاديميات التلمودية الأكثر انغلاقاً فإن الأصولية اليهودية الدينية النقية تكتفى دائماً بالانكفاء على نفسها دون محاولة النيل من الآخر ، وهناك سببان هامين أحدهما بنيوى والآخر تاريخى وقد منع هذان السببان العقيدة الأصولية من الطغيان ، ويتمثل السبب الأول فى أن هذا التدين المطلق القائم على التوراة والتلمود يفترض مستوى أخلاقياً رفيعاً ، أما السبب الثانى فيتمثل فى أن اليهود ولألفى عام لم يكن لهم استقلال عسكرى ؛ وبالتالي لم يتمكنوا من بناء قوة غازية ، فالأقلية المضطهدة ليس فى مقدورها الا الاحتباء وراء حائط أخلاقى مغلق .

وللأسف ! فإنه يكفى أن تعطى أرضاً لهؤلاء المؤمنين وأن يمسكوا السلاح بأيديهم ، حتى يتحول البعض منهم الى أصوليين قوميين ويحاولوا فرض أنفسهم بالقوة ، وحيث أن وجههم هو الله فإنهم قادرون على ارتكاب كل التجاوزات ؛ لأن خلافتنا الانسانية النافذة لا تساوى شيئاً

أمام التدبير الإلهي العظيم والذي يملكون وحدهم مفاتيحه وأسراره .
وان كانت اليهودية قد قدمت عبر القرون المثل الأخلاقي ، فان العنف هو الآخر كان جزءا من تاريخها ، ألم تعلمنا التوراة أن الاستيلاء على أرض الميعاد قد تم بالحرب ، وأن الملك داود كان يستخدم الاغتيالات لتحقيق مصالحه ؟ ففي إسرائيل وبعد الحصول على السيادة تستطيع الأصولية أن تتخذ أشكالا عدوانية .

ان الهدف الكبير ليهودية القرن الواحد والعشرين سيكون اذن محاولة اختراع المستقبل مع استمرار الاخلاص للماضي ، ففي الشتات يجب اعطاء مضمون لهوية تعرضت أسسها للخلل تحت تأثير الانقلابات في المجتمع . فماذا سنصنع ليهودية خرجت من الجيتو ؟ وعندما يوقد الحسيديون شمعدان هائلا في ميدان التروكاڤيرو ، فانه ليس من المؤكد أنهم يكملون فراغا في الهوية وانما يستبدلون باليهودية الفاعلة في الماضي يهودية مظهرية لا تحل شيئا ، ففي مجتمع متسامح من السهل اضافة علامة خارجية الى أخرى دون التعرض لاي خطر ودون مغزى .

ويبدو الأرثوذكس في باريس الكبرى في الوقت الحالي أكثر اهتماما بمضاعفة رموز الانغلاق من اهتمامهم بخلق يهودية منفتحة على المجتمع ، وحيث أنهم بصفة عامة لا يكثرثون كثيرا بدولة إسرائيل ، غانهم يعلنون يفخر أنهم ورثة طوائف الشتات التي اختفت ، ويحلمون صراحة بالجيتو الماضي الذي كان يحافظ على اغراءات العالم العلماني خارج الجدران ، ومع ذلك وعلى الرغم من مقاومتهم العنيدة فانهم على اتصال بالعالم الخارجي وتتحدد طبيعتهم على أساس حقيقة معروفة ، ولا يستطيعون بأي شكل مقارنة أنفسهم بالحريديين في إسرائيل الذين يتكئون داخل حيز مطلق .

لقد كان لانتخاب نتياهو في إسرائيل عدة أسباب ؛ ولكنها تكشف قبل كل شيء كيف يلتف جزء من المجتمع حول قيم الخوف من الإستير للأمام ، والخوف من التحول الى «دولة مثل بقية الدول» ، إن هذا التعبير الذي يكرره الصهيونيون الديننيون كثيرا هو أمر غير منطقي تماما ومثله مثل

انغلاق المعادين للصهيونية داخل الجيتو ليحموا أنفسهم من المؤثرات الخارجية . ومن من الشعوب أو الدول تستطيع أو تريد أن تقول بفخر انها «مثل الآخرين»؟ فالكل لهم تاريخهم ولهم خصائصهم التي تحدد مصيرهم ، ومن الواضح أن كل شيء يمكن أن ينقلب عندما نضع يد الله أو انتظار مجيء المسيح المنتظر فوق المغامرات الانسانية ، حيث يمكن عندئذ تبرير التجاوزات بالقوة العليا الغالبة . ويستريح الأرثوذكس في اسرائيل في مهمتهم الخلاصية الى الهوة المتزايدة بين المؤمنين والعلمانيين بعد حرب الأيام الستة ، فالدينيون يعتبرون أنفسهم بعدها الحراس الوحيدين للتقاليد والمحاربين المخلصين دون غيرهم . كتب البروفيسور الارثوذكسي أفراهام رافيتسكى من الجامعة العبرية في اورشليم يقول : « قبل ١٩٦٧ كان الصهيونيون العلمانيون هم الذين في السلطة وكانت تتكون منهم الطبقة السياسية الحاكمة وكانوا على رأس الجيش ، أما الأرثوذكس فكانوا حراس الشريعة والتوراة .. ولكن الاستيلاء على حائط المبكى جعل الدينيين هم حملة العلم لصهيونية تضمن استمرارها المستوطنات الدينية في «الأراضي» ... » (٢) .

وفي الوقت الحالي ، هذا انتصار اليمين من مخاوف القوميين الاسرائيليين من احتمالات تهديد المستوطنات في يهوذا والسامرة ، وكذلك يرضى أغلب الأرثوذكس لأن استمرار السيطرة اليهودية على الأراضي التوراتية في المرحلة السابقة على مجيء المسيح المنتظر ، يؤكد اقتراب نهاية الزمان وساعة الخلاص المرتقبة .

وماذا بعد ؟ فعندما ينتهي فتناهو من مواقف الرفض الرمزية ، وعندما تدفعه البراجماتية والضغط الأمريكي الى متابعة عملية السلام بشكل جدي ، سيزداد اليأس لدى القوميين والأرثوذكس ساعتها وتزداد ردود أفعالهم عنفا . فمن الذي سيسيطر على أولئك الذين يعتقدون أن الله ذاته هو الذي يأمرهم بالعصيان المدني ، ولديهم من التقاليد اليهودية ما يبرر أوهامهم ؟ ، فابن ميمون المفسر الكبير في القرن الثاني عشر قال بأنه لو أصدر ملك اسرائيل أمراً يخالف قوانين التوراة ، فعلى المؤمن أن يرفض تنفيذ مثل ذلك الأمر .

وتزداد خطورة الأمر بسبب ان الأصوليين اليهود في اسرائيل ، قد اظهروا قدرة غريبة على الاندماج ، فباستثناء قلة من المتشددون مثل حسيدي ساتمار وجماعة ناتوري كارتا ، فان التيارات الأرثوذكسية المختلفة تتبع طريقا سيؤدي بها في المستقبل الى أرضية مشتركة الا وهو اقتناعها جميعا بقرب مجيء المسيح المنتظر ، واذا كان حسيديو اللوبافيتش هم الأعلى صوتا في القول بقرب مجيء المسيح المنتظر ، فان بقية الفئات الدينية قد اقتنعت بهذه الفكرة ، فاذا كان المخلص على وشك الظهور ، فان كل التناقضات الظاهرية تكون مبررة ؛ لانها تهيب العالم والأرض المقدسة لاستقبال مبعوث الله .

وعند الحريديين نجد اعادة نظر في المعتقدات بأعمال حد أدنى من الواقعية ، فالتشباب لا زالوا يرفضون الصهيونية السياسية التي يعتبرونها معادية للدين ؛ ولكنهم خففوا من عدائهم المبدئي لوجود دولة اسرائيل ، وحتى في بني براك ، المدينة الدينية على مشارف تل أبيب ، يؤدي بعض الاساتذة الخدمة العسكرية ويفتخر طلبتهم ببطولة هؤلاء الجنود الأرثوذكس .

اما الاتجاهات الأشد تطرفا من الصهيونية الدينية ، فتطبق النموذج الليتواني في الانغلاق على كل القيم العالمية والانتواء على معتقداتهم الخاصة ، وقد اداروا ظهورهم بتصميم الى الدينامية الجديدة للصهيونيين الدينيين في اول القرن وخلال العقود الأولى من نشأة دولة اسرائيل . وكان المطلوب وقتها هو التعبير عن فكر يهودي جرى يتمشى مع الانقلابات التاريخية ، اما الآن فيجب تحقيق المصادقية برفض كل ما لا يطابق النموذج الأصلي وكل التأثيرات التي تعمل على تلويث النقاء الأصلي لليهودية ، وهذا الشكل المتطرف قد استطاع البقاء في بعض الأحياء المغلقة تماما في بروكلين ، ولكنه لم يترعرع الا في اسرائيل سواء في القطاعات الأرثوذكسية المتطرفة أو في المستوطنات الدينية في يهودا والسامرة .

وهكذا ، فعلى عكس المتوقع فان فلسفة الجيتو تجد من الأسهل لها الاستمرار في اسرائيل ، فالأصوليون بسبب تصميمهم على إقامة حضارة

يهودية أصيلة يتحصنون في عالم من صنع خيالهم ، فهم على سبيل المثال يرفضون الاعتراف ، باستخدام التقويم المدني ويحسبون الأيام والشهور والسنين طبقا للتقويم التوراتي القديم . ويساعد على استمرار عقلية المحاصرين هذه الشعور بأن الدياسبورا معرضة لكارثة في المستقبل ، فالأرثوذكس مقتنعون جميعا بأن اليهودية خارج إسرائيل ستندثر في وقت قريب تحت تأثير الاندماج ومعاداة السامية ، وأنه لن تبقى سوى بعض الجزر الدينية المنعزلة ؛ وأن واجبهم لذلك هو أن يحافظوا على النقاء اليهودي بكل عناد ، والا يسمحوا لآية قوة على الأرض أن تقف عتبة في هذا الطريق المؤدى الى زمن مجيء المسيح المنتظر .

هوامش

تمهيد

الأوجه المختلفة للتوحيد

(١) Cite par Martine Gazlan, Pour comprendre l'intégrisme islamique, Ed. Albin Michel 1995.

(٢) سفر التثنية ، الأصحاح ٢٠ العدد ١٩ ..

(٣) Bernatd Lazare, l'Antisemitisme sot histoire et ses causes, Leon Chailley editeur, 1894. Reedité aux éditions de la Différences, 1982.

(٤) على العكس من الوضع عند الكاثوليك فإن التعبير « تقليدي » يطلق عند الطائفة اليهودية على أولئك الذين يمارسون الدين باعتدال .

(٥) Djura, La Saison des narcisses, Ed. Michel Lafon, 1993.

(٦) Ilan Greilsammer, Israel, Les hommes en noir, Presses de la Fondation national de sciences politique.

الفصل الأول

نهاية العالم للسيكارين (حملة الخناجر) أو جنور الأصولية

(١) Interview au Figaro littéraire, 16 septembre 1991.

(٢) سفر الخروج ، الأصحاح ٢٢ العدد ٢٧٠ .

(٣) Cf. Jacques Pirenne La. Societe hebraique d'apres la Bible, Ed. Albin Michel, 1965.

(٤) Cite par Liebman et Don Yehiya Judaism and Civil Religion in Israel. Judaism and Political Culture in the Jewish State, University of California Press, Berkeley, 1983.

(٥) Cf. Marius Schattner, Histoire de la droite israelienne Ed. Complexe, 1991.

الفصل الثاني

العودة الى الجيتو أو صعود الأرثوذكسية في فرنسا

(١) Cf. François Pietri, Napoleon et les Israelites, Ed. Berger Levrault, 1965.

In Simon Schwarzfuchs, Les Juifs de France, Ed. Albin (٢)

Michel, 1975.

Ed. Belfond, 1987. (٣)

In Cactus, mensuel du mouvement de jeunesse Tagar, (٤)

Janvier 1995.

(٥) تصريح لمجلة لنفور ماسيون جوفى عدد أبريل - مايو ١٩٩٦ ، وقد نشر شمويل تريجاتو مؤخرًا في منشورات ستوك « منفى بلا عودة ؟ ، تأملات بشأن الطائفة اليهودية في فرنسا » .

(٦) منشورات دو سيفر ١٩٩٢ .

(٧) تصريح لجريدة الموند في ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧ .

(٨) اقتباس النوفيل أوبسيرفاتير في ٩ يونيو ١٩٩٤ .

(٩) في اكتواليتيه جوفى في ١٦ مايو ١٩٩٦ .

الفصل الثالث

لنتقابل العام القادم في اورشليم أو إسرائيل كما نرى من فرنسا

(١) سفر اشعيا الاصحاح الحادى عشر العدد ١٢ .

Andre Spire, Souvenirs a batons rompus, Ed. Albin Michel, (٢)
1962.

(٣) تصريح لمجلة اكتواليتيه جوفى في أول فبراير ١٩٩٦ .

(٤) اقتباس جريدة جيروزاليم بوست في ٢٨ يناير ١٩٩٦ .

(٥) في ألبرت المجلة الشهرية لبيرو فرنسا في ديسمبر ١٩٩٢ .

(٦) وفي نفس الفترة ، أى خلال سنتين ، اختار حوالى ثلاثة آلاف يهودى فرنسى من جميع الاتجاهات السياسية العيش في إسرائيل .

الفصل الرابع

ابواق صهيون أو الأرثوذكس في إسرائيل

(١) اقتباس اكتواليتيه جوفى في ٢١ ديسمبر ١٩٩٥ .

(٢) عدد أول أغسطس ١٩٩٥ .

(٣) في ١٨٩٧ أعلن ٩٦٦٪ من اليهود الروس أن اليديش هي لغتهم الأم ، وفي تعداد ١٩٢٦ كان ٧٦٪ من يهود أوكرانيا و ٩٠٪ من يهود روسيا البيضاء و ٤٨٪ فقط من يهود روسيا المركزية يتحدثونها . وفي بولندا حيث كانت لغة الكلام هي معيار

القومية سجل ٧٢٪ ممن يعتنقون الديانة اليهودية على أنهم من القومية اليهودية في ١٩٢١ ، أما في المجر في نفس الفترة فقد أعلن ٤٪ فقط من اليهود أن اليديش هي لغتهم الأم . وقبل الحرب العالمية الثانية بخمس سنوات كتب البروفيسور آرثر روبين المستول عن الدراسات الاجتماعية اليهودية في الجامعة العبرية بالقدس يقول : « لازالت اليديش سائدة بين الجيل القديم في حين يتبنى الشباب بسرعة اللغة الوطنية » .
- اقتباس من « اليهود في العالم الحديث » الناشر بايو في ١٩٢٤ .

In Le Juif errant est arrive, Ed. Albin Michel, 1930. (٤)

(٥) كان هذا تعليق الحاخام صوفر في ١٨٢٣ عندما كان يقدم شكر الطائفة في بريسبورج للحكومة بشأن اعتزامها تحرير اليهود (اقتباس هليل ليختنشتاين في كتاب « الفكر حول الفقر » المنشور بالعبرية في كولوميا في غاليسيا في ١٨٨٠) .

(٦) من طرق الحياة أو السلام وهي مقالات وعظات للحاخام حاييم اليازار . شاپيرا منشورة بالعبرية في موفكاتش في ١٩٤٠ .

(٧) درست مارتين تيميست هذه الظاهرة ويصفها عامة الصهيونية الدينية بدقة شديدة في رسالة غير منشورة عنوانها (الاتجاهات القتالية الدينية الجديدة في اسرائيل) ، جامعة باريس في نانتيير في يناير ١٩٩٦ .

(٨) تصريح للجيروزاليم ريبورت في ٢٤ فبراير ١٩٩٤ .

(٩) رقم اعطاء ايتامار فارهافتيج الاستاذ بجامعة بار ايلان وياكوف شاتس مدرس ويصلان من ذلك الى النتيجة « من الممكن وجود دولة متمشية مع التوراة » من جريدة ها آرتس في ٢٤ نوفمبر ١٩٩٥ .

(١٠) من مقال لنتي جروس عنوانه « هيد تو بلاك » (الاتجاه الى الاسود) منشور في مجلة الجيروزاليم بوست في ٢٣ فبراير ١٩٩٦ .

الفصل الخامس

طريق ابراهيم او الصهيونيون الدينيون

(١) فيما يتعلق برايين يشير دافيد اكسلرود الى الهجرة على الالمانيا ، اما بشأن بنيامين نتنياهو فالصحافة الاسرائيلية التي تهتم كثيرا بالفضائح ، قد كشفت الكثير من خياناته الزوجية .

(٢) سفر تكوين الاصحاح الثالث عشر العددان ١٤ و ١٥ .

(٣) من « باج ليبير » (صفحات حرة) ٢٩ اكتوبر ١٩٠٤ .

In 'Sionisme et Messianisme' Cahiers de l'Institut pour (٤)
l'etude du monotheisme, Ed. Synthesis, Geneve. 1954.

(٥) منشورات دو سي ١٩٦٨ .

(٦) اقتباس من رياليتيه في نوفمبر ١٩٩٣ .

(٧) خلال عام ١٩٩٥ انتقل ٧٧٠٠٠ يهودي للمعيشة في اسرائيل وطبقا لاحصاءات وزارة الاستيعاب الاسرائيلية ، كان ٦٥ ألفا منهم من الاتحاد السوفيتي السابق . و ٣٣٥٠ من أوروبا أغلبهم من الفرنسيين ، و ٢٧٠٠ من الولايات المتحدة ، و ١٧٢٠ من الكوبيين ، و ٩٥٠ من الأرجنتين ، و ٢٠٠ من جنوب أفريقيا ، و ٢٠٠ من البرازيل .

(٨) تصريح للأنفور ماسيون جوف في ١٩٩٥ .

(٩) Cf. Simon Epstein, *Les Chemises Jaunes*, Ed. Calman Levy 1990.

(١٠) Cite par Chalom Cohen in *Dieu est un baril de poudre*. Ed. Calman-Levy, 1989.

(١١) اقتباس اکتواليتيه جوف في ٢٥ يناير ١٩٩٦ .

(١٢) من ألبرت جريدة الهيرو دي فرانس عدد يونيو - يوليو ١٩٩٤ .

الفصل السادس

بيانات الايمان أو انحراف اللوفايتش

(١) عدد ١١ مارس ١٩٩٦ .

(٢) من أوفير المجلة الشهرية للمتحدثين بالفرنسية في اسرائيل وحسب تعاليم الحاخام نفى أبريل ١٩٩٦ .

(٣) مقتبسة في اسبوعية الجيمانز جورنال في نيويورك ، في ٢٦ أبريل ١٩٩٦ .

(٤) In *Les Grands Courants de la Mystique Juive*, Ed. Payot, 1946.

(٥) تصريحات موجهة الى موشيه كاتساف وزير النقل في حكومة اسحق شامير ونشرت في مجلة بيت ماشيح في مارس ١٩٩٥ .

(٦) من الجيروزاليم بوست في ١١ مارس ١٩٩٢ .

(٧) اقتباس الجويش ويك في نيويورك في ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ .

(٨) عدد ٤ يناير ١٩٩٦ .

الفصل السابع

الكلاشنيكوف ونير الرب أو المتطرفون الأمريكيون

(١) ٩ يوليو ١٩٩٣ .

(٢) معلومات نقلا عن الجويش ويك في نيويورك في ٨ أبريل ١٩٩٤ .

(٣) تصريح لجريدة نيويورك نيوزداي في ١٠ يناير ١٩٩٤ .

(٤) اقتباس من تقرير ١٩٩٥ لعصبة معاداة التشهير في نيويورك بعنوان (التطرف باسم الدين : السجل العاصف لحركة كاهانا وخلفاؤها) .

(٥) أكثر من نصف مليون اسرائيلي هاجروا من اسرائيل منذ ١٩٤٨ أولا الى الولايات المتحدة (٣٧٥٠٠٠) وكندا (٤٠٠٠٠) وفرنسا (٤٠٠٠٠) والمملكة المتحدة (٣٠٠٠٠) وجنوب افريقيا (١٠٠٠٠) . المصدر : التقرير الديموجرافي الذي أعده افى بيكر للمؤتمر اليهودي العالمي ونشر في الجيروزاليم بوست ، الطبعة الفرنسية في ٢٠ فبراير ١٩٩٦) .

(٦) التعبير مأخوذ عن ماكس نورداو وهو أديب لمساوي مقيم في فرنسا وصديق لتيودور هرتزل ومن أوائل الصهيونيين ، كتب يقول : « ان لدينا الآن عددا كبيرا من العمال اليهود ؛ ولكن الأصحاء نسبيا والذين يقضون اليوم كيفما اتفق وعند حلول المساء يعتبرونها معجزة أن يجدوا بعض اللقيمات لهم ولن يعولون » . انى تؤكد أن اللوفتمينش هو طراز يهودي أساسا (٠٠٠) وهو أمين تماما ويريد أن يعمل وقادر على ذلك ولكنه محروم بشكل شبه رسمي من أى عمل منتج . وعدد كبير من « الرجال في الهواء » يكونون شعبا في الهواء ، والحقيقة أن الشعب اليهودي هو شعب في الهواء : وذلك بالضبط لأنه لا يمتلك أرضية اقتصادية متينة ويعيش كالرجل في الهواء من يوم الى يوم بفضل المعجزات والصدق العجيبة لا بفضل العمل المنتظم المضمون » . (من « كتابات صهيونية » لماكس نورداو ، الناشر مكتبة ليبشوتس في ١٩٣٦) .

(٧) في Tribute to rabbi Meir Kahane, edite par Kahane Chai, Brooklyn, 1990.

(٨) اقتباس من تريبون جويك في ٢٥ يناير ١٩٩٦ ، ويقدر السيد برجتان أن عدد اليهود في الولايات المتحدة بأكملها عام ٢٠٧٦ سيكون ٩٤٤٠٠٠ ، وهو تقدير تعارضه الأستاذة فيليان كلاف من جامعة ديلاوير والتي تقدر أن اليهود سيتناقصون بمعدل ١٥٪ في السنة ليصل عددهم بعد خمسين سنة الى أربعة ملايين ، وتؤكد « ان معدل بخصوصية منخفض مع تركيبة سكانية مرتفعة السن ومعدل استيعاب مرتفع جدا ستؤدي بلا شك الى انخفاض عدد السكان » .

(٩) اقتباس من انفورماسيون جويك في مارس ١٩٩٦ .

(١٠) In Coalition, News and Currents in Agudath Israel of America and the World of Torah Action, New York, avril 1996.

(١١) « Rupture and Reconstruction : The Transformation of Contemporary Orthodoxy » par Haym Soloveitchik. Tradition, 1994.

الفصل الثامن

في أعقاب المسيح المنتظر أو التعصب المعادي للصهيونية

(١) خطاب مؤرخ ١١ أغسطس ١٩٤٤ اقتباس ايمانويل هيمان في كتاب « معسكر نهاية العالم » ، الناشر فاغر بلوزان ١٩٨٤ .

(٢) من تقرير ماركوس فيلر شميدت في ١٥ يونيو ١٩٤٥ محفوظ بأرشيف الجوينت بنيويورك .

(٣) من « أَيْخمان في المجر » وثائق نشرها ينوليفي ، الناشر يانوتيا في بودابست في ١٩٦١ •

(٤) بعد الحرب وجه نقد شديد لريسو كاستتر لأنه أعطى الأولوية لانقاذ عائلته واصدقائه السياسيين ، وجرت مناقشات كثيرة في اسرائيل حول هذه القضية كما نظرتها المحاكم في قضايا بلا نهاية ، وفي ١٩٥٧ اغتيل كاستتر رميا بالمرصاص في أحد شوارع تل أبيب •

(٥) اقتباس لنادر في « التقوى والسياسة : قضية حاخام ساتمار » في جودايزم ١٩٨٢ المجلد ٢١ •

(٦) مقتبس في الجيروزاليم ريبورت في ٢٠ يونيو ١٩٩٤ •

(٧) روث بلاو حراس المدينة ، قصة حرب مقدسة • الناشر فلاماريون ١٩٧٨ •

(٨) سفر تكوين الأصحاح السادس والعشرون ، العدد ١٢ •

خاتمة

المستقبل من منظور الماضي

(١) تقرير مقدم للجمعية العامة للمؤتمر اليهودي العالمي المنعقد في أورشليم في يناير ١٩٩٦ ، ويحسب هذه الدراسة فان اسرائيل هي البلد الوحيد تقريبا الذي يزداد فيه عدد اليهود حتى بدون حساب الهجرة ، والبلدان الأخرى هي كندا التي تضاعف فيها عدد اليهود خلال ٢٠ عاما والمانيا حيث تضاعف عددهم خلال ٢٠ عاما وبناما وهونج كونج ، وفي هذه الحالات ترجع الزيادة الى الهجرة ، وفي كل مكان آخر ينخفض عدد اليهود •

(٢) منشور في اكترواليتيه جوييف في ٨ فبراير ١٩٩٦ (•

(٣) من الجويش كرونكل في أول ديسمبر ١٩٩٥ •

ثبت بالكلمات العبرية

أجودات إسرائيل : حرفيا « اتحاد إسرائيل » تأسس في ١٩٠٩ في ألمانيا على أساس ديني معاد للصهيونية ، واثناء الحرب العالمية الثانية اتخذ موقفا أكثر تساهلا تجاه هجرة اليهود الى فلسطين ، وبعد ١٩٤٨ دخل الكنيست مع اعتبار نفسه حزبا غير صهيوني ، ويعتبر أجودات إسرائيل اليوم واحدا من أهم الأحزاب الأرثوذكسية المتطرفة .

أرثوذكسية : اسم عام يضم كل الحركات اليهودية الدينية المتطرفة .

أرقس إسرائيل : حرفيا « أرض إسرائيل » وهي تعنى في المفهوم الدينى إسرائيل كما وردت في التوراة دون التقيد بالدولة الحديثة .

أشكيناز : (وجمعها أشكينازيم) وتعنى حرفيا « المانى » وهو يطلق على اليهود الذين نشأوا في البلاد الأوروبية (ألمانيا والاندلس وأوروبا الوسطى) والملاحظة الغربية ان اليهود ينسبون أنفسهم إلى ألمانيا وأسبانيا (انظر سيفراد) وهما البلدان اللذان تعرضا فيهما الى أشد المعاناة .

بوند : اتحاد العمال اليهود في روسيا وبولندا وليتوانيا ، وهي حركة يهودية ثورية كبرى تأسست في ١٨٩٧ في إطار الحركة الاشتراكية السرية الروسية .

بيتار : الحروف الأولى من العبارة العبرية بريث هاتوار الشيم يوسف ترامبلدور ، أى اتحاد الشبيبة على اسم يوسف ترامبلدور ، وهى حركة للشبيبة الصهيونية اليمينية (ترامبلدور بطل وطنى قتل فى ١٩٢٠ أثناء نضاله من أجل فلسطين يهودية) .

تساهال : الحروف الأولى للكلمات العبرية تسافا هاجانا ليسرائيل أى جيش الدفاع الاسرائيلى .

تقليدية : التيار الذى يضم أغلبية اليهود ، ويمثل الطريق الوسط بين الليبرالية والارثوذكسية .

تلمود : (من الفعل لاماد بمعنى يدرس) ، وهو عمل كبير كتب بين القرنين الأول والخامس (بعد الميلاد) ، وهو يجمع التقاليد الشفوية التى تلقاها موسى على جبل سيناء وكذلك تعاليم وتعليقات الأساتذة ، وهو يضم الميثنا والجيمارا (ارجع لهاتين الكلمتين) ، وتوجد صورتان من الجيمارا وهما تلمود اورشليم وتلمود بابل ، وكان للقصص والمناقشات القانونية والأمثال والمبادئ الأخلاقية التى وردت فى التلمود أثر حاسم على الفكر اليهودى فى المرحلة اللاحقة للتوراة .

توراة : حرفيا « التعاليم » وهى تضم بالمعنى الضيق الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى (التكوين والخروج واللاويين والعدد والثنية) ، وبمعنى أوسع تضم التعاليم الأساسية لليهودية بما فى ذلك التقاليد والتعليقات التى أضافها الأساتذة فيما بعد . وتقول التقاليد ان الله أعطى لموسى على جبل سيناء التوراة المكتوبة وكذلك التوراة الشفوية ، ويشرح ابن ميمون أحد كبار المفسرين فى القرن الثانى عشر الأمر قائلا : « لقد أعطى الله لموسى كل وصية ومعها تفسيرها ، فكان ينطق له الوصية ثم يشرح له كل ما يتعلق بها وعند نقل التوراة الى الشعب كتبت الوصية ولكن تفسيرها نقل شفاهة » .

تيشوفنا : حرفيا « اجابة » وهى تعنى بالنسبة لليهودى العودة الى الدين بعد أن كان بعيدا عنه أو التوبة .

جالوث : نفى الشعب اليهودي أو السبي .

جوى : (وجمعها جوييم) حرفيا « أمة » وهى تعنى فى الاستعمال الدارج غير اليهود أو الأغيار .

جيهارا : (وهى تعنى فى نفس الوقت « ينهى » و « يعلم ») وهى العمل الذى يضم المناقشات والتفسيرات للميشنا (انظر هذه الكلمة) ، وهى جزء من التلمود .

حائط المبكى : هو الحائط الذى تقول التقاليد انه آخر ما بقى من الهيكل الثانى فى اورشليم ، وان أحجاره السفلى تنتمى أصلا للهيكل الأول ، وهو فى واقع الأمر الأساس الغربى لفناء الهيكل الذى بناه الملك هيرودس . وتحكى أسطورة أنه عند بناء هيكل الملك سليمان كسفت الفئات المختلفة من السكان بتنفيذ الأعمال وكان الحائط الغربى من نصيب الفقراء وهؤلاء لم يكن باستطاعتهم استئجار العمال فقاموا بالبناء بأنفسهم ، وعندما التهمت النار الهيكل فيما بعد حمت الملائكة هذا الحائط قبائلين : « ان نتاج عمل الفقراء هذا لن يدمر » . وقد سمي هذا الحائط « حائط المبكى » ؛ لأن اليهود يكون بجواره منذ قرون على هدم اورشليم .

حريد : (وجمعها حريديم والصفة منها حريدى) وتعنى حرفيا « المرتعشون » أى الذين يرتعشون خوفا من الله وتستعمل لوصف اليهود الأرثوذكس المتطرفين وخاصة فى اسرائيل وليسوا صهيونيين .

حسيد : (جمعها حسيديم) وتعنى حرفيا « الأتقياء » وهم اتباع الحسيدية وهى التيار الذى أسسه فى بولندا فى القرن الثامن عشر اسرائيل بعل شيم توف وهو يركز على الحس الدينى بالفرح والترنيم والرقص أكثر من المعرفة الباردة للنص المقدس ، وتضم الحسيدية عدة مدارس تتجمع كل منها حول حاخام هو قائدها المطلق والذى تنسب اليه قدرات خارقة .

ديجيل هاتوراه : حرفيا « علم التوراة » وهو حزب ديني تأسس في ١٩٨٨ واتجاهه أشكيناى ليتوانى .

راف : (وجمعها رافانيم) وهو اللقب الذى يطلق على معلم كبير ، وفى تعبيرات الأرثوذكس يقابل أو يعارض « حاخام » وهو اللفظ الذى يطلق على الموجه الروحي لجماعة تقليدية .

ساتمار : حركة حسيدية معادية للصهيونية بعنف ، ونشأت فى مدينة ساتو مارى الرومانية حاليا ، وكانت قبل ذلك فى المجر وكسان اسمها ساتمار .

سيفاراد : (وجمعها سيفارديم) وتعنى حرفيا « إسباني » وهو يطلق على اليهود الذين نشأوا فى بلاد الشرق وأفريقيا الشمالية وهم الذين طردوا من إسبانيا فى ١٤٩٢ (مع عرب الأندلس - المترجم) فاستقروا حول حوض البحر المتوسط .

شاس : وهى الحروف الأولى من الكلمات العبرية « السيفارديم المحافظون على التوراة » وهو حزب ديني اثنى تأسس فى ١٩٨٤ .

شبات : السبت ، وهو اليوم السابع فى الأسبوع اليهودي ، أى اليوم الذى استراح فيه الرب بعد خلق العالم ، ويبدأ من ساعة الغروب يوم الجمعة حتى ساعة الغروب يوم السبت . وهو يوم مقدس لليهودى المتدين لا يجوز أن يقوم فيه بأى عمل مثل الكتابة أو ركوب سيارة بل ولا حتى أن يوقد نارا ... الخ .

شتيتل : وتعنى حرفيا باليديش « المدينة الصغيرة » ، وهى القرى اليهودية فى أوروبا الوسطى .

شولحان عاروخ : وتعنى حرفيا « المائدة المعدة » وهى مجموعة المبادئ والقواعد التى تنظم حياة اليهودى المتدين ، وأُعدها فى أوائل القرن السادس عشر جوزيف كارو ، وهو معلق ولد فى إسبانيا وعاش فى صند بفلسطين .

شواح : وتعنى حرفيا « الكارثة » وتطلق على الحل النهائي وهو الإبادة المنظمة لليهود على يد النازي ، ويستعمل هذا التعبير بدلا من « إبادة الجنس » أو « الهولوكوست » ؛ لأن التعبير الأول عام جدا ، والتعبير الثاني غير مناسب ؛ لأن كلمة هولوكوست تعنى ذبيحة لله ، أما الكلمة العبرية التي تستخدم على نطاق واسع فتحدد بدقة مصير اليهود تحت حكم الرايخ الثالث .

عاليا : وتعنى حرفيا « الصعود » والمقصود « الصعود » لإسرائيل . للاقامة بها . (والأصل في تعبير الصعود هو الصعود إلى اورشليم ، حيث كانت مبنية على جبل صهيون ويصعد الذهاب إليها الجبل — المترجم) .

كاشير : كل ما يسمح دينيا بأكله (كاللحم والنبيد الخ) ، أو باستخدامه (مثل الكتب وملفات التوراة الخ) .

كاشروت : القواعد التي تحدد ما هو كاشير .

كفيسيت : وتعنى حرفياً « التجمع » ، وهو البرلمان الاسرائيلي والذي يضم مائة وعشرين عضوا وينتخب كل أربع سنوات ، ويعطى نظام التمثيل النسبي المطلق في إسرائيل أهمية غير عادية للأحزاب الصغيرة ، مما سمح لها في الماضي بتحديد الأغلبية أو إسقاطها ، ويساعد نظام انتخاب رئيس الوزراء بالتصويت العام والذي أقر في ١٩٩٦ على التقليل من ذلك النفوذ .

كيبا : (وجمعها كيوت) هي الطاقية التي يغطي اليهود المتدينون بها رؤوسهم اجلالا لله ، وهي تعبر كذلك عن الانتماء إلى تيار معين ، فالأرثوذكس يرتدون كيبا سوداء كبيرة ، أما الصهيونيون المتدينون غيرتدون كيبا مشفولة وملونة ، ويرتدي أتباع الأرثوذكسية الجديدة الأمريكية كيبا صغيرة من الجلد الأسود .

كيبور : عيد الغفران وهو مخصص للصلاة والصيام .

ليبرالية : تيار يميل الى تطويع قوانين الشريعة اليهودية لتتلاءم مع العالم الحديث ، فبعض الصلوات تتلى بالفرنسية ، ورسمت بعض النساء حاخامات ، وخففت بعض قواعد الكاشروت ، وكذلك بعض قواعد راحة السبت ، وهو تيار اقلية في فرنسا واسرائيل ، ولكن التيار المناظر في الولايات المتحدة ويدعى الريفورم تيار كبير .

لوبافيتش : هي الحركة الحسيدية حيد (الحروف الأولى من الكلمات العبرية حيسيد وبيننا ودات وتعنى الحكمة والذكاء والمعرفة) وقد تأسست واستمرت لمدة طويلة في مدينة لوبافيتش قرب فيتسك بروسيا البيضاء ومقرها منذ ١٩٤٠ في بروكلين بنيويورك .

ليتواني : تيار أرثوذكسى مصدره ليتوانيا وله الأغلبية في الاكاديميات التلمودية اليوم ، ويركز على الدراسة المدققة للنصوص واستخدام المنطق بعيدا عن الغيبية ، وهو يعارض الحسيدية .

ليكود : اتحاد اليمين الاسرائيلى الذى تأسس في ١٩٧٣ .

مزراحي : اختصار الكلمات العبرية مركز روحانى (بنفس المعنى بالهربية) وهي حركة صهيونية دينية وعقدت اول مؤتمر عالمي لها في بريسبورج — حاليا براتسلانا — في ١٩٠٤ وانشأت بعد ذلك بعشر سنوات فرعا فلسطينيا في يافا . وقد حلت في ١٩٦٤ لتندمج في الحزب الجديد المفدال وهو حزب وطنى دينى .

مفدال : الحزب الوطنى الدينى الذى تأسس في ١٩٦٤ .

ملح : وهي الكلمة العربية ، وهو الحى اليهودى في مراكش ولا شك في أنه سمي كذلك بسبب ضريبة الملح التى كانت مفروضة على الطائفة اليهودية .

ميتسفا : (وجمعها ميتسفوت) وصية الله في التوراة ، وقد أعطى الله اوسى ٦١٣ ميتسفوت على جبل سيناء .

ميشنا : (من الفعل شانا أى يتعلم) مجموعة القوانين التوراتية والتفسيرات والتعليقات ، التى طورها ورتبها حاخام الجليل يهوذا هناسى (الذى عاش من ١٣٥ حتى ٢٢٠ م) وتعتبر جزءا من التلمود .

ناتورى كارتا : تعبير ارامى يعنى « حراس المدينة » وهى جماعة أرثوذكسية متطرفة فى اورشليم وهى على رأس محاربة الصهيونية .

هاجانا : وتعنى حرفيا « الدفاع » وهى حركة الدفاع اليهودية فى فلسطين قبل انشاء الدولة ، وهى تابعة للتيار العمالى .

هالاخا : مجموعة التعاليم والشرائع اليهودية .

يشيفا : (وجمعها يشيفوت) وتعنى حرفياً « مكان الجلوس » وهى الأكاديميات التلمودية ومركز الدراسة الدينية والمركز الأساسى للحياة الأرثوذكسية ، وفيها تتكون التيارات والاتجاهات ويظهر الأساتذة الكبار ، وحيث ان الجنسيتين مفصولان تماما فى التعليم والصلاة فان اليشيفوت مخصصة للرجال فقط ، وتحت تأثير الحداثة التى بدأت تمس الأوساط الأرثوذكسية بدورها ، ظهرت أخيراً بعض اليشيفوت المخصصة للسيدات موزعة فى أنحاء العالم ولكن تعليمها أقل عمقا .

يهودا والسامرة : هو الاسم الذى يطلقه اليمين الاسرائيلى والحركات الدينية اليوم على الضفة الغربية التى احتلتها اسرائيل بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ ، ويوضح تغير التعبير على مدى السنين التغير فى العقلية فتعبير « الأراضى المحتلة » وهو الذى كانت تستعمله جولدا مائير على الأقل حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، يبدل على وضع مؤقت سيتم تعديله عند حدوث مفاوضات شاملة حول السلام ، وبعد بضعة سنوات صار الحديث عن « المناطق » دون تحديد وهو تعبير غامض يسمح بكل التفسيرات ، وادى انتصار اليمين فى ١٩٧٧ الى اشاعة استعمال الاسم المزدوج يهودا والسامرة وتم بذلك ادخال الخيز الجغرافى فى التاريخ اليهودى . وآخر لعبة هى استخدام التعبير « يشع » وهو اختصار بالعبرية ليهودا والسامرة وغزة وبذلك يعيد زرع المنطقة فى دولة اسرائيل الحديثة .

کشاف

(١)

- آبا اجمائير ص ٤٥ .
- ابراهيم ، ص ٢٨ .
- ابو حصيره (او بابا مصالي) . ص ٦٨ .
- اتحاد الاسرائيل العالمی ، ص ٥٦ . ٦٩ .
- أجودات اسرائيل ص ٤٣ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٧٣ ، ٢٠١ .
- انوم ص ٣٦ .
- ارجون ص ١١٤ .
- آرئوزوروف ، حاييم ، ص ٤٥ .
- اسحق رابين ص ٤٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٤ .
- ١٥٥ ، ١٨١ ، ١٨٩ .
- اسنيون ص ٣٨ .
- استروك ص ٥٤ .
- اتكينازی ، الحاخام ليون ص ٥٨ ، ٧٦ ، ١٣٨ .
- اشكينازيم ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ .
- افنيير ، الحاخام سلومو ، ص ١٥١ .
- اکتوالييتيه جوييف ص ١٢٥ .
- آکسيلرود ، دافيد ، ص ١٢٨ .
- الجاز ، الحاخام دافيد ، ص ١٩٢ .
- الملچور ، دان ص ٤٧ .
- الوئی ، شولاميت ، ص ١٤٣ .
- امستر ، کوبی ، ص ١٠٩ .
- امريکان جوينت ديستريبيوشن کوميتی ، ص ٢١٠ .
- اميریکانز فور ايه سيف ازرايل ، ص ١٩٨ .
- انطيوخوس الرابع ص ٣٣ .
- اوجيني ، الامبراطورة ، ص ٥٤ .
- اورشليم ، ص ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٧ .
- ١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ،
- ٢١٥ ، ٢٢٢ .
- اوزان، الياهو ، ص ٧١ .
- وشفيتز ، (معتقل) ص ٦٢ ، ٦٦ .
- اولرت ، ايهود ، ص ١٢٧ .
- اوليدل ، ستيلمان ، ص ٩٥ .
- ايخمان ، أدولف ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .
- ايزالک ، دافيد ، ص ١٥٨ .
- ايليا (النبي) ص ١٢٢ .
- ايمانويل ، ص ١٢٣ .

(ب)

- بابا باروخ ، ص ١٢١
- باروش ، مناحم ، ص ١١٢
- باريس ، موريس ، ص ٥٥
- باشتر ، الحاخام بنحاس ، ص ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢
- باكشي ، الياهو ، ص ١٢١
- براندو ، مارلون ، ص ١٩٤
- برجمان ، الياهو ، ص ١٩٩
- برلان ، الحاخام اليزير ، ص ١١٢
- برنهايم ، الحاخام جيل ، ص ٧٨
- بعل شيم توف ، ص ٤١
- بلاس ، الحاخام يونانان ، ص ١٤١
- بلاو ، الحاخام عهراام وزوجته روٹ ، ص ٢١٦ ، ٢١٩
- بلاو ، موشيه ، ص ٤٣
- بلوخ ، ابراهام ، حاخام ليون ، ص ٥٥
- بن جوريون ، دافيد ص ٤٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٧٢
- بن شلومو ، ص ١٠٠
- بن ميمون ، ص ١٧٧ ، ٢٢٥
- بوتشكو ، الحاخام شاؤول دهفيد ، ص ١٤٩
- بوكارا ، فيليب ، ص ٧٤
- بولتسا ديتورا (شرارة النار) ص ١٥٨
- بيت ماشيح ، ص ١٧٨
- بيتار ، ص ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩
- بيجين ، مناحم ، ص ٤٦ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣
- بيرج ، آفراهام ، ص ١٩٩
- بيرجن بيلسن (معتقل نازي) ، ص ٢١٠
- بيريز ، شمعون ، ص ١١٣ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٨
- بيتي يراك ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٠٣
- بيير ، الاب ، ص ٦١

(ت)

- تايئلباوم ، الحاخام موشيه ، ص ٢٠١
- تايئلباوم ، الحاخام يونيل ، ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢
- تراهبلدور ، يوسف ، ص ٩٢ ، ٩٤
- ترانسفير ، ص ١٤٦
- تروتسكي ، ص ١٢٨
- تريجانو ، شاهويل ، ص ٧٠
- تسانييفيل ، يزرائيل ، ص ٤٢
- تلمود ، ص ٢٧ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٣
- توليدانو ، الحاخام ابراهام ، ص ١٨٧

- تویزر ، جانیت ، ص ١٨٩ .
- تیشوفا ، ص ٨٠ .

(ج)

- جابوتسکی ، فلادیمیر ، ص ٨٥ ، ٩٣ .
 - جارسون ، کاترین ، ص ٦٤ ، ٧٩ ، ١٢٥ .
 - جاکوب ، حاخام فرنسا الاکبر ، ص ٥٥ .
 - جاکوب دی هان ، ص ٤٤ .
 - جاکوبسون ، جرشون ، ص ٢٠٢ .
 - جالوت ، ص ١٦٦ .
 - جرشوم ، ص ١٢٣ .
 - جروس ، البروفسور بنیامین ، ص ١٣٩ .
 - جرونشتین ، الحاخام یوشع ، ص ٧٩ .
 - جماعة يد الاخوان ، ص ١١٠ .
 - جمعية المدافعين عن الايمان ، ص ١١٦ .
 - جمعية مناهضة القهر ائدينی ص ١٠٢ .
 - جنسبرج ، الحاخام ، ص ١٦٣ .
 - جودمان ، توماس ، ص ١٣٠ .
 - جورای ، مناحم ، ص ١٦٤ .
 - جورین ، شلومو ، الحاخام الاکبر السابق لاسرائیل ص ١٥٧ .
 - جوزولسکی ، میخائیل ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .
 - جولشتین ، باروخ ، ص ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٢ .
 - جولدينی مدینا ، ص ٢٠٠ .
 - جوش ایهونیم ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨١ .
 - جویش آکشن آلیانس (اتحاد العمل الیهودی) ، ص ١٩٤ .
 - جوییم ، ص ٥٠ .
 - جیتو ، ص ٥٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ .
 - جیفیلٹ فیش ، ص ٢٠٢ .
 - جیلینسکی ، بیت ، ص ١٩٢ ، ١٩٥ .
 - جیمارا ، ص ١١٣ .
- (ح)
- حبد ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
 - حبرون ، ص ٢٨ ، ١٩٧ .
 - حریدیم ، ص ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
 - حزب التوراة الموحد ، ص ٢٧ .
 - حزقیا ، الملك ص ٣٣ .
 - حسیدیم ، ص ٤١ ، ٦١ ، ٧٢ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ .
 - حشمولائیون ، ص ٣٦ .
 - الحل اللہائی ، ص ٨٦ ، ١١٩ ، ١٣٥ .

(د)

- درعی ، آریه ص ۱۴۳
- درومون ، ص ۲۱
- دریفوس ، ص ۲۰ ، ۱۱۴
- دریه ، ابراهام ص ۱۵۲
- دریه ، جان بول ، ص ۹۵ ، ۹۶
- دیاسبور ، ص ۲۶ ، ۶۳ ، ۸۳ ، ۸۸ ، ۱۳۸ ، ۱۹۹ ، ۲۱۴ ، ۲۲۷
- دیجیل هاتوره ، ص ۱۵۹ ، ۱۷۳
- دیهبو ، ریشار ، ص ۵۷ ، ۹۰

(ر)

- رافیتسکی ، البروفیسور آفراهام ، ص ۲۳۵
- رامات جان ، ص ۱۱۱
- روتنبرج ، الهاخام حاییم یعقوف ، ص ۵۸ ، ۶۰
- روزنبلات ، تسفی ، ص ۴۶
- روتشیلد ، البارون ادمون ، ص ۸۳
- روتشیلد ، جیمس ، ص ۵۳

(ز)

- زالمان ، شنیور ، ص ۱۶۸
- زربیب ، جان شارل ، ص ۶۳
- زیزیک ، الهاخام جیرار ، ص ۶۶ ، ۶۷ ، ۹۰

(س)

- ساتمار ، ص ۲۰۱ ، ۲۰ ، ۲۱۱ ، ۲۱۲ ، ۲۱۴ ، ۲۱۷ ، ۲۲۶
- سامریون ، ص ۳۶
- سبی بابل ، ص ۲۷
- سبیر ، آندریه ، ص ۸۴ ، ۱۳۲
- ستافسکی ، ابراهام ، ص ۴۶
- سلوکیون ، ص ۳۵
- سلیمان الملك ، ص ۴۷
- سوفیر ، الهاخام ، حتام ، ص ۱۱۷
- سولوفیتشیک الهاخام حاییم ، ص ۲۰۵
- سولوفیتشیک ، الهاخام الاکبر یوسف دوف ، ص ۱۴۰
- سنیبون ، کلود ، ص ۱۴۴
- سیکاریون ، ص ۳۸ ، ۱۵۴
- سیتروک ، یوسف ، ص ۷۵ ، ۸۷
- سیفاردیون ، ص ۶۵ ، ۶۹ ، ۷۲ ، ۸۰

(ش)

- شاخ ، الهاخام الیزیر مناحم ، ص ۱۱۶ ، ۱۷۳ ، ۱۷۶

- سارون ، آريل ، ص ٤٦ ، ١٢١ ، ١٥٨ .
- شناس ، حوٲ ، ص ٢٧ . ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٣ .
- شافران ، الهاخام آنى ، ص ٢٠١ .
- شامير ، اسحق ، ص ١٢٠ ، ١٧٢ .
- سامبون سير لينيون ، ص ٢١١ .
- شبتاى ، تسفى ، ص ٤٠ .
- نشتات ، ص ٨٣ ، ١٣٨ ، ٢٢٤ .
- شتراوس ، كلود ليفى ، ص ٢١ .
- سترايميل ، ص ١١٢ .
- ستيتيل ، ص ٩١ ، ١٠٨ ، ١١٦ .
- شخيم ، ص ٢٩ ، ١٩٧ .
- شمعون بار كوخنا ، ص ٣٩ .
- شنيرسون ، الهاخام مناحم ، ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٣ .
- سلامى ، حايم يعقوب ، ص ٥٠ .
- شورش ، اسمار ، ص ١٨١ .
- سوشنة ، الهاخام الاكبر ايمانويل ، ص ٧٤ .
- شوفار ، ص ١٦٢ .
- شوكن ، عاموس ، ص ٤٧ .
- شولحان عاروخ ، ص ٨٩ ، ١٦٧ .
- شوليم ، جرنوم ، ص ١٦٨ .
- (ص)
- صدوقيون ، ص ٣٧ .
- (ع)
- عامير ، بيجال ، ص ٢٩ ، ١٦٠ .
- عصبة الدفاع اليهودية ، ص ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
- عصبة معاداة التشهير ، ص ١٠٩ .
- عرفات ، ص ١٥٥ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢١٩ .
- عفيفا ، الهاخام ، ص ٢٦ .
- عوز ، عاموس ، ص ٤٧ .
- (ف)
- فاراخان ، لويس ، ص ١٩٤ .
- فانتون ، يوسف ، ص ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٩١ .
- فايتسمان ، حايم ، ص ٨٩ .
- فايس ، دانيلا ، ص ١٦٠ .
- فاينر ، زيف ، ص ١٠٥ .
- فريسيون ، ص ٣٧ .
- فريجير ، الدكتور جوزيف ، ص ١٩٤ .

- فريدمان ، هرشل ، ص ٢١٢ .
- فعات عزراه فتهسلااه ، ص ٢٠٩ .
- فيزيل ، ايلي ، ص ٦١ ، ١٣٥ .

(ق)

- قدس ، ص ٢١٧ .
- قضية الاطفال اليهينين ، ص ١٥٦ .

(ك)

- كانخ (حزب) ، ص ١٤٥ .
- كاستنر ، ريسنو ، ص ٢٠٩ .
- كان الحاخام الاكبر زادوك ، ص ٨٣ .
- كان ، الحاخام هنري ، ص ١٢٥ .
- كان ، جان ، ص ٧٦ .
- كاهانا حي ، ص ١٤٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .
- كاهانا ملكير ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٨٥ ، ١٨٩ .
- كاوفمان ، موشيه ، ص ١١٥ ، ١٢٢ .
- كدوميم ، (مستوطنة) ص ١٣١ ، ١٦٠ .
- كفار هاباد ، ص ١٦٤ .
- كلاين ، الحاخام شيمون ، ص ١٥٢ .
- كنيسيت ، ص ٢٨ .
- كواليشن ، ص ٢٠١ .
- كويغر ، جاك ، ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ .
- كوشتو (ليتوانيا) ، ص ١١٦ .
- كوك ، الحاخام الاكبر ابراهيم ، ص ١٣٣ ، ١٣٦ .
- كوك ، الحاخام زفي يهودا ، ص ١٣٤ .
- كوليك ، تيلي ، ١٢٧ .
- كونسيسوار ، ص ٥٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ .
- كوهاف يعقوف (مستوطنة) ، ص ١٤٩ .
- كيوتز ، ص ٥٧ .

(ل)

- لابراديل ، ص ٨٤ . لازار ، برنار ، ص ٣٠ .
- لاو ، يسرائيل ، ص ١٢١ .
- لجنة الصليب الاحمر الدولية ، ٢١٠ .
- لوبافتش ، ص ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ .
- لوفتمنش ، ص ١٩٣ .
- ليرنر ، الحاخام بيساخ ، ص ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .
- لبسلباوم ، الحاخام دافيد ، ص ١٦٥ .
- ليف ، يهودا ، ص ٢٢١ .
- ليفي ، الحاخام القريد ، ص ٨٤ .
- ليفي ، دانييل ، ص ٩٧ .

لیکوود ، ص ۲۰۳ ، ۲۰۶ .

(م)

- ماکوفر ، الحاخام مناحم ، ص ۱۰۱ .
- مالر ، دان ، ص ۱۰۲ ، ۱۰۶ .
- مالکولم اکس ، ص ۱۹۴ .
- متاتیا ، الکاهن ، ص ۳۵ .
- مجلس اتوطني لاسرائيل الفتاة ، ص ۱۹۷ .
- مرکز هارفارد لدراسات السكان ، ص ۱۹۹ .
- مزراحی (حزب) ، ص ۱۳۳ .
- مسیح المنتظر ، ص ۲۸ ، ۱۲۴ ، ۱۳۲ ، ۱۳۴ ، ۱۳۵ ، ۱۳۷ ، ۱۴۵ ، ۱۵۷ ، ۱۶۲ ، ۱۶۶ ، ۱۷۴ ، ۱۷۸ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۱۲ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷ .
- مشیخ ، ص ۴۲ ، ۱۱۳ .
- مقدال (الحزب الوطني الديني) ، ص ۱۲۰ ، ۱۳۴ .
- ملاخی (النبی) ، ص ۱۲۲ .
- موراشتی (میرانی) ، ص ۱۵۴ .
- مورجنشترن ، ایزی ، ص ۲۶ .
- موزیکانت ، حاییم ، ص ۶۲ ، ۲۱۱ .
- مولیدیت (حزب الوطن) ، ص ۱۴۶ .
- مینا شیعاریم ، ص ۲۱۷ ، ۲۲۰ .
- میرزباخ ، البروفیسور ایل ، ص ۱۵۸ .
- میشولام ، عوزی ، ص ۱۵۵ .
- میشیل ، الحاخام آلان ، ص ۷۳ ، ۱۴۹ .
- مینیلاس ، کبیر الکهنه ، ص ۳۴ .

(ن)

- نابلیون بونابارت ، ص ۵۲ .
- ناتورای کارتتا ، ص ۲۱۶ ، ۲۱۸ ، ۲۲۶ .
- نتنیا هو ، بنیامین ، ص ۹۴ ، ۱۰۰ ، ۱۱۳ ، ۱۳۰ ، ۱۴۷ ، ۱۵۸ ، ۱۷۳ ، ۱۹۰ .
- ۱۹۷ ، ۱۹۸ ، ۲۲۴ .
- نبوخذ نصر ، ص ۱۱۵ .
- نورد او ، ماکس ، ص ۸۵ .
- نیسنباوم ، حاییم ، ص ۱۷۰ ، ۱۷۷ ، ۱۸۰ .

(هـ)

- هادریان الامبراطور ، ص ۳۹ .
- هالاخا ، ص ۷۲ .
- هاگادوخ ، الحاخام ، ص ۱۷۹ .
- هایدنبرج ، هنری ، ص ۸۷ .
- هرتزل ، تیودور ، ص ۸۳ ، ۸۵ ، ۱۱۳ ، ۱۱۴ ، ۱۳۲ .
- هلیل ، ص ۱۰۷ .
- هیرش ، الحاخام موشیه ، ص ۲۱۹ .

- هيرودس الملك ، ص ٣٧ . ٤٨ .
- هيمان الحاخام دانييل ، ص ٦٨ ، ٧٨ . ٨٩ . ١١٩ .
- هيمار ، ص ٢١٠ .

(ث)

- ودا (وكالة الانباء الفلسطينية) ، ص ٢٢٠ .

(ي)

- يلسون . كبير الكهنة ، ص ٣٤ .
- يديش . ص ١٠٨ ، ١١٦ .
- يديعوت آخرونوت ، ص ١١٢ .
- يريتز بزرويل ص ٢٠٨ .
- يعقوب (النبي) . ص ١٥١ .
- يهوذا والسامرة ، ص ٢٩ ، ١٥٠ . ١٥١ . ١٨٧ .
- يوحنا بن زخاي ، ص ٤٨ .
- يوحنا هيرقان ، ص ٣٧ ، ٤٧ .
- يودنرات ، ص ١٥٤ .
- يوروبارك ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ .
- يوسف ، الحاخام الاكبر عوفديا ، ص ١٤٣ .
- يوم كيبور ، ص ٥٦ ، ٦٤ .

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف داهموس
بيع معارك فاصلة في العصور
الوسطى

د. لينواير تشامبرزدايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د. جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في
السنة

بيير البير
الصحافة

د. غبريال وهبة
تر الكوميديا الإلهية لدانتي
في الفن التشكيلي

د. رمسيس عوض
الأدب الروسي قبل الثورة
البلشفية وبعدها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باوير
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكت الربيعي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. محي الدين أحمد حسين
لقتشة الأسرية والإبذاء الصغار

ج. دانلى أندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصي

د. جومان دورشنر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيّن توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجي
حرب الفضاء

د. السيد عليوة
إدارة الصراعات الدولية

د. مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

حموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والمحدثين
مختارات من الأدب الياباني
« الشعر - الدراما - الحكاية -
القصة القصيرة »

بيل شول وأبنيت
القوة النفسية للأهرام

د. صفاء خلوصي
فن الترجمة

والف نى ماتلو
تولستوى

فكتتر بروميبي
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من المنفى

فيرنر ميرنيورج
الجزء والكل « محاورات في مضمار
الفيزياء الذرية »

سندى موك
التراث القامض « ماركس
والماركسيون

ف. ع. دينكرف
فن الأدب الروائي عند تولستوى

مادى نعمان الهيتي
أدب الأطفال « فلسفته ، فنونه
وسائله »

د. نعمة رحيم المزاولي
أحمد حسن الزيات كاتباً وناقد

د. فاضل أحمد الطائي
أعلام العرب في الكيمياء

جلال العشري
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

السيد عليوة
صنع القرار السياسي في
منظمات الإدارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للإنسان

د. روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق
للأطفال ؟

كاثى ثير
تربية الدواجن

١٠ مبنصر
الموتى وعالمهم في مصر
القيصة

د. ناعوم بيتروفيتش
الحمل والطب

برتراند رسل
أحلام الإعلام وقصص أخرى
ي. رادو نكاياوم جابوتسكى
الإلكترونيات والحياة الحديثة

ألدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج. فوريس و١٠ ج. نيكستر
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسرديل ي.
الأرض الغامضة

والتر آل
الرواية الإنجليزية

لويس فارحاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسو دوماس
الهة مصر

د. قدرى حفى واحرون
الإنسان المصرى على الشاشة

أولج مولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

ماشم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكروال
مجموعات النقود - صيالتها
كصنعتها - عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير لغنى ومنطق

د. محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الإنسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله ويدايله

أنور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسار

جابريل باير تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة	دى روبرتسون الهيروين والايترز والرمها فى المجتمع	ب كرملى لاساطير الاغريقية والرومسية
تطونى دى كرسينى وكينيث مينوي اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	دور كاس ماكلينتوك صور افريقية - نظرة على حيوانات افريقيا	توماس ا. هاريس التوافق النفسى - تحليل المعاملات الانسانية
دوايت سوين حكاية السيتاريو للسيتما	هاشم النحاس نجيب محفوظ على الشاشة د. محمود سرى طه	لحنة الترجمة المجلس الاعلى للثقافة الدليل البيليوجرافى روائع الاداب العالمية ج ١
زافيلسكى ف. س الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين)	الكومبيوتر فى مجالات الحياة	روى ارمز لغة الصورة فى السيلما المعاصرة
مهندس ابراهيم القرضاوى اجهزة تكييف الهواء	بيتر لورى المخبرات حقائق نفسية	ناجى متشيو الثورة الاصلاحية فى اليابان
بيتر رداى الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بوريس فيسوروفيتش سيرجيف وظائف الاعضاء فى الالف الياء	بول هاريسون العالم الثالث غدا
جوزيف دامموس سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	ويليام بيكر الهندسة الوراثية للجميع	مكائيل المي وجيمس الملو الانقراض الكبير
س. م. يورا التجربة اليونانية	ديفيد الدرتون تربية اسماك الزينة	آدامز فيليب دليل تنظيم المتاحف
د. عاصم محمد رزق مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	احمد محمد الشنولى كتب غيرت الفكر الانسانى	فيكتور مورجان تاريخ النقود
رونالد د. سمبسون ولورمان د. اندرسون العلم والطلاب والمدارس	جون ر. بورر وميلتون جولدبنج الفلسفة وقضايا العصر ٢ ج	محمد كمال اسماعيل التحليل والتوزيع الاوركستراى
د. انور عبد الملك الشارع المصرى والفكر	ارنولد توينين الفكر التاريخى عند الاغريق	ابو القاسم الفردوسى الشاهنامه ٢ ج
ولت وتيمان رومر حوار حزن انفسية الاقتصادية	د. صالح رضا ملاحج وقضايا فى الفن انستشيكلى المعاصر	بيرتون بورتر الحياة الكريمة ٢ ج
فرد. س. هيس تبسيط الكيمياء	م. ه. كنج وآخرون التحذية فى اللسان القاسم	جاك كرابس جوانيود كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر
جون لويس بوركهارت العادات والتقاليد المصرية من الامثال الشعبية فى عهد محمد على	جورج جاموف يوغية بلا نهاية	محمد فؤاد كوبرلى قيام الدولة العثمانية
الان كاسيار التنطق السيمائى	د. السيد طه السيد ابو سديرة الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى	قولى بار التمثيل السيمائى والتليفزيون
سامى عبد المعلى التخطيط السياحى فى مصر بين النظرية والتطبيق	جاليليو جاليليه حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٢ ج	تاجور ، شين ين بنج وآخرون مختارات من الاداب الاسيوية
بريد مرل وشاندرا ويكراما سينج البذور الكونية	اريك موريس والان الارهاب	ناصر خسرو علوى سفرنامه
حسين حلمى المهندس دراما المشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسيمائى والتليفزيون ٢ ج	سيرل النريد اخلاطون	نادين جورديمر وجريس اوجوت وآخرون مخطوط المطر وقصص اخرى
	ارثر كيستر قبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم	احمد محمد الشنولى كتب غيرت الفكر الانسانى ٧ ج
		جان اريس بورى وآخرون فى التقى السيمائى الفرنسى
		العثمانيون فى اوربا بول كرلز

كريستيان سناليه السناريو في السينما الفرنسية	د بيارد فودج الآله في ألف عام	موريس بير براند صناع الخلود
بول وارن خفايا نظام الحجم الأمريكي	ستيفن رانسيما الحملات الصليبية	زيجموند مير جماليات فن الاخراج
جورج ستاينر بين تولستوي ودوستويفسكي ٢ ج	هـ جـ و معالم تاريخ اللسانية ٤ ج	جوناثان ريلي سميث الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية
يانكو لافرين رومانتيكية والواقعية	جوستاف جرونيياوم حضارة الاسلام	الفريد جـ بتلر الكنائس القبطية القديمة في مصر ٢ ج
محمود سامي عطا الله الفيلم انتسجيلي	د عبد الرحمن عبد الله الشيخ رحلة يبرقون الى مصر والحجاز ٣ ج	ريتشارد شاخز رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف بتس رحلة جوزيف بتس	جلال عبد الفتاح للكون ذلك المجهول	ترانيم زراشت من كتاب الاستا المقدس
ستانلي جيه سوارمون انواع الفيلم الأمريكي	ارنولد جزل وآخرون الطفل من الخامسة الى العاشرة ٢ ج	الحاج يونس المصري رحلات فارتيما
ماري بـ ناش الحمر والبني والسود	يادى اوتيورد افريقيا - الطريق الآخر	هربرت ثيلر الاتصال والهيمنة الثقافية
جرزيف مـ يوجن فن الفرقة على الافلام	د محمد زينهم فن الزجاج	برتراند راسل السلطة والفرد
كريستيان ديروش نويلكور المرأة القرمولية	برنسلو مالبينوفسكي السحر والعلم والدين	بيتر نيكوللز السينما الخيالية
جوزيف يندمام موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين	ادم متز الحضارة الاسلامية	ادوارد ميرى عن النقد السينمائي الأمريكي
ليوناردو دالفنشي نظرية التصوير	فانس بكارد انهم يصنعون البشر	نفتالى لويس مصر الرومانية
تـ جـ هـ جيمز كنوز القراقة	د عبد الرحمن عبد الله الشيخ يوميات رحلة فاسكو داجاما	ستيفن اوزمنت التاريخ من شتى جوانبه ٣ ج
رودولف فون هايستيرج رحلة الامير ريدولف الى الشرق ٣ ج	ايفرى شاتومان كولنا المتمد	مونى براج وآخرون السينما العربية من الخليج الى المحيط
مالكوم برادبرى الرواية اليوم	سوندارى الفلسفة الجوهرية	فانس بكارد انهم يصنعون البشر ٢ ج
وليم مارسدن رحلة ماركو بولو ٣ ج	مارتن فان كريفلد حرب المستقبل	جابر محمد الجزار ماستريخت
هنرى بيرين تاريخ اوربا في العصور الوسطى	فرانسيس جـ بيجين الاعلام التطبيقي	ابرار كريم الله من هم التتار
ديفيد شنيدر نظرية الـ ب المعاصر وآراءه الشعر	عبد مباشر البحرية المصرية من محمد على للسلاطات	ج سـ فريزر الكاتب الحديث وعالمه ٢ ج
اسحق عظيموف العلم والاثاق المستقبل	جـ كارفيل تبسيط المفاهيم الهندسية	سوريال عبد الملك حديث الله
رونالد دافيد لانج الحكمة والجفون والحماقة	توماس ليههارت فن المايه والباتنوميم	من روائع الآداب الهندية
كارل بوبر بحثا عن عالم الفضل	ادوارد دوبرنو التفكير المتجدد	لوريتو ترد مدخل الى علم اللغة
فرمان كلارك الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا	ريليام هـ ماثير ما هي الجيولوجيا	اسحق عظيموف الشموس المتفجرة اسرار السوبر نوبا
		مارجريت رور ما بعد العداوة

السيد نصر الدين السند اضلالات على الزمن الاثني ممدوح عطية البرنامج التووي الاسرائيلي والامن القومي العربي) د - ليوبوسكاليا الحب ايغور ايفانس مجلد تاريخ الادب الانجليزى ميريت ريد التربية عن طريق الفن وليام بينز معجم التكنولوجيا الحيوية القين ترنر تحول السلطة ٢ ج يوسف شرارة مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية رولاند جاكسون الكيمياء فى خدمة الانسان ت - ج - جيمز الحياة ايام الفراغة جرج كاشمان ماذا تشبه الحروب ٢ ج عسام الدين زكريا انطون بروكتر ازرا ف - فوجل المعجزة اليابانية	رونرد مولز كالت ملكة على مصر جيمس هنرى برستد تاريخ مصر بول داميز الدقائق الثلاث الاخيرة جوزيف ومارى فيلدمان ديلامية الفيلم ج - كوتنر الحضارة الفيليقية ارنست كامبرو فى المعرفة التاريخية كنت ا - كتفن ومسيس الثاني جان بول سارتر وآخرون مختارات من المسرح العالمى توزالند ، وجاك يانسن الطفل المصرى القديم فيكولاس ماير شرلوك هولمز جيجيل دى لبيس القرنان جوسيبى دى لونا موسوليني الوزير جرايتر مونسارت على عبد الرؤوف البمبى مختارات من الشعر الاسباني الادب العربى المكتوب بالفرنسية	روبرت سكولز وآخرون الهاق ادب الخيال العلمى ب - س ديفيز المفهوم الحديث للمكان والزمان س - موارد اشهر الرحلات الى غرب افريقيا و - بارتولد تاريخ انترك فى اسيا الوسطى فلاديمير تيمانيانو تاريخ اوربا الشرقية جابريل جاجارسيا ماركيز الجفرال فى المشاهة هنرى برجسون الضحك د - مصطفى محمود سليمان الزلازل م - و - ثرنج هسمير المهندس ١ - و - جرنى الحديثون ستينو موسكاتى الحضارات السامية د - البرت حورائى تاريخ الشعوب العربية محمود قاسم
---	---	---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٥٨٤٩

ISBN — 977 — 01 — 5668 — X

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلا عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث والتي بات الاطلاع عليها اليوم متعذراً لشباب هذا الجيل لعدم طبعاتها وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضوء على أهم القضايا الاستراتيجية والمعاصرة (أنظر قائمة الاصدارات في آخر الكتاب).

وإن الكتاب الذي نقدمه اليوم من تأليف الكاتب الفرنسي "إيمانويل هيمن"، يعالج ظاهرة الأصولية اليهودية، وقد سعى "هيمن" إلى إعادة قراءة التاريخ اليهودي على نحو معاصر بغرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية. ويرصد هيمن في إطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودي كافة مظاهر الأصولية، ويستنتج على ضوء قراءته هذه أن فكر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والحدثة. ولا يكتفي المؤلف في عمله هذه بقراءة النصوص إذ يتطرق أيضا إلى مقاومة التيارات اليهودية المتشددة في أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل لكافة مظاهر التغيير والحدثة، وإصرار قادة هذه التيارات من الحاخامات على فرض عقائد متوحشة ودموية ومجنونة. ويعترف المؤلف بأن تلك التيارات المتطرفة على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشعب اليهودي بكل وسيلة سواء أكان ذلك عن طريق صناديق الاقتراع أو عن طريق القوة.. فهم يتصورون أنهم ينفذون رسالة ربانية تسمو على أي اعتبار آخر حتى حقوق الإنسان أو الد

Bibliotheca Alexandrina



0435969

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٥٠ قرشاً

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلا عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث والتي بات الاطلاع عليها اليوم متعذراً لشباب هذا الجيل لقدم طبعاتها وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضوء على أهم القضايا الاستراتيجية والمعاصرة (أنظر قائمة الاصدارات في آخر الكتاب).

وإن الكتاب الذي نقدمه اليوم من تأليف الكاتب الفرنسي "إيمانويل هيمن"، يعالج ظاهرة الأصولية اليهودية، وقد سعى "هيمن" إلى إعادة قراءة التاريخ اليهودي على نحو معاصر بغرض التعرف على جذور الأصولية اليهودية. ويرصد هيمن في إطار قراءته النقدية لكافة مراحل التاريخ اليهودي كافة مظاهر الأصولية، ويستنتج على ضوء قراءته هذه أن فكر الأصوليين يتناقض على نحو بين مع فكر دعاة الديمقراطية والحدثة. ولا يكتفي المؤلف في عمله هذه بقراءة النصوص إذ يتطرق أيضا إلى مقاومة التيارات اليهودية المتشددة في أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل لكافة مظاهر التغيير والحدثة، وإصرار قادة هذه التيارات من الحاخامات على فرض عقائد متوحشة ودموية ومجنونة. ويعترف المؤلف بأن تلك التيارات المتطرفة على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشعب اليهودي بكل وسيلة سواء أكان ذلك عن طريق صناديق الاقتراع أو عن طريق القوة.. فهم يتصورون أنهم ينفذون رسالة ربانية تسمو على أي اعتبار آخر حتى حقوق الإنسان أو الد

Bibliotheca Alexandrina



0435969

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٥٠ قرشا